الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

شعبة: العلوم الإنسانية- تاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

موسومة بـ:

اليهود في غرناطة على عهد بني زيري

(القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد)

إعداد الطالب:

بوسيف برحو

بإشراف:

الأستاذ الدكتور عبد الحق شرف

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. عمر بوخاري.....	.....أستاذ.....	.....جامعة ابن خلدون –تيارت.....	رئيسا
أ.د. عبد الحق شرف.....	.....أستاذ.....	.....جامعة ابن خلدون –تيارت.....	مشرفا ومقررا
أ.د. بلقاسم بن عودة.....	.....أستاذ.....	.....جامعة ابن خلدون –تيارت.....	منافشا
د. محمد علبلي.....	..... محاضر أ.....	.....جامعة ابن خلدون –تيارت.....	منافشا
د. إلياس حاج عيسى.....	.....محاضر أ.....	..المدرسة العليا للأساتذة عبد الرحمن طالب-الأغواط..	منافشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

التوبة 105

شكر و تقدير:

أتقدم بخالص شكري و تقديري إلى أستاذي

المشرف الأستاذ الدكتور عبد الحق بشرف.

على صبره الجميل و جهده المبذول في متابعة

هذا العمل و تصويبه.

كما أرفع شكري واحترامي إلى أساتذتي الأجلاء

أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفت بتوجيهاتهم القيمة.

وإلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر

الدكتور راكة عمر

الذي ساعدني في ترجمة بعض

النصوص الأجنبية الى اللغة العربية

إهداء

*إلى الوالدين الكريمين

أبي رحمه الله وأمي أطال الله في عمرها*

إلى العائلة الكريمة

إلى كل من قاسمني لحظة سعيدة

مقدمة

يعتقد كثير من المؤرخين بأن اليهود، تواجدوا في أوربا ومنها شبه الجزيرة الإيبيرية قبل دخول المسلمين إليها، بفترة زمنية طويلة. ويبدو أنهم كانوا يعانون في كنف الحكومات النصرانية من نير الظلم والتمييز، لذلك لم يدخروا جهدا في التآمر على السلطات الحاكمة هناك.

وعندما همّ المسلمون بفتح الأندلس تحالفوا معهم وساعدوهم بكل ما توفر لديهم، من عدة وعتاد ومعلومات مهمة. وكشفوا لهم عورات النصارى التي يمكن للمسلمين مباغتتهم منها، ولقد حفظ لهم المسلمون صنيعهم، فعاملوهم أحسن معاملة وفق ما تقتضيه أحكام الذمة. حفظوا لهم كرامتهم وأمنوهم على أرواحهم وأولادهم وأموالهم.

ويُشهد للسلطة الإسلامية الأندلسية، أنها سارت على مبدأ التعايش بين مختلف الطوائف، وعدم التمييز بينهم، ونتيجة لذلك بلغ كثير من أهل الذمة خاصة اليهود منهم، مقامات رفيعة في الدولة، وهو أكبر دليل على سياسة التسامح والمساواة بين الرعية، ولقد بلغ التسامح مداه في إمارة غرناطة على عهد بني زيري، إذ تولى أحد اليهود منصب رئيس الوزراء، وهو أرفع منصب في الدولة بعد منصب الأمير.

ونحاول من خلال أطروحتنا هاته، إماطة اللثام عن تجربة سياسية، فريدة من نوعها، تلكم التجربة التي قفزت على الأعراف، وتجاهلت أحكام الشرع في شروط الولاية، بأن منحت ذميا شرف الرياسة والوزارة، في دولة إسلامية رعاياها مسلمون. ومن هنا تبرز أهمية الموضوع، إذ يمكننا من خلاله استخلاص الدروس السياسية والعبر، وذلك عن طريق البحث في أسباب النفوذ السياسي لليهود في غرناطة الزيرية، وانعكاساته على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ثم النظر والتبصر في نتائج تلك التجربة ومآلاتها.

ولأن الدراسات المتعلقة باليهود، في الدولة الإسلامية في العصر الوسيط، تعد شحيحة نسبيا، وبدافع إثراء المكتبة العربية بهذا النوع من الدراسات، فلقد رأينا أن نخوض غمار هذا النوع من

البحث. هذا بالإضافة إلى محاولة الوصول إلى إجابات لتساؤلات كثيرة، جالت في خلدنا حين وقع بين أيدينا كتاب "التبيان" لأول مرة، لمؤلفه الأمير عبد الله بن بلقين، وعرفنا من خلاله أن يهوديا بلغ منصب الوزارة في إمارة غرناطة الإسلامية، وصار الآمر الناهي فيها، وقد سلطه بنو زيري على رقاب المسلمين فأذلهم وأهانهم، في حين عاش اليهود في عز ورغد. وقد تخيرنا لبحثنا عنوانا هو "**اليهود في غرناطة على عهد بني زيري (القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد)**".

والبحث في تاريخ اليهود في غرناطة الزيرية، نحسب أنه موضوع جديد، بحسب ما اطلعنا عليه، حاولنا من خلاله التطرق لتاريخ الطائفة اليهودية في إحدى إمارات الطوائف، والتي لم تعمر من الزمن أكثر من ثمانية عقود، وإن كان هناك دراسات سابقة، تناولت تاريخ اليهود في الدولة الإسلامية في العصر الوسيط، فهي دراسات تميزت باتساع حيزها الجغرافي والزماني، إذ دأبت الدراسات على البحث في تاريخ اليهود، في عموم الأندلس أو المغرب الإسلامي، وعلى مدى فترات زمنية طويلة نسبيا.

ومن بين الدراسات التي تناولت موضوع اليهود في الدولة الإسلامية، في العصر الوسيط، أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ "**اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**" لـ خالد يونس عبد العزيز الخالدي، وهي دراسة ثرية بحث فيها صاحبها كثيرا من جوانب حياة وتاريخ اليهود في الأندلس، على مدى ثمانية قرون، وتناول فيها أوضاعهم الاقتصادية والسياسية والثقافية من الفتح إلى سقوط الأندلس.

ومنها كذلك أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ "**الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف**" لصاحبتها أريج بنت عوض بن طريخ الخماش، وقد تناولت تاريخ اليهود على مدار أربعة قرون، تناولت فيها الأوضاع العامة لليهود في عصري الإمارة والخلافة ثم عصر الطوائف، وهي دراسة مهمة أيضا.

وفي الإطار ذاته، قدم مسعود كواتي أطروحته للدكتوراه، والتي تناولت تاريخ اليهود بشكل أوسع زمانيا ومكانيا، وهي دراسة غاية في الأهمية، إذ جاءت تحت عنوان: "**اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين**". وتتجلى أهمية هذه الدراسة في كثرة الاعتماد عليها كمرجع من قبل الباحثين في تاريخ اليهود في المغرب الإسلامي.

ويضاف إلى الدراسات السابقة ما بثّه محمد الأمين ولد أن في كتابه الموسوم "**تاريخ اليهود في الأندلس**" من معلومات غير كافية حول الموضوع، إذ أتى مختصرا مفتقرا إلى التفصيل في ذكر الأحداث التاريخية. وإلى جانب ذلك، أتت أطروحته للدكتوراه الموسومة بـ: "**النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين**"، مرجعا هاما تناول حياة أهل الذمة في الأندلس من سنة 422هـ-1030م إلى غاية سنة 539هـ-1141م.

ويمكننا القول بل الجزم، أنّ جل هاته الدراسات تجنبت الخوض في إفراد بحث مستقل عن حياة اليهود، وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في إمارات الطوائف، كل إمارة على حدة.

إن القيمة العلمية لهذا العمل، تتجلى في كون موضوع حياة اليهود في غرناطة الزيرية من جوانبها المتشعبة، يعدّ أمرا مهما للدارس فيه، كيف لا وهو موضوع تجنبت عديد الدراسات خوض غماره، لتشعب دروبه، ووعورة مسالكه. وشح المادة العلمية التي يرجو الباحث من خلالها الإجابة عن تساؤلاته خاصة فيما تعلق بأوضاع تلك الطائفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

تلكم هي الإشكالية الرئيسة لهذه الأطروحة، والتي تهدف إلى التعرف على خصائص حياة اليهود في تلك الإمارة الإسلامية، الواقعة في جنوب الأندلس إبان الحكم الزيري، بين سنة 403هـ و483هـ. ويتولد عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الأخرى منها:

1 – ما هي أسباب النفوذ اليهودي في غرناطة الزيرية؟

2 – ما هي تأثيرات ذلك النفوذ على حياة اليهود وأوضاعهم في غرناطة الزيرية؟

3 – ماهي آثار استعمال وتولية اليهود في غرناطة الزيرية على السلطة السياسية والدولة ككل؟

ولمعالجة هذا الموضوع فقد ارتأينا الاعتماد على منهج الاستقراء والتحليل، رغبة في إثراء البحث، حيث قمنا بمناقشة بعض الروايات وترجيح بعضها على بعض بحسب أدلة كل رواية، وبحسب ما توصلنا إليه من قناعات.

ولقد تم إنزال البحث في مدخل وثلاثة فصول، تحدثنا في المدخل، عن الظروف التي هيأت لقيام عصر الطوائف، والتي انطلقت مع التغيير الطارئ على نظام الحكم الأموي في الأندلس، بالتحول من نظام الإمارة إلى نظام الخلافة، ثم قيام دولة الحاجب المنصور المعروفة بالدولة العامرية، والتي كانت تحكم باسم الخليفة الأموي هشام المؤيد، وهو الأمر الذي كانت ترفضه العائلة الأموية الأندلسية وكانت تتمنى تغييره.

وقد تسبب نفوذ الحجاب العامريين واستئثارهم بالسلطة، عوضا عن الخليفة الشرعي في نشوب الفوضى، واندلاع الأحداث الدموية الأخطر في التاريخ الإسلامي، والتي عرفت باسم الفتنة القرطبية، نسبة إلى قرطبة عاصمة الخلافة، كما سميت بالفتنة البربرية نسبة إلى البربر الذين كانوا أبطالها وكباشها. ولقد أدت تلك الفتنة في النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية، وزوال حكم بني أمية في الأندلس إلى الأبد. وفي العنصر الثالث تحدثنا عن قيام دولة بني زيري، وعن ظروف قيامها.

وبالنسبة للفصل الأول فقد أنزلناه في أربعة عناصر: بلاط غرناطة، وتحدثنا فيه عن أبناء زيري الذي تولوا عرش هذه الإمارة البربرية، من قيامها إلى غاية سقوطها، على يد أمير المسلمين المرابطي يوسف بن تاشفين.

ثم تحدثنا عن وزير غرناطة اليهودي ابن النغريلة، وهو أول يهودي يتقلد منصب الوزارة في دولة إسلامية، وقمنا أولا بالترجمة له، ثم تحدثنا عن ظروف التحاقه بالقصر الزيري، ثم خضنا في مسألة اختلاف المؤرخين حول تسميته، والخلاف الحاصل في شخص ابن النغريلة بين الأب والابن.

ثم تحدثنا عن أسباب ما أقدم عليه أبناء زيري، من استوزارهم لهذا اليهودي وتقديمه على غيره، ومنها ما تعلق بأوصاف ابن النغريلة الذاتية من علم وكفاءة، ومنها ما تعلق بالنظرة السياسية للسلطة الزيرية في غرناطة. وفي الأخير تحدثنا عن جانب من مؤامرات اليهود في غرناطة ضد السلطة الحاكمة، والتي كانت كلها من تدبير وزيرهم ابن النغريلة، وقد ترتب عنها آثار خطيرة على البيت الزيري وعلى الدولة ككل.

أما الفصل الثاني فتحدثنا في عنصره الأول، عن الحياة الاجتماعية لليهود في إمارة غرناطة الزيرية. عن مناطق استقرارهم في عموم الأندلس ومنها غرناطة، ثم تحدثنا عن لباسهم وطعامهم، ثم خضنا في الحديث عن أعيادهم ومناسباتهم الدينية. والملاحظ في هذا المحور أن العادات الاجتماعية كانت مشتركة بين كل يهود الأندلس، إذ لا يمكن أن يغير الناس عاداتهم وتقاليدهم بين عشية وضحاها، خاصة إذا كانوا يعيشون في إقليم جغرافي واحد. فالأندلس وإن تفرقت سياسيا؛ إلا أنها حافظت على خصوصياتها الاجتماعية والثقافية كما كانت قبل عصر الطوائف.

وفي العنصر الثاني من هذا الفصل، تحدثنا عن الحياة الاقتصادية لليهود في غرناطة الزيرية، وعن تقدمهم في المجال التجاري، وكيف كانوا بارعين في التجارة، وهم الذين عرف عنهم اهتمامهم بهذا النوع من النشاطات الاقتصادية في الأندلس وغيرها، ثم تحدثنا عن مساهمتهم في المجال الزراعي، وفي مجال الصناعات والحرف.

أما الفصل الثالث فتطرقنا فيه لأوضاع اليهود الثقافية في غرناطة الزيرية، تحدثنا أولا عن نخبة من علمائهم في الأندلس في عصر الطوائف، وقد عرف ابن النغريلة كواحد من أهم علماء اليهود وأحبارهم في ذلك العصر، حتى أطلقوا عليه اسم الناغيد، وهي مكانة مرموقة في عرفهم، لا يبلغها إلا من نال حظا وافرا من العلم والمعرفة.

ثم تطرقنا إلى جانب من المناظرات التي دارت بين ابن النغريلة، وواحد من أهم رجالات العلم والفقه في التاريخ الإسلامي، وهو أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم، الذي تولى كبر الرد على الوزير اليهودي، الذي دأب على التهجم على الإسلام والقدح فيه، وانتقاد القرآن الكريم، والزعم بأنه اشتمل على تناقضات كثيرة.

وأخيرا تطرقنا إلى نهاية النفوذ اليهودي في غرناطة الزيرية. ذلك أن الثورة التي قام بها سكان غرناطة ضد اليهود، والتي أدت الى نهاية نفوذهم في تلك الإمارة البربرية الإسلامية الأندلسية، كان السبب في إشعال فتيلها قصيدة نظمها أحد شعراء وزهاد الإمارة، وهو أبو إسحاق الإلبيري، الذي قاد الجانب المعارض للنفوذ اليهودي في غرناطة.

وقد تحدثنا عن هذا الشاعر وعن قصيدته العصماء، وعن تأثيرها في تحريك روح الانتقام للدين وللكرامة. وقبل ذلك عرجنا على ذكر بعض طلاب الدنيا من شعراء البلاط، الذين كانوا يتقربون للوزير اليهودي ويوالونه وينظمون فيه القصائد والأشعار، ويؤججون بتزلفهم له، كِبْرَه وغروره. ثم تحدثنا عن تلك المذبحة العظيمة التي تعرض لها اليهود، والتي أتت على جل من كان له منهم بيت بغرناطة، وقد كان عدد القتلى في تلك الحادثة بالآلاف.

والحقيقة أن إنجاز هذا العمل لم يكن سهل المنال، فلقد اعترضتنا مصاعب جمة، ومن أهمها شح المعلومات، وندرة المصادر حول تاريخ اليهود في البلاد الإسلامية عموما. وما زاد من صعوبة البحث كذلك؛ أن الموضوع يتعلق بفترة زمنية قصيرة جدا، حيث أن إمارة غرناطة الزيرية

لم تعمر أكثر من ثمانية عقود، وذلك بين سنتي 403هـ و483هـ. ولقد كان استوزار اليهودي ابن النغريلة في هذه الإمارة في عهد حبوس بن ماكسن، أي بعد سنة 410هـ على أكثر أقوال أهل التاريخ، كما أن نهاية نفوذ اليهود في غرناطة كان في سنة 459هـ، إثر المذبحة الشهيرة. وبذلك يكون عمر الدراسة لا يجاوز نصف القرن من الزمن.

كما أن الحيز الجغرافي للدراسة كان صغيرا نسبيا، إذ لم يتعدَّ حدود تلك الإمارة الزيرية الواقعة في جنوب الأندلس، وقد أحجم المؤرخون عن الخوض في أوضاع اليهود ونمط عيشهم، في غرناطة على عهد بني زيري، واكتفوا فقط بذكر بعض أخبار وزيرهم ابن النغريلة.

كما أن الجائحة العالمية كوفيد 19 والتي تأثر بها العالم أجمع، قد زادت الأمر تعقيدا، وذلك للإجراءات الاحترازية التي مست مسألة التنقل والسفر، وهو ما حرمنا كثيرا من الوصول إلى المعلومة، عبر زيارة المكتبات سواء الوطنية، أو تلك المتواجدة في الدول الأخرى، كالمغرب وإسبانيا.

ولإنجاز أطروحتنا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع، وبما أن موضوع بحثنا له علاقة وطيدة بالإمارة الزيرية في غرناطة، فلقد كان الاعتماد على:

كتاب التبيان للأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء بني زيري كبيرا، إذ كان هذا المؤلَّف أهم مصدر لتاريخ هذه الدولة. وهو عبارة عن مذكرات خطها الأمير الزيري وهو في منفاه في أغمات بالقرب من مراكش بالمغرب الأقصى. وقد تحدث بإسهاب عن الوزير اليهودي ابن النغريلة وعن أحواله، دسائسه ومؤامراته، وصولا إلى نهايته قتيلا في غرناطة.

وقد اعتمدناه كمصدر رئيس، خاصة حين تتعارض المعلومات التي يوردها المؤرخون حول الوزير اليهودي. لكن الكتاب وبرغم أهميته إلا أنه لم يأت على ذكر الأوضاع العامة لليهود في إمارة غرناطة، وأهمل الحديث عن حياة تلك الطائفة التي كان لها حضور قوي داخل الإمارة

الزيرية، من حيث أنماط عيشها وأسباب رزقها، وأوضاعها الاجتماعية والثقافية، وركز فقط على ابن النغريلة ودوره في الأحداث السياسية والعسكرية، التي عاشتها غرناطة على عهد استوزاره.

كتاب "**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**" لابن بسام الشنتريني (ت:542هـ)، وهو كتاب يدخل ضمن قسم الأعلام والتراجم، وقد اعتمدنا على كل أجزائه تقريبا، وقد أفادنا كثيرا بما احتوى عليه من أخبار تتعلق بإمارة غرناطة ووزيرها اليهودي ابن نغريلة.

كذلك كتاب "**الإحاطة في أخبار غرناطة**" للسان الدين ابن الخطيب (ت: 676هـ)"، وهو مؤلّف ضخم، ويعد من أهم المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية المتعلقة بالأندلس. وبرغم الخلط الذي وقع فيه حول شخصية ابن النغريلة بين الأب والابن؛ إلا أنه احتوى على معلومات مهمة تتعلق بوزير غرناطة اليهودي، نقلها في المجمل عن ابن عذاري وابن حيان القرطبي.

كذلك قمنا بالنظر في كتابه "**أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**" وأفدنا منه بعض الشيء.

كما اعتمدنا على كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذاري المراكشي (ت: نحو 695هـ)، وهو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من تراث ابن عذاري، وهو من أهم المصادر وأوثقها حول التاريخ المغربي والأندلسي. وقد أتى على ذكر دولة بني زيري في غرناطة ووزيرها اليهودي في الجزء الثالث منه، ومن بين المعلومات التي تفرد بها في هذا الخصوص زعمه بأن ابن النغريلة كان يعمل من أجل إقامة دولة لليهود في المرية.

كذلك كتاب "**المغرب في حلى المغرب**" لابن سعيد الأندلسي، وهو كتاب عظيم زاخر بمختلف فنون الجغرافيا والتاريخ والتراجم والأدب. وقد أفادنا بما اشتمل عليه من أخبار بني زيري في غرناطة، كذلك أخبار وزيرهم اليهودي، بالرغم من أنه شذ عن جمهور المؤرخين في بعض ما نقله، حول ابن النغريلة. ففي حين يقر أغلب المؤرخين أن أبناء زيري استوزروا ابن النغريلة الأب

ثم استخلفوا ابنه بعده على الوزارة. يرى ابن سعيد أن الوزارة كانت حكرا على الأب فقط وأن الابن كان صغيرا حين قتل والده، وكان في إفريقية إذ ذاك. ولا ندر من أين استقى معلوماته تلك والتي انفرد بها على حسب علمنا.

ومن أهم المراجع المعاصرة التي اعتمدنا عليها لإثراء بحثنا نذكر كتاب:

" **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**" لخالد يونس عبد العزيز الخالدي، وهو أطروحة دكتوراه مطبوعة، وقد أفادنا كثيرا بما اشتمل عليه من معلومات عن اليهود في الأندلس وعن تاريخهم وأماكن استقرارهم، عاداتهم وتقاليدهم، وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. تحدث عن كل ذلك في عموم الأندلس، وبالنسبة لغرناطة في عصر الطوائف؛ فقد اقتصر على ذكر نتف من تاريخ الوزير اليهودي ابن النغريلة وأحواله.

كما أفدنا كثيرا من كتاب " **دولة الإسلام في الاندلس**" وهو من أ شهر ما كتب محمد عبد الله عنان، وقد قسم تاريخ الاندلس إلى أربعة عصور: من الفتح إلى بداية عصر الناصر، ثم دول الطوائف منذ قيامها حتى المرابطين، ثم عصر المرابطين والموحدين، ثم نهاية الأندلس. وقد حفل بكثير من المعلومات التي لها علاقة ببحثي سواء ما تعلق بالدولة الزيرية أو بالوزير اليهودي.

وبالنسبة للمراجع الأجنبية نذكر كتاب "**ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**" لمؤلفه رينهارت دوزي، وهو كتاب معرب، وهو كما يبدو من العنوان، قد اختص بدراسة الفترة المعنية ببحثنا، وهو من أهم المراجع في هذا المجال، وقد أفدنا منه كثيرا، خاصة ما أورده عن وزير غرناطة الزيرية اليهودي ابن النغريلة.

كما أننا نظرنا في كتابه الموسوم بـ " **المسلمون في الأندلس**" وهو كتاب جليل بما احتواه من معلومات عن تاريخ المسلمين في العدوة الأندلسية. وبرغم أهمية ما جاء في هذين المؤلفين،

إلا أن الملاحظ أن دوزي كان متحيزا في أكثر من موقف لوزير غرناطة اليهودي ابن النغريلة. وكان يحاجج عنه، وقد فنّد بعض التهم التي ألصقها المؤرخون به.

كذلك كتاب "**قصة الحضارة**" لصاحبه ويليام جيمس ديورانت، وهو كتاب مهم جاء في نحو اثنين وأربعين جزءًا، وقد اعتمدنا على الجزأين الثالث عشر، والرابع عشر منه. حيث تناول في إيجاز، أخبار الوزير اليهودي ابن النغريلة، وبعضا من أحوال اليهود في الأندلس.

وكما أسلفنا فإن كل هذه المصادر والمراجع، دأبت على تناول أوضاع اليهود في عموم الأندلس أو المغرب الإسلامي، وبالنسبة لغرناطة الزيرية، فقد ارتبط ذكر اليهود فيها لدى المؤرخين، بذكر وزيرها اليهودي ابن نغريلة. ولم نقف فيما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع، على من أفرد دراسة متخصصة حول أوضاع اليهود في الإمارة بشكل مستقل برغم ما بلغوه فيها من نفوذ.

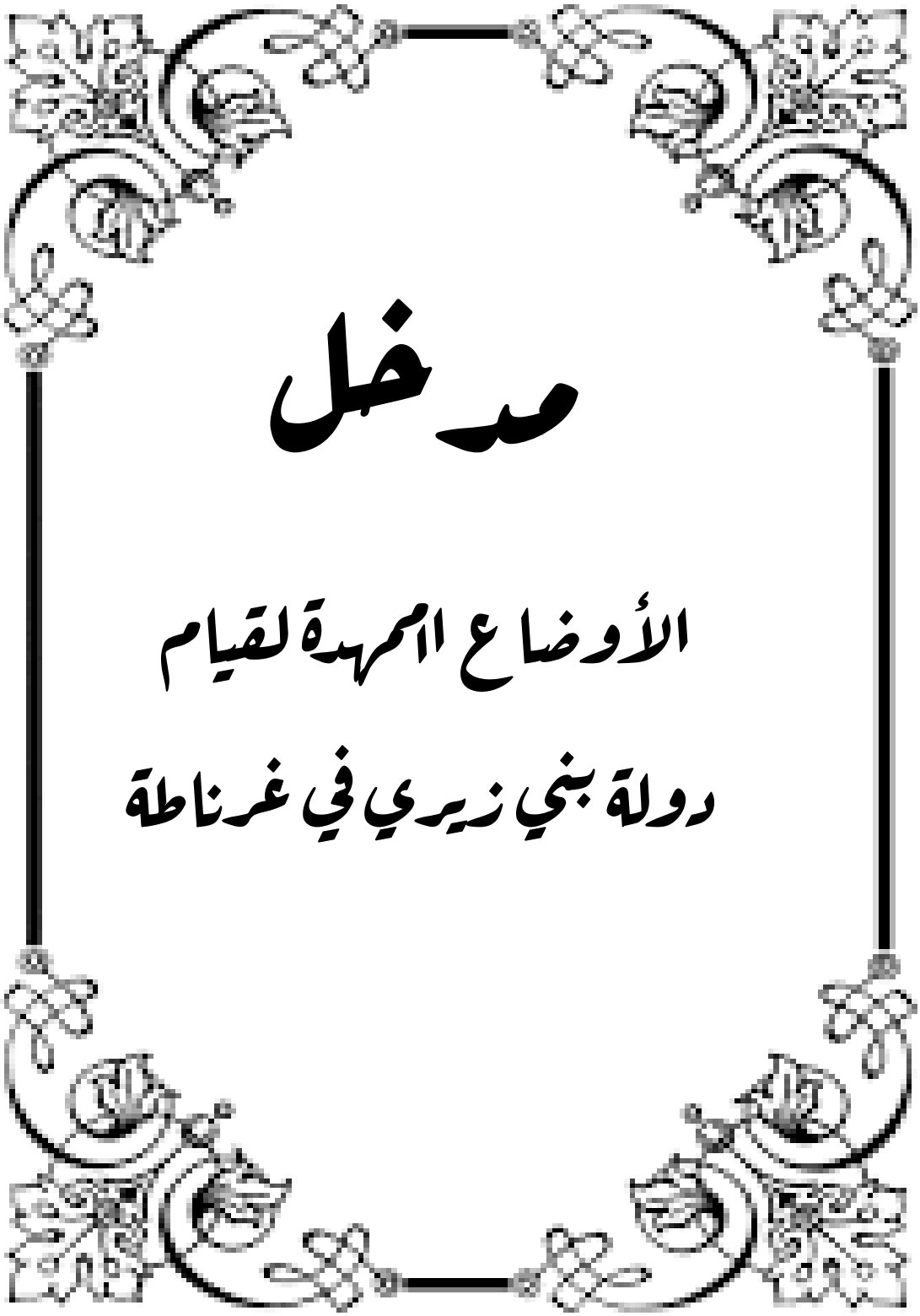

مدخل

الأوضاع الممهدة لقيام

دولة بني زيري في غرناطة

عرفت الأندلس في ظل الحكم الإسلامي حقبا سياسية مختلفة، من عصر الولاة الذي انطلق مع الفتح، إلى عصر الإمارة، والذي كانت بدايته مع تولي عبد الرحمن الداخل[1]، ثم عصر الخلافة الذي ارتبط قيامه بعبد الرحمان الناصر، ثم عصر الطوائف، ثم المرابطين والموحدين، وأخيرا مملكة بني الأحمر في غرناطة.

ويجمع المؤرخون على أن الخلافة الأموية في الأندلس سقطت في عام 422هـ/1031م. ولسنا نبالغ حين نزعم بأن سقوطها كان قبل ذلك بكثير، فمنذ وفاة الخليفة الحكم المستنصر وتولي ابنه هشام المؤيد العرش، صار الحكم الأموي اسميا فقط، ذلك أن الذي حكم الأندلس فعليا بعد وفاة المستنصر هو الحاجب محمد بن أبي عامر وولداه من بعده، حتى أن المؤرخين يسمون الفترة ما بين 366هـ و399هـ/977م و1009م بفترة الدولة العامرية، وكان تولي ابن أبي عامر الحكم في قرطبة[2] أشبه بالانقلاب الأبيض بالتعبير المعاصر إذ لم يكن فيه عنف ولا إراقة دماء.

1 **عبد الرحمن الداخل:** أول من ملك الأندلس، وانفلت من بين يدي بني العباس، وكان دخوله الأندلس سنة 139هـ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة 172هـ، وكانت ولايته ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر، وكان عبد الرحمن من أهل العلم على سيرة جميلة من العدل في قضائه. وكانوا يقولون ملك الدنيا ابنا بربريتين؛ يعنون المنصور العباسي وعبد الرحمن، وكان المنصور إذا ذكر له عبد الرحمن قال: ذاك صقر قريش دخل المغرب وقد قتل قومه، فلم يزل يضرب العدنانية بالقحطانية حتى تملك. ينظر الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، ج5، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، 2000، ج18، ص167.

2 – **قرطبة:** أعظم مدينة بالأندلس، وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشأم ومصر ما يدانيها فى كثرة أهل، وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محالّ، وعمارة مساجد، وكثرة حمّامات وفنادق. ينظر: ابن حوقل أبو القاسم محمد، صورة الارض، ج1، بيروت: دار صادر، 1938، ص 111.

1- قيام خلافة بني أمية في الأندلس:

1-1 خلافة عبد الرحمن الناصر:

بعد وفاة الأمير الأموي عبد الله بن محمد، وهو آخر حكام عصر الإمارة، عن عمر ناهز الاثنين والأربعين سنة، تولى عرش الأندلس حفيده عبد الرحمن بن محمد، وكانت ولايته من المستطرف، لأنه كان شابا وبالحضرة أعمامه وأعمام أبيه، ولم يختلفوا عليه، فحارب المخالفين وأثخن فيهم، حتى صلح له الأمر، ولم يزل يقاتل كل مارق حتى أذعنوا له وأطاعوه، فاستقامت على عهده البلاد وأمنت في دولته الرعية.[1] كان أبوه وَلِيَّ عَهْدِ والدِه، قتلهُ أخوهُ حسدا وذلك في سنة 277هـ/ 890م، فقتله أبوهُما به. وكان عمر محمد حين قتل سبع وعشرون سنة.[2]

وكان مولد عبد الرحمان في رمضان من سنة 277هـ/890م قبيل مقتل أبيه بعشرين يوما وكنيته أبو المطرف، ولقبه الناصر لدين الله، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس، وكان من تقدمه يدعى بالإمام خاصة، وكان ذلك عام 316هـ/928م، وسبب ذلك ما بلغه من ضعف الدولة العباسية في العراق، وأن المقتدر بالله[3] ولي الخلافة وهو دون الحلم.[4]

ويرى ابن الأثير، أن إعلان قيام الخلافة في الأندلس، من طرف عبد الرحمان الناصر، كان في عام 327هـ/939م، وأن من أسباب اتخاذ الناصر هذه الخطوة، هو قيام دولة العبيديين

---

1 – ابن الأثير أبو الحسن، الكامل في التاريخ، ج 6، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1997، ص ص 621– 622.

2 – الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج 8، تحقيق: مجموعة من المحققين، إشراف: شعيب الأرناؤوط، بيروت: دار الرسالة، ط3، 1985، ص 265.

3 – **المقتدر بالله:** واسمه جعفر بن المعتضد بالله وكنيته أبو الفضل، ولد ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة 282هـ، وبويع بالخلافة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما وذلك في 14 ذي القعدة 295هـ. ينظر: البغدادي أبو بكر، تاريخ بغداد، ج8، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 2002، ص 126

4 – مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: بوباية عبد القادر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص ص 203– 204.

في بلاد المغرب، ومخاطبة أمرائها بالخلفاء.[1] ويقول الذهبي أن ذلك كان في حدود 320هـ/932م.[2]

ويقول ابن حيان عن ذلك: "وفي هذه السنة – يقصد سنة 316هـ/928م – استكمل الناصر لدين الله مرتبة الخلافة، واستتم ميسمها بتسميته بأمير المؤمنين، وأخذ رعيته بذلك في جميع ما يجري منه ذكره، وإنفاذ كتبه بها في أقطار مملكته، وقطعه على استحقاقه لهذا الاسم الذي هو بالحقيقة له، ولغيره بالاستعارة، إذ هو ابن أمراء المؤمنين وسلالة الهداة الفاضلين، والأئمة المتقين القائمين بالحق السالكين سبيل الرشد..."[3]

وبإعلان قيام الخلافة، يكون الناصر قد أدخل تغييرا حاسما على طبيعة الدولة الأموية في الأندلس، فقد غدت خلافة إسلامية عامة، نظيرة لخلافة بني العباس، ومتولية شؤون الإسلام في الجناح الغربي من دون العبيديين. وقد استتبع ذلك؛ إدخال تعديل كبير في شكل خلافة قرطبة ونظامها، بحيث وضع عبد الرحمان نظما إدارية جديدة، تعطي دولته الهيبة والمكانة، فازداد بلاط قرطبة ضخامة ووجاهة، وكثر القواد في الجيش وتعددت المراتب وكثر الوزراء، ولقد كان عبد الرحمان يؤمن بالسلطان المطلق للخليفة، ولا يسمح بشيء من الاستقلال المحلي لولاة الأقاليم، وكان يرى وجوب تحول الأمة كلها، إلى أمة مستأمنة مطيعة، لا تخرج عن أمر الخليفة أبدا.[4]

ويحق أن يقال، أن الناصر كان ذروة ملوك بني أمية، طال عمره، واشتهرت أيامه وبعد صيته، وانتشرت طاعته بكل البلاد ، وعلت كلمته على المنابر، وقد ولي الناصر لدين الله الأمر والأندلس جمرة تحتدم، وقد عظمت فيها الفتن، وكان الناس يشبهونه بجده عبد الرحمان الداخل،

1 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 233.

2 – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 244.

3 – ابن حيان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: ف. كورينطي وآخرون، مدريد: المعهد العربي الاسباني للثقافة، 1979، ص 241.

4 – مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار الرشاد، ط4، 1999، ص 372

وهو الذي استنزل الثوار، وأثخن في الكفار، حتى لم يبق عليه في الأندلس مخالف، ولا نازعه منازع، ودخل الناس جميعا في طاعته وتحت لوائه.[1]

"وكان الخليفة الناصر مولعا بِعمارة الأرض، وإقامة معالِمها، وتخليد الآثار الدّالة على قوة مُلكه، وعزّة سلطانه وعلوّ همته، فأفضى به الإغراق في ذلك إلى ابتناء مدينة الزهراء."[2] ولقد ابتدئ بنيان الزهراء في أيام الناصر من أول سنة 325هـ/937م، وكان المتولي على البنيان ابنه الحكم، لم يتكل الناصر فيه على أمين غيره، وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاثة أثلاث: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث للادخار[3]، والزهراء بحق عديمة النظير في الحسن، وقد غرم عليها الناصر من الأموال ما لا يحصى،[4] استغرق بناؤها ست عشرة سنة.[5]

ولا شك في أن طول المدة التي حكم فيها عبد الرحمان، والتي شارفت على الخمسين سنة، تعتبر بحق واحدا من الأسباب التي أعانته على تحقيق العظائم التي قام بها، فلقد عاش هذا الرجل حتى هلك أعداؤه، وانفسح أمامه السبيل لكي يقيم الأمن ويعيد النظام، ويثبت الحدود وينظم الإدارة وينشئ المنشآت، كل ذلك في هدوء وثقة، وبلغ بذلك أقصى ما بلغه حاكم في العصور الوسطى. ولقد توفي الناصر في الثاني من رمضان سنة 350هـ/ 15 أكتوبر 961م، ودفن في

1 – ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار المكشوف، ط2، 1956، ص 29

2 – ابن خاقان الفتح بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1983، ص 245.

3 – ابن عذاري أبو عبد الله، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفسال، بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983، ص 232.

4 – الذهبي، شمس الدين، العبر في خبر من غبر، ج2، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، د ط، ص 85.

5 – الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج24، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1993، ص 47.

رياض قصر قرطبة، في مدافن أمراء البيت الأموي الأندلسي، وولي من بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمان الذي تلقب بالمستنصر.[1]

وقد ترك عبد الرحمان الناصر بعد وفاته، نبذة كتبها بخط يده، قدر فيها قيمة الحياة البشرية تقديراً غير مبالغ فيه يقول فيها: "مضت خمسون سنة منذ توليت الخلافة، فتمتعت بما لا يزيد عليه شيء من الثراء والمجد والنعم، فاحترمني الملوك وخافوني وحسدوني، وحباني الله بأقصى ما يرغب فيه الإنسان، فأحصيت أيام السرور التي صفت لي دون تكدير، في هذه المدة الطويلة فكانت أربعة عشر يوماً، فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا، وعدم صفائها وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها".[2]

1-2 خلافة الحكم المستنصر:

ولي الخلافة بعد أبيه الناصر، وهو ابْن ثَمَان وَأَرْبَعين سنة، وَذَلِكَ يَوْم الْخَمِيس الثالث من رَمَضَان سنة 350هـ/ 20 أكتوبر 961م، وتُوفِّي في مطلع شهر صفر سنة 366هـ/أكتوبر 977م. فكانَت خلَافته خمس عشرَة سنة وأزيد، استغرقت خلَافة أَبِيه الطَّوِيلَة عمره، وَكَانَ حسن السِّيرَة فَاضلا عادلا شغوفا بالعلوم، وَلم يسمع فِي الْإِسْلَام بخليفة بلغ مبلغ الحَكَم فِي اقتناء الْكتب والدواوين وإيثارها.[3]

وقيل إن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب التي في خزائنه أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا أسماء الدواوين فقط. وقد بدأ عهده بعد توليه بإصلاح شأن

1 – مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص381– 382.

2 – ديورانت وليام جيمس، قصة الحضارة، ج13، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، بيروت: دار الجيل، 1988، ص 284

3 – ابن الأبار محمد بن عبد الله، الحلة السيراء، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985، ص 200

رعيته، فأحسن إليها وحط وظائفها، وسرح السجون، وأكثر من الصدقات، وفدى الأسرى وأدى المغارم، وعدل في الرعية، وضبط الثغور.[1]

ولقد تعرضت الأندلس في عهده، لكثير من المخاطر الخارجية والداخلية، وأبرزها الخطر القشتالي، وخطر المجوس النورمان، كما كان له صولات وجولات ضد العبيديين في المغرب. ولقد طمع النصارى ومنَّوا أنفسهم باجتياح بعض ثغور الأندلس؛ استخفافا بالحكم بعد موت أبيه، فاضطر الحكم أن يوجه إليهم رسالة قوية، فجهز ضدهم حملة عسكرية قادها بنفسه سنة 351هـ/ 962م، غنم فيها مدنا وحصونا كثيرة، وهو ما جعل النصارى يبادرون إلى عقد الصلح معه، إذ لم يكن لهم من وسيلة أخرى يتجنبون بها مواجهته، وهو الذي أظهر تفوقا عسكريا ملحوظا.[2]

وبرغم كل ما ميز عهد الحكم المستنصر، من تفوق على كل الأصعدة، السياسية منها والعسكرية، وبرغم الازدهار الحضاري، إلا أن هناك من يرى أن وسم الخلافة الأموية، لم يرتبط فعليا إلا بعبد الرحمان الناصر، ذلك أن المستنصر هو من فتح الباب للحجاب، ليبدأ معه عهد نفوذهم واستئثارهم بالسلطة.[3]

وفي أوائل سنة 365هـ/ 976م شعر الحكم بدنو أجله لعلة أصابته، وهو لا يزال في سن الرابعة والستين، فعقد البيعة لابنه هشام وكان لا يزال طفلا، وذلك بسبب تعلقه الشديد به، وبأمه صبح البشكنسية[4] التي سعت له في ذلك، وقد انتقده الناس لأجل ذلك وتحاملوا عليه. وتوفي

1 – مجهول، تاريخ الاندلس، ص ص211– 212

2 – حتاملة محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، عمان: مطابع الدستور التجارية، 2000، ص 387

3 – شبارو، عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (91– 897هـ/ 710– 1492م)، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2000، ص 191.

4 – **صبح البشكنسية:** جارية نافارية وهي حظية الحكم وأم ولده هشام المؤيد، منحت الوصاية على ولدها، واكتسبت بذلك صفة شرعية في الاشتراك في الحكم. ينظر: عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 1997، ص 520.

المستنصر في الثاني من صفر سنة 366هـ/ الرابع من أكتوبر سنة 976م، وبموته انتهى عصر الخلفاء العظام من بني أمية الأندلسيين.[1]

1-3 خلافة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر:

يقول ابن خلدون: "ثم أصابت الحكم العلّة، فلزم الفراش إلى أن هلك سنة ست وستين وثلاثمائة لست عشرة سنة من خلافته، وولي من بعده ابنه هشام صغيرا مناهز الحلم، وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر، نقله من خطة القضاء إلى وزارته، وفوّض إليه في أموره فاستقل وحسنت حاله عند الحكم، فلما توفي الحكم بويع هشام ولقب المُؤيّد بعد أن قتل ليلتئذ أخو الحكم المرشّح لأمره، تناول الفتك به محمد بن أبي عامر."[2]

ولقد بويع لهشام بن الحكم المستنصر يوم الاثنين 3 صفر 366هـ/ 5 أكتوبر 976م، وقيل أنه لم يعترض على هذه البيعة أحد، والأكيد أنه كان لمحمد بن أبي عامر ورهطه، يد في ترويع المبايعين وإكراههم على البيعة، ولم يلبث محمد بن أبي عامر أن تخلص من منافسيه من المقدمين في القصر، ورقي وزيرا، ثم حاجبا أي رئيسا للوزراء.[3]

ويذهب البعض بأن هشام المؤيد كان به سفه وتخلف، اشتغل في حياته بما لا ينفعه ولا ينفع الرعية وقيل فيه: "نشأ جامد الحركة أخرس الشمائل لا يشك المتفرس فيه أن نفس حمار في صورة آدمي". ويروى من أوجه سفهه الكثير، وقيل أنه كان كلما زاد سنا نقص عقلا، وكان ابن أبي عامر كلما رأى من سفهه أو سمع عنه، حمد الله وأثنى عليه، لأنه كان يرى في ذلك منجاة له وصلاحا للمسلمين، وذلك أن السلطان الذي تصلح معه الرعية اثنان: إما سلطان قاهر ذو رأي

1 – مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 389

2 – ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 4، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ط2، 1988، ص 188

3 – مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 391

عارف بما يأتي ويذر مستبد بنفسه، وإما سلطان مثل المؤيّد تُدَبّرُ الدنيا باسمه ولا يخش المتفرغ لحراسة سلطانه غائلة.[1]

ولسنا نستريح لهذا الطرح البتة، وربما هو بعض من أراجيف، صاحبت خطة إخماد ذكر المؤيد، والتبرير لابن أبي عامر كل ما فعله بحقه، واستئثاره بالسلطة مكانه، فكيف لفتى بكل هذا السفه والخلل، أن يوليه عهده رجل مثل الحكم، عرف عنه صلاحه وورعه، مهما كان حبه لولده، وحوله إخوة وأعمام وعشيرة، لا يمكن أن يقبلوا أن يسودهم رجل سفيه بلا عقل، حتى وإن قبلوا حكم الصبي.

ويقول دوزي: "كان الخليفة هشام بن الحكم كما شهد مؤدبه الزبيدي قد أظهر في طفولته من آيات الذكاء ما جعل الآمال منوطة به، فكان يعي في يسر عجيب كل ما يلقيه عليه أستاذه كما وهبه الله دقة في الحكم على الأمور قل أن تتوفر لغلام في مثل عمره، ولكنه إذ تبوأ العرش وهو حدث فقد عكفت أمه والمنصور على إخماد ملكاته... ونجحا إلى حد ما في خطتهما فانصرف الخليفة الغلام هشام إلى أعمال البر يوليها اهتمامه، وأخذ نفسه على التلاوة والعكوف على الصلاة والصيام..."[2]

ويقول ابن سعيد الأندلسي: "...وكانت أمه صبح هي التي أظهرت المنصور بن أبي عامر ويقال إنها أرضعته، ولهذا كان يقال له ظئر هشام، فلما تغلب ولم يرع صبحا قالت لابنها: أما ترى ما يصنع هذا الكلب؟ فقال دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا."[3] فهل هناك عاقل يصدق أن هذه الإجابة تصدر من سفيه متخلف. ولو كان هشام بليدا كما أشيع عنه؟ لماذا كان الحاجب يمنعه

1 – ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ج1، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط3، 1955، ص 195

2 – دوزي رينهرت، المسلمون في الاندلس، ج2، ترجمة: حسين حبشي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 110

3 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 195

من التواصل مع الناس، وقد أحاط القصر الذي كان يحجب فيه هشام المؤيد بالحرس والعيون، ولم يهدأ حتى سوّر القصر وخندق حوله؟

2- قيام الدولة العامرية في الأندلس:

2-1 عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر:

بعد وفاة المستنصر وبسبب تولية ابنه الصبي، اختلفت البلاد، وأخذ الخليفة هشام وحبس، حبسه حاجبه محمد بن أبي عامر، وواراه عن الناس. وقام بأمر دولته فعدل في الرعية، وأقبلت الدنيا إليه، وكان كثير الغزو، فتح من بلاد الأعداء كثيرا، وامتلأت بلاد الأندلس بالغنائم والرقيق في عهده، وقد جعل منهم أكثر جنده، وكانوا يعرفون بالعامريين، وكان أصل ابن أبي عامر من الجزيرة الخضراء[1]، ورد شابا إلى قرطبة، طالبا للعلم والأدب، فبرع وتميز، ثم تعلق بخدمة صبح والدة هشام المؤيد، وصار وجيها عندها.[2]

يقول ابن عذاري عن محمد بن أبي عامر: "وكان محمد هذا حسن النشأة ظاهر النجابة تتفرس فيه السيادة، سلك سبيل القضاة في أوليته، مقتفيا آثار عمومته وخؤولته فطلب الحديث في حداثته، وقرأ الأدب... وكان الحكم، لشدة نظره في الحدثان، يتخيل في محمد بن أبي عامر أكثر الصفات المجتمعة إلى النسب والبلدة، كما أن الحكم قد كان وقف في الأثر على البقعة التي بنيت فيها الزاهرة[3]... ووجد انتقال الملك إليها... فكان من غريب الأمور أن محمد بن أبي عامر تولي

---

1 – **الجزيرة الخضراء:** مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا وسورها يضرب به ماء البحر، وبينها وبين قرطبة خمسة وخمسون فرسخا. ينظر: الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج2، بيروت: دار صادر، ط2، 1995، ص 136

2 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص 349

3 – **الزاهرة:** مدينة متصلة بقرطبة على نهرها الأعظم، بناها المنصور بن أبيي عامر، وابتدئ في بنائها سنة 368هـ، وانتقل إليها المنصور سنة 370هـ، ونزلها بخاصته وعامته، وقامت فيها الأسواق وكثرت فيها الأرزاق، وتناهى الغلو في بنائها حتى اتصلت أرباضها بقرطبة. ينظر: الحميري أبو عبد الله، صفة جزيرة الاندلس، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار الجيل، ط2، 1988، ص 82

النظر في شأنها مع من نظر فيها... فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء...ولم يزل الحكم يقدم محمدا ويؤثره، إلى أن ولي العهد ابنه هشام، فزاد مقداره لخاصته بولي العهد، ومكانه من السيدة والدته."[1]

ويقول عنه المراكشي في المعجب: "أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني، وكان أصل ابن أبي عامر هذا من المدينة المعروفة بـ الجزيرة الخضراء... إلا أنه كان شريف البيت قديم التعين، ورد شابًّا إلى قرطبة فطلب العلم والأدب وسمع الحديث وتميز في ذلك وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور... ولم تزل حاله تعلو منذ ورد قرطبة إلى أن تعلق بوكالة السيدة صُبح أم هشام المؤيد ابن الحكم والنظر في أموالها وضياعها، فزاد أمره في الترقي معها إلى أن مات الحكم المستنصر."[2]

ومذ صار ابن أبي عامر حاجبا للمؤيد، فقد عمل على التخلص من منافسيه حتى أصبح صاحب السلطة العليا دون منازع ولا مدافع، ولم يكن الخليفة هشام المؤيد بعد ذلك سوى أداة لينة في يده. على أن ابن أبي عامر لم يقنع بما حققه لنفسه من الاستئثار بالسلطة الفعلية، وبالرغم من أنه لم يفكر يوما في القفز على شيء من رسوم الخلافة الشرعية، فإنه اتجه إلى أن يتشح بحلل الملك في صورة من صوره، ولأنه كان يخشى على نفسه من الوجود في قصر الزهراء، ومما قد يضمره له بعض الحاقدين المتربصين، فقد رأى أن يتخذ مركزاً مستقلا للإدارة والحكم، يجمع بين السلامة ومظاهر السلطان والعظمة، فوضع أسس مدينة ملوكية جديدة أسماها الزاهرة.[3]

و يذكر من دهاء الحاجب المنصور وغرائب سياسته، أنه لما خاف من تغير جنده عليه إذا ما أمرهم بما يكرهوه، تفطن إلى أن يكون جنده من قبائل مختلفة، فإن خرج بعضهم على الطاعة

1 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص ص 257– 258

2 – المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2006، ص ص 30– 31

3 – عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص 535

غلبه بالفئات الأخرى، ولذلك استجلب إليه من رؤساء القبائل البربرية المختلفة، من المشهود لهم بالجلد وقوة الشكيمة والصبر على المكاره، وكان على رأس هؤلاء أبناء زيري، وإليهم كان الرأي والمشورة والحكم على من دونهم من الأجناد.[1]

ولقد نفر الأندلسيون وقدماء المحاربين من ذلك الجيش نفورا شديدا، وكان ذلك من سعد ابن أبي عامر وحسن طالعه، فقد استطاع بذلك أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فمن جهة ضمن استحالة تحالف قدماء المحاربين الأندلسيين مع الجنود البرابرة، كما ضمن تمسك البربر به، وذلك لشعورهم بأن مستقبلهم معتمد عليه. وفي أثناء ذلك أخذ ابن أبي عامر بمطاردة كل الظاهرين من بني أمية الذين يخشى منافستهم، فاضطهد وقتل منهم الكثيرين، ومن بقي منهم فهم بين هارب ومذعن لا يسمع له صوت.[2]

ولم يزل المنصور محمد بن أبي عامر طوال أيام استئثاره بالسلطة، مواصلاً لغزو الروم مفرطًا في ذلك، لا يشغله عنه شيء، غزا في أيام مملكته أزيد عن خمسين غزوة، وفتح فتوحًا كثيرة ووصل إلى معاقل، كانت قد امتنعت على من كان قبله، وملأ الأندلس غنائم وسَبْيًا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وكان كلما انصرف من قتال العدو إلى سُرَادقه، يأمر بأن ينفض غبار ثيابه وأن يُجمع ويُتحفظ به، فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك أن ينثر على كفنه إذا وضع في قبره، وكانت وفاته بمدينة سالم[3]، وتاريخ وفاته سنة 393هـ/1002م، فكانت مدة إمارته نحوًا من سبع وعشرين سنة.[4]

---

1 – ابن بلقين عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله (التبيان)، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف، ص 31

2 – مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 393

3 – **مدينة سالم:** وهي مدينة رائعة البقعة حصينة شديدة المنعة كثيرة الاشجار والثمار كثيرة الخصب رخيصة الاسعار، ينظر الحميري، الروض المعطار، ص 469. وذكرها ابن عذاري بقوله: " في سنة 335هـ، ابتنى الناصر مدينة سالم القديمة التعطيل بالثغر الأوسط الشرقي، المواجهة لبلد قشتيلية، وهي يومئذ خالية مقفرة... وبنيت أحسن بناء، واكتمل بناؤها وعمرانها على مرور الأيام، فنفع الله المسلمين بها وصيرها شجا في حلوق الكافرين." ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 214.

4 – المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 37

وبرغم كل مآثر ابن أبي عامر والتي لا ينكرها إلا جاحد، إلا أنه يؤخذ عليه استيلاؤه على ما ليس له بغير وجه حق، فلقد أغمد ذكر الخليفة الشرعي، وحبسه وحجبه عن الناس، وتولى مكانه، وابتدأ عهده بسفك الدماء، فكان قتل عم الخليفة المؤيد، أول خطوة في طريق السلطة، وبذلك يكون قد سنّ سنة جديدة كان لها أثرها الخطير، على تفتت الأمة وانقسامها، ومن ثمّ زوالها، فما فعله الحاجب المنصور من قفزة على السلطة واستئثاره بها، كان لا بد من أن يؤدي في يوم من الأيام إلى نشوب الفتنة التي سيشعلها من يظنون أنهم أحق بالخلافة من الحاجب وأولاده.

2-2 الأندلس بعد وفاة الحاجب المنصور:

بعد وفاة محمد بن أبي عامر، خلفه على الحجابة ابنه عبد الملك المظفر، وعرف عنه ضبطه للدولة كما كانت في عهد أبيه، لذلك أحبه الناس، وانصب التأييد والإقبال عليه انصبابا لم يسمع بمثله، وسكن الناس منه إلى عفاف ونزاهة، وبلغت الأندلس في أيامه إلى نهاية الجمال والكمال، والهدوء والرفاهية، وقد اشتهر عنه حبه للغزو والجهاد في سبيل الله، إلا أنه لم يكن فيه للأدب ما كان له من أبيه. فقد كان مائلا لمجالسة العجم الجفاة من البرابر والإفرنج، منهمكا في الفروسية وآلاتها، ومع ذلك فإنه لم يخل بأصحاب أبيه ولا جفاهم، بل أبقاهم على ما كانوا عليه.[1]

وتوفي المظفر في 16 صفر سنة 399 هـ/ 21 أكتوبر 1008م ، وقيل إنه توفي مسموماً من شربة دست له بتحريض أخيه عبد الرحمن، ولم يكن قد جاوز الرابعة والثلاثين من عمره، وقد حكم عبد الملك المظفر ستة أعوام وبضعة أشهر، مضى فيها على سيرة أبيه حتى فيما اختص بالإبقاء على الخليفة هشام محجوباً في قصره، على أنه كان أكثر تودداً للخليفة، ورفقاً به من أبيه، فقد كان يدعوه إلى قصره بالزاهرة للتريّض والاستجمام، وكان هشام ينفق أوقاتاً في ضيافته.[2]

1 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص ص 212– 213

2 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص ص 615– 616

وبعد وفاة المظفر خلفه أخوه عبد الرحمان الناصر، وقد كان هذا الرجل بضد أخيه، إذ قام نحسا على نفسه وعلى أهل الأندلس، وبتوليه انفتح باب الفتنة العظمى واختل شأن الأندلس. فما إن مات المظفر، حتى استولى على حجابة هشام المؤيد، فأخذ في الانهماك شربا وزندقة، وعرف عنه من الطعن في الدين حكايات شنيعة، وأجبر هشام المؤيد أن يوليه العهد من بعده، ففعل ولقبه بالمأمون، وحين رأى بنو مروان أن الخلافة خارجة عنهم ثاروا عليه وقتلوه، وبمقتله انقرضت الدولة العامرية.[1]

ولم يدم حكم عبد الرحمان الناصر إلا أشهرا قليلة، من سنة 399هـ/1008م وإثر مقتله، اضطرمت نيران الفتنة التي سميت تارة قرطبية وتارة بربرية، وقد كان اشتعال هذه الفتنة سببا في انقسام الأندلس وتفرقها شيعا، كل حزب بما لديهم فرحون، واقتطعت البلاد وقسمت على الطوائف التي ساد بينها التناحر والتباغض والدسائس، حتى هانوا واستخفهم عدوهم واستباحهم النصارى، وصاروا من بعد الغلبة مغلوبين على أمرهم، لا حول لهم ولا قوة، يدفعون الجزية صاغرين، وفي سنة 422هـ/1031م دُقَّ آخر مسمار في نعش الخلافة الأموية وانقرض بذلك حكم الأمويين بصفة نهائية من الأندلس، وإن كان عصر دول الطوائف قد ابتدأ قبل هذا التاريخ بسنوات عديدة.

2-3 سقوط الخلافة الأموية في الأندلس:

بعد وفاة عبد الملك المظفر خلفه أخوه عبد الرحمان الناصر، والذي غلب عليه لقب شنجول أو شنشول، ونتيجة لتصرفاته المنحرفة أبغضه معظم أهل قرطبة، وخاصة المروانيين منهم، والذين ازداد حنقهم عليه بعدما أقدم على أمر خطير لم يسبقه إليه أبوه ولا أخوه، وهو أن طلب من هشام المؤيد توليته العهد من بعده، وذلك بعد شهر واحد فقط من توليه، برغم أن صفاته لا تؤهله لذلك،

1 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 213

فضلا على كون هذا الأمر سيثير ضده الكثير من الأندلسيين، ويؤلبهم ضده وضد الموالين له، خاصة أفراد الجيش الذي شكله أبوه المنصور.[1]

يقول ابن حيان: "ولما مضى شهر ونصف تصنع للخليفة هشام بن الحكم وطلب منه أن يوليه العهد من بعده، وأن يتسمى بولي عهد المسلمين، ففعل ذلك هشام معه لضعفه وسوء نظره ونقصان فطرته، فولّاه عهده، فكان ذلك سبب انحراف أكابر الأندلس عن عبد الرحمان لما تبين لهم من سخف عقله وسرعته إلى نقل المملكة عن خلفائها إليه دون غزاة ولا نصرة في حرب..."[2]

ولم يزل الوضع في قرطبة مضطربا مدة أربعة أشهر، إلى أن قام عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، في شهر جمادى الآخرة من سنة 399هـ/ فيفري 1009م فخلع هشام المؤيد وقبض على عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر، فقتله وصلبه.[3]

ويعتبر محمّد بن هِشَام بن عبد الجبَّار بن النَّاصِر، أول من فتح على بني أميَّة بالمغرب بَاب الفتنة، بخلعه لهشام المُؤَيد، وَقتله لعبد الرَّحمن الْحَاجِب ابن أبي عَامر، ولقد ذلّ له الوزراء والصقالبة وَجاءُوا وَبايعوه، وَكان أن أمر بِنَهْب دور بني عَامر، وانتهب جَمِيع مَا فِي الزهراء من الأموال وَالسّلَاح حتَّى قلعت الأبواب، وخطب له بالخلافة بقرطبة وَتسمى بالمهدي وَقطعت دَعْوَة المؤَيد وَصلى الجمعة بالنَّاس.[4]

وقد تربع محمد بن هشام المهدي على كرسي الخلافة، في 17 جمادى الآخرة من سنة 399هـ/ 21 فبراير 1009م، وما كاد يشعر باستقرار أمره، وتمكن سلطانه، حتى أطلق العنان

---

1 – بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، 92– 422هـ / 711– 1031م، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011، ص ص 309– 310

2 – هاجر بوباية، أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي، أطروحة دكتوراه ل. م. د في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: تواتية بودالية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2019– 2020، ص 277

3 – المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 39

4 – الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، ج5، ص 108

لطغيانه وأهوائه، وتعامل الموكلون بالقصر من رجاله مع البربر بمنتهى الشدة والفظاظة، وكان المهدي ورجاله يخصونهم بالبغض والزراية، وانساق أهل قرطبة معه في هذه العاطفة، وبدا سخط المهدي نحو البربر في سوء معاملتهم، ولم يفرق في ذلك بين أصاغرهم وأكابرهم، حتى أن زعيمهم زاوي بن زيري بن مناد عند مقدمه إلى القصر مع جماعة من رجاله، ردوا عند الباب بفظاظة وأهينوا، فانصرفوا وقلوبهم تضطرم سخطاً.[1]

ولم يزل المهدي واليًا إلى أن قام عليه هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر مع البربر، في الخامس من شوال سنة 399هـ/07 جوان 1009م، فانهزم البربر وأُسِرَ هشام وقتل. واجتمع البربر عند ذلك فقدموا على أنفسهم سليمان بن الحكم بن سليمان، وكان هشام القتيل عمه، فنهض بالبربر واستعان بالنصارى وأتى بهم إلى قرطبة، وفرَّ المهدي إلى طليطلة، ثم عاد لملاقاة سليمان بما جمعه من جند، وكانت الغلبة هذه المرة على سليمان وجنوده، واستولى المهدي على قرطبة ثم خرج بعد أيام إلى قتال جمهور البربر، فكانت الهزيمة على المهدي، وعند عودته إلى قصره وثب عليه العبيد وقتلوه، وردوا هشام المؤيد وكانت ولاية المهدي سبعة عشر شهرا.[2]

وهكذا استرد هشام المؤيد الخلافة، بعد سلسلة من الأحداث المثيرة، وكان يومئذ كهلا وكان قد مضى عليه مذ ولى الخلافة صبياً لأول مرة أربعة وثلاثون عاماً، وفي تلك الفترة شهدت الأندلس طائفة من الأحداث الجسام، لم تشهد مثلها من قبل، فقد شهدت قيام الحاجب المنصور ودولته العامرية، واختفاء سلطة الخلافة، ثم شهدت الثورة الغامرة التي أطاحت بالدولة العامرية وعود الخلافة الأموية في ثوبها الباهت المهلهل، على يد مغامرين، وشهدت وفاة هشام المزعومة

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص ص 642 – 644

2 – المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 40

ثم بعثه من جديد، وعودته إلى تولي الخلافة، شبحاً من أشباح الماضي، وألعوبة في يد الفتيان العامريين أصحاب الحول والسلطان، بعد ابتعاد البربر ومصرع المهدي.[1]

وكان سليمان بن الحكم أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس، ورجاله ومن معهم من البربر يقتلون وينهبون كل ما يجدون من الأموال، إلى أن دخلوا معه قرطبة عنوة في صدر شوال سنة 403هـ/ أفريل 1013م، فاستباحوها وقتلوا أهلها، وغيّب سليمان هشام المؤيد، فلم يره أحد بعد ذلك، وأقام سليمان واليا إلى أن ثار عليه علي بن حمود العلوي الإدريسي، فقتله يوم الأحد 08 محرم سنة 407هـ/22 جوان 1016م، وقتل معه أباه الحكم بن سليمان وأخاه عبد الرحمن وادعى أن هشام المؤيد عهد إليه بالأمر من بعده.[2]

ويرى صاحب تاريخ الأندلس، أنه بمقتل الخليفة سليمان المستعين، انقرضت الدولة الأموية الأندلسية بعد أن عمرت 268 سنة.[3] لتبدأ دولة بني حمود الصنهاجية، والذين يرى ابن الخطيب بأنهم ينتسبون إلى الأسرة العلوية الإدريسية، وبذلك يكون علي بن حمود هو أول هاشمي حكم بالأندلس.[4]

ولقد خرج على علي ابن حمود، بعض من قادته وغلمانه، ذلك أن سبب قدومهم معه كان طمعا في العثور على الخليفة هشام المؤيد، وحين لم يجدوه فارقوا عليا صاحبهم، وبايعوا رجلا أمويا كان يلقب بالمرتضى، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، كان في جيان مستخفيا. ولقد اجتمع إلى عبد الرحمن المذكور جمع غفير، فجمع علي بن حمود

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص ص 649– 650

2 – ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص 7

3 – مجهول، تاريخ الأندلس، ص 241

4 – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 128

جموعه وهمّ أن يقصدهم من قرطبة، لكن غلمانه باغتوه وهو بالحمام وقتلوه، وذلك في شهر ذي القعدة سنة 408هـ/ مارس 1018م وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وكانت ولايته سنة وتسعة أشهر.[1]

فولي بعده أخوه القاسم المأمون، وكان وادعاً أمن الناس معه، وبقى القاسم كذلك إلى شهر ربيع الأول سنة 412هـ/1021م، إذ قام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود، فهرب القاسم عن قرطبة بلا قتال، فدخلها يحي دون مانع، وتسمى بالخلافة وتلقب بالمعتلي، فبقي كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره، واستمال البربر، وزحف بهم إلى قرطبة فدخلها في سنة 413هـ/1022م، وخرج منها يحي المعتلي، وبقي القاسم بقرطبة شهوراً ثم اضطرب أمره، وقام عليه جماعة أهل قرطبة في المدينة، ونازلوه وحصروه حتى صار في قبضة ابن أخيه يحي، وبقى في الأسر إلى أن مات.[2]

ثم رجع الحكم من بعد يحي بن علي إلى الأسرة الأموية مرة أخرى، وذلك بتولي عبد الرحمان بن هشام بن عبد الرحمان الناصر، وهو أول ملوك بني أمية في دولتهم الثانية بالأندلس. إذ أنه لما انهزم البربر والقاسم الحمودي من أهل قرطبة، اتفق رأي أهل قرطبة على رد بني أمية، فاختاروا عبد الرحمن بن هشام، وبايعوه بالخلافة في 13 رمضان من سنة 414هـ/ 04 ديسمبر 1023م، وتلقب بالمستظهر بالله، فكانت ولايته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما ثم قتل، وكان سبب قتله أنه سجن جماعة من أعيان قرطبة، وأخذ أموالهم، فسعوا عليه من السجن، وشحنوا الناس ضده، فقاموا عليه وقتلوه، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة 414هـ/ فيفري 1024م.[3]

ويرى ابن الخطيب أن سبب مقتله كان لاستقباله وفدا من البربر، وإكرامه إيامهم، وكان أهل قرطبة يكرهونهم ويخافون رجوعهم، فثاروا بوفد البربر وقتلوهم، وتتبعوا المستظهر وانتهكوا حرمه

1 – ابن الوردي عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996، ص ص 317– 318

2 – الحميدي محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف وللنشر، 1966، ص ص 23– 24

3 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 622

على غير العادة، وكان أن نزع عنه ثيابه واختبأ داخل حمام، لكنهم عثروا عليه واستخرج بحال خبيثة فبطش به وقتل.[1]

وولى بعده محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمان الناصر، وله ثمان وأربعون سنة وأشهر، ولقب بالمستكفي، وكان أبوه قد قتله محمد بن أبي عامر في أول دولة هشام المؤيد. ولى ستة عشر شهراً وأياماً، إلى أن خلعه أهل قرطبة، وكان سبب موته أن المستكفي وهو في طريقه إلى مدينة سالم التي قصدها فارّا بنفسه، جلس ليأكل، وكان معه خادم له يدعى عبد الرحمن، كره التمادي معه فسمّه في دجاجة دهنها له، فلما أكلها مات لوقته فقبره هنالك، وكان المستكفي في غاية التخلف، وله في ذلك أخبار يقبح ذكرها، وكان مُتَغلَّباً عليه طول مدته، لا ينفذ له أمر ولم يكن له عقب.[2] وقيل أن قتله كان غيلة قتله أصحابه لمال وجوهر نفيس كان معه.[3]

وكان من شنيع ما صنع المستكفي، سعيه في محو الذاكرة الحية للأمة الاسلامية، وذلك من خلال تدمير ما أنجزه أبناؤها العظام، من حضارة راقية في الأندلس، وكان من ذلك أمره بتخريب ما بقي من قصور المنصور بن أبي عامر، ولقد بقي منصب الخلافة شاغرا بعد فراره لمدة ستة أشهر تقريبا، وكأن الناس قد زهدوا في هذا المنصب لما رأوا من علله، وبعد وفاة المستكفي أعيدت بيعة يحي بن علي بن حمود الذي وصل إلى قرطبة، في شهر رمضان من سنة 416هـ/ أكتوبر 1026م، وبعد شهرين فقط من الاستقرار، عادت الفوضى من جديد، وحدثت مجزرة كبيرة بحق البربر في ربيع الاول من سنة 417هـ/ ماي 1026م، وبهذه الحادثة انتهى حكم بني حمود من الأندلس.[4]

1 – ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص 135

2 – الحميدي، جذوة المقتبس، ص 27

3 – مجهول، تاريخ الأندلس، ص 247

4 – بوباية، البربر في الأندلس، ص ص 358 – 361

ولما انقطعت دعوة يحيى بن علي عن قرطبة، أجمع رأي أهل قرطبة على رد الأمر إلى بني أمية، وكان عميدهم في ذلك الوقت، الوزير أبو الحزم جَهْوَر بن محمد[1]. فراسل جهور من كان على رأيه من أهل الثغور والمتغلبين هنالك على الأمور، فاتفقوا بعد مدة طويلة على تقديم أبي بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وكان هشام مقيمًا بأحد الحصون، من الثغور، فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة 418هـ/ أفريل 1027م، وتلقب بالمعتد بالله.[2]

وكانت خلافة المعتدّ بالله بقرطبة، سنتان وأربعة أشهر وفي الثغر سنتان وسبعة أشهر وأيّاما، وبويع له وهو شيخ ابن أربع وستّين سنة، وكان دخوله قرطبة يوم ثامن ذي الحجة سنة 420هـ/ 23 ديسمبر 1029م، وقد قامت عليه فرقة من الجند فخلعوه، وذلك في شهر ذي الحجّة من سنه 422هـ/ ديسمبر 1031م، وبعد خلعه انقضت الخلافة الأمويّة في الأندلس، واستولى على قرطبة جهور بن محمّد وجعل نفسه ممسكا للوضع الى أن يأتي من يستحق فيسلّم الأمر اليه، وبقى المعتدّ هشام مدّة معتقلا، ثمّ هرب ولحق بلاردة[3] وأقام في كنف بني هود إلى أن مات سنة 427هـ/ 1036م.[4]

---

1 – **أبو الحزم جهور**: ابن محمد بن جهور بن عبد الله ابن محمد بن المعمر بن يحيى بن أبي المغافر بن أبي عبيدة الكلبيّ، كان رئيس الجماعة أيام الفتنة بقرطبة وكانت لهم وزارة الدولة العامرية بقرطبة واستبد جهور هذا سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، لما خلع الجند المعتد آخر خلفاء بني أمية، ولم يدخل في أمور الفتنة، فاستولى على المملكة ورتب الأمور، ولم يتحول عن داره إلى قصر الخلافة، وكان على سنن أهل الفضل يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويشهد الجنائز ويؤذن عند مسجدهم ويصلي التراويح ولا يحتجب عن الناس فأسندوا أمرهم إليه إلى أن يوجد خليفة. ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص 204

2 – المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 50

3 – **لاردة:** مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طركونة، منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف، ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون، ونهرها يقال له سيقر. ينظر: الادريسي محمد، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج5، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1409هـ، ص 7

4 – ابن الفوطي كمال الدين، مجمع الآداب في معجم الالقاب، ج5، تحقيق: محمد الكاظم، إيران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، 1416هـ، ص 316

وخلال هذه الحوادث الأليمة وقف أهل الأندلس يترقبون مآل الأمور، وكانت ولايات الأندلس في معظمها تحت حكم رجال من الحزب العامري، ولقد شهدت هذه الفترة انعدام السلطة المركزية تقريبا، واضطر أولئك الولاة إلى الانفراد بولاياتهم، وتعاقب على عرش بني أمية عدد من الأمويين المغامرين، وعندما يئس القرطبيون من العثور على شخصية أموية تستطيع النهوض بالمسؤولية، اجتمع كبار قرطبة في ذي القعدة 422هـ/ نوفمبر 1031م وقرروا إلغاء الخلافة القرطبية، وهذا القرار هو الذي تولد عنه عصر جديد في الأندلس هو عصر الطوائف، إذ استقلت كل طائفة بما تحت أيديها من بلاد، ليكون هذا الفعل بداية النهاية لحكم المسلمين في الأندلس.[1]

ولقد ساهم تعدد الأعراق والطوائف في الأندلس، من عرب وبربر وصقالبة ومستعربين ويهود في إضعاف الخلافة وإسقاط الدولة الأموية برمتها، ويشبه بعض المؤرخين ما حدث في الأندلس بالحركة الشعوبية التي ظهرت بالمشرق خلال العصر العباسي.[2]

3- قيام الدولة الزيرية في غرناطة:

3-1 دخول أبناء زيري إلى الأندلس:

يرى بعض المؤرخين أن دخول أبناء زيري الى الأندلس، كان على عهد المنصور محمد بن أبي عامر، حين كان حاجبا لهشام المؤيد، وذلك لما رأى من ضرورة أن يكون الجيش خليطا من الأجناس، حتى لا يجتمعوا عليه في معصية. ويرى آخرون أن قدومهم إلى الأندلس كان في عهد ولده عبد الملك المظفر. والراجح أن الذي اصطنعهم واستقدمهم هو الحاجب المنصور، وليس ولده المظفر، وهو قول الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء دولة بني زيري في غرناطة.

1 – مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 415

2 – Roberto Marín Guzmán, Sociedad, política y protesta popular en la España musulmana, Editorial Universidad de Costa Rica, Costa Rica, 2006, p125

يقول ابن الأثير: "في هذه السنة – ويقصد سنة 373هـ/983م – انتقل أولاد زيري بن مناد وهم زاوي وجلالة وماكسن إخوة بلكين، إلى الأندلس وسبب ذلك أنهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على بلاد بينهم فغلبهم حماد، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة، فأنزلهم محمد بن أبي عامر وسر بهم، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم وسألهم عن سبب انتقالهم، فأخبروه وقالوا له: إنما اخترناك على غيرك، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله، فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم..."[1]

أما ابن بسام فيخالف ابن الأثير، ويرى أن أبناء زيري عبروا إلى الأندلس على عهد المظفر فيقول: "وانهمك أيضاً في اصطناع البرابرة العدويين – يقصد المظفر–، ودعا القبائل منهم إلى الدخول إليه والخدمة له، وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري ابن مناد الصنهاجي عم أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهيه ومكره وبعد صيته في المغرب، فأضرب عبد الملك عن الفكر في شأنه وطلب السمعة باستخدام مثله، فأدخله بمن معه من إخوته ..."[2]

غير أن الأمير الزيري عبد الله بن بلقين في كتابه التبيان يحسم الجدل، وذلك باعتباره المصدر الأقرب لتاريخ دولتهم، إذ يقول: "وتوقع المنصور من أجناده الاتفاق على بعض ما يخل بدولته إذ كانوا صنفا واحدا وتألبهم على معصية أمره متى أمر بما أحب وكرهوا، فنظر من ذلك بعين اليقظة، وسول له رأيه أن تكون أجناده قبائل مختلفة وأشتاتا متفرقة، إن همَّ أحد الطوائف بخروج عن الطاعة غلبها بسائر الطوائف، مع احتياجه إلى تقوية عسكره والزيادة فيه بمن يستطيع

1 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 399

2 – ابن بسام علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، مج1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ط1، 1979، ص 81

على تحلل بلاد العدو وتدويخها متى شاء، فاستجلب من رؤساء البربر وحماتها وأنجادها من بلغه فروسيته وشدته، ... وكان من أدهاهم رأيا وأبعدهم همة زاوي بن زيري عمنا وبعده حبوس بن ماكسن بن أخيه."[1]

3-2 موقع أبناء زيري من الأحداث الواقعة في الأندلس بعد سقوط الدولة العامرية:

اختلف المؤرخون كثيرا حول من هو مشعل الفتنة في الأندلس مطلع القرن الخامس الهجري وذهب بعضهم إلى تسميتها بالفتنة البربرية نسبة إلى بربر الأندلس، ما يفهم منه أنه اتهام صريح لهم بأنهم هم المسؤولون عن إشعال فتيلها، لكن الأمر ليس كما يبدو بهذه البساطة، ولا يخلو هذا الاتهام من الدوافع الذاتية التي يحركها التعصب للقومية العربية، في مقابل بغض وازدراء القوميات الأخرى وعلى رأسها البربر.

فمثلا ابن بسام يحمل مسؤولية الفتنة إلى زاوي بن زيري وذلك بقوله: "...ونعي إلينا عدو نفسه، زاوي بن زيري موقد الفتنة بعد الدولة العامرية، ورد النبأ بمهلكه في القيروان وطنه بعد منصرفه إليها خاملاً مغموراً بين أعاظم قومه، لم يرتفع له ذكر بينهم، مهلكه كان – زعموا – من طاعونة أصابته، فالحمد لله المنفرد بإهلاكه، الكفيل بقصاصه، فلقد كان في الظلم والجور، والاستحلال للمحارم والقسوة، آية من آيات الله أهان الله مثواه، ولا قدس صداه."[2]ويمكن تصور مدى تحامل ابن بسام على البربر وبغضه لهم من خلال هذا التصريح.

وفي الطرف الآخر، نجد أن هناك العديد من المؤرخين، من برأوا البربر من هذه التهمة، وهو رأي نوافقه ونرجحه كثيرا، وذلك للشواهد العديدة التي تدعمه، وسنذكر جملة من هذه الشهادات:

1 – ابن بلقين، التبيان، ص ص 16– 17

2 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 588

يقول ابن عذاري: "... فكان هذا من فعل السفيه ابن عبد الجبار ورأيه سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى"[1]

ويقول ابن الأبار:" سليمان بن الحكم ... قدمته البرابرة عند قتل عمه هشام بن سليمان بن الناصر القائم على المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر باعث الفتنة بالأندلس وموقد نارها الخامدة وشاهر سيفها المغمد ..."[2]

ويقول الصفدي: "محمَّد بن هشام بن عبد الجبّار ابْن النَّاصِر لدين الله أبي الْمطرف عبد الرَّحمن ابْن محمَّد الأموي هو أول من فتح على بني أميَّة بالمغرب بَاب الفتنة قام فِي ثلاثة عشر رجلا توثب على الأمر بالأندلس وخلع المؤَيد بِاللَّه هشام، وَحَارب عبد الرَّحمَن الحَاجِب ابن أبي عامر القحطاني..."[3]

وبرغم ذلك، وحتى نكون منصفين، فإن محمدا بن هشام بن عبد الجبار، وإن كانت تقع على عاتقه المسؤولية الكبرى في اضطرام نار الفتنة في الأندلس، إلا أنه لا يتحملها وحده، فلولا توثب شنجول ابن المنصور على ولاية العهد التي ليست من حقه، ولم يكن يسمو إليها باعتباره لا يمتّ للعائلة الأموية بصلة، ولا هو من بني هاشم، لما تألب ضده جمهور الأمويين، وذلك حين رأوا أن الخلافة التي من حقهم تذهب إلى غيرهم.

كما أن عرب قرطبة يتحملون هم أيضا جزءً من المسؤولية، باعتبار سيرهم وراء أهوائهم وحقدهم على العنصر البربري الذي رأوا فيه سببا لتسلط بني عامر عليهم وعلى الخلافة، ثم

1 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 76

2 – ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص 5

3 – الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص 108

غلوائهم في الانتقام من كل ما هو بربري بما يخالف الشريعة الإسلامية السمحاء، حتى قتلوا الأنفس وانتهكوا الحرمات وخربوا العمران.

وربما نذهب بعيدا أكثر من ذلك لنجد أن سبب كل فتنة هو تقديم المصلحة الشخصية على مصالح الأمة والرعية، إذ أنه لم يكن من حق المستنصر البتة؛ عقد البيعة لابنه الذي لم يجاوز الحلم، وفي إخوته وعمومته وبنيهم، من هم أصلح وأرشد، وكان بفعلته تلك، سببا في هلاك ابنه الذي أراده خليفة، وسببا في محنته ومحنة الرعية جمعاء.

3-3 تلخيص الأحداث من لدن قيام محمد بن هشام المهدي إلى استقلال بني زيري بغرناطة:

كان الجند من البرابرة قد ظاهروا المنصور على أمره ودخلوا في خاصة جنده، لكنهم بعد ذلك لحقوا بمحمد بن هشام المهدي، لما رأوا من انحراف ابنه شنجول، وكانت سيرتهم الأولى في موالاة بني عامر سببا في سخط الأمويين عليهم، ولقد شاطرهم محمد بن هشام نقمتهم على البربر وكان مظهرا لبغضهم، حتى منعهم من ركوب الخيل وتقلد السلاح، وأهين على باب قصره كبراؤهم، وانتهب العامّة دورهم، ثم كان من المهدي أن فرض عليهم زيا خاصاّ، وفي مواجهة هذا الوضع لم يجد البربر بدا من العمل على الإطاحة به، فاتفقوا على بيعة هشام بن سليمان بن الناصر لدين الله، لكن أمرهم سرعان ما انفضح، وهو ما زاد من نقمة الأندلسيين عليهم.[1]

ولقد قبض الجند على هشام بن سليمان، وأخذوه أسيرا هو وأخوه أبو بكر، وأبوه سليمان فسلموهم إلى المهدي، فقتلهم. ونهبت دور البربر، ونودى في البلد: من أتى برأس بربري فله كذا وكذا. فشرع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه منهم، وسبيت نساؤهم، وهرب من سلم من البربر

1 – ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص ص 192– 193

إلى خارج قرطبة ثم جلوا إلى الثّغر، وكان من جملة من فرّ بعد مقتل هشام ، سليمان بن الحكم ابن سليمان بن الناصر، فنصبه البربر خليفة.[1]

ويروي لنا ابن عذاري بعضا من تلك الأفعال الوحشية التي كانت في حق البربر بقوله: " وأمر ابن عبدالجبار أن ينادى في الناس من أتى برأس بربري فله كذا، فسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه، فلم يبق تاجر ولا جندي، إلا عمل مجهوده في ذلك...، ونهبت ديار البربر، وهتك حريمهم وسبي نساؤهم، وباعوهن في دار البنات وقتلوا النساء الحوامل، وقتلوا سبعة عشر رجلا من أهل تلمسان قدموا للغزو في ساعة واحدة، وقتل قوم من أهل خراسان وأهل الشام على أنهم بربر..."[2]

دفعت هذه المواقف، من المهدي وأهل قرطبة، البربر إلى الدفاع عن أهلهم وذويهم. وكان لزاما أن يردوا على أنفسهم ما لحقهم من أذى، مما جعل مشاركتهم في الفتنة الأندلسية نتيجة حتمية لتصرفات البادي بالتعدي، ولقد حاول البربر تفادي الاشتراك في الفتنة وهي بعد في مهدها، وذلك بتخليهم عن شنجول ومبايعتهم للخليفة الجديد، وإظهارهم التمسك بالدولة، برغم كل ما وقع عليهم من اعتداء جسيم، ولم يبادروا بالرد بالمثل مع قدرتهم على ذلك، وفضلوا التواصل مع المهدي والشكاية له، ولأن الخليفة لم يعترف بهم كفصيل من الرعية التي يتوجب عليه حمايتها وحفظ كرامتها وحقوقها، لم يجد البربر بدا من سلوك طريق المواجهة والانغماس في الفتنة.[3]

ولما قتل المهدي هشام بن سليمان، قام البربر بمبايعة سليمان بن الحكم، وهو ابن أخ هشام المقتول، ولقبوه المستعين بالله، وساروا إلى النصارى واستنجدوا بهم، فأجابوهم إلى طلبهم وساروا معهم إلى قرطبة، ودارت رحى الحرب بينهم وبين القرطبيين وكانت الغلبة على المهدي وجنوده،

1 – النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ، ص 419

2 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص81

3 – بوباية، البربر في الأندلس، ص ص 440– 442

فدخل سليمان البلد، وحصر المهدي في قصره. فلما رأى هذا الأخير ما نزل به، أظهر الخليفة هشام المؤيد، وكان قبل ذلك ادعى أنه مات، فلما فشل تدبيره احتال في الهرب، ودخل سليمان القصر وبايعه الناس بالخلافة في شوال سنة 400هـ/ ماي 1010م، وكان عدد القتلى في هذه المعارك نحو خمسة وثلاثين ألفا.[1]

أما المهدي ففر إلى طليطلة، واستجاش أهلها فقاموا معه، وكتب إلى النصارى يغريهم بالأموال –وهو أول مال انتقل من بيت المال بالأندلس إلى الفرنج – فاجتمع إليه خلق عظيم وكانت الثغور كلها باقية على طاعته، فقصد قرطبة في جيش عرمرم، وكانت الغلبة هذه المرة على سليمان المستعين، واستولى المهدي على قرطبة مرة أخرى، ثم خرج بعد أيام إلى تتبع جماهير البربر، فهزموه أقبح هزيمة، وقتل من جنده النصارى ثلاثة آلاف، وغرق خلق آخرون فرجع إلى قرطبة، وهناك وثب عليه بعض من عبيده، وضربوا عنقه، وكان ذلك في ثامن ذي الحجة عام 400هـ/ 28 جويلية 1010م، وقد عاش أربعا وثلاثين سنة.[2]

ولما قتل المهدي، أعاد واضح العامري[3] هشام المؤيد إلى الحكم وقام بحجابته، لكن سليمان المستعين ظل على حصاره لهم، إلى أن جهدهم الحصار، وبعث إلى النصارى يستقدمهم لمظاهرته، فبعث إليهم هشام وحاجبه واضح يكفّونهم عن ذلك، في مقابل أن ينزلوا لهم عن بعض الثغور، ولم يزل الأمر كذلك حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة 403هـ/1012م، وقتل هشام المؤيد سرّاً، ثم قدم البرابرة والعبيد على الأعمال، فتولوا المدن العظيمة

1 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 352

2 – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17 ص 130.

3 **واضح العامري:** لم نقف له على ترجمة، غير أنه ومن خلال ما تناثر في المصادر التاريخية عن أحواله، يمكن القول أنه من الصقالبة المجلوبين الى الأندلس، والذين شكلوا عماد جيش المنصور بن أبي عامر فيما بعد، وعرفوا بالعامريين، وكان من قواده، وكان له دور كبير في الفتنة القرطبية، حجب لهشام المؤيد بعد عودته للحكم سنة 400هـ، وصار المتغلب على دولته، قبل أن يقتله المؤيد.

وتقلّدوا البلاد الواسعة، وافترق شمل الجماعة بالأندلس، وصار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة، ومنهم بنو عباد بإشبيلية[1]، وبنو زيري في غرناطة.[2]

وكان سليمان بفعلته حين قسم البلاد بين البربر والصقالبة وغيرهم، قد فتح على الأندلس وعلى الأمة الإسلامية عهدا آخر من تاريخ التشرذم والتفرق، فكانت سنة 403هـ/1012م بحق نقطة الصفر في عصر دول الطوائف الضعيفة والمتناحرة فيما بينها، ومنها دولة بني زيري في غرناطة.

ولم يعد في يد سليمان مع قرطبة غير إشبيلية وبعض الحواضر القليلة. وهو ما يؤكده النويري بقوله: "ولما فتح سليمان بن الحكم المستعين قرطبة دخل القصر لخمس خلون من شوّال وتلقّب بالظافر بحول الله، وأحضر هشام ووبخه... فاعتذر أنه مغلوب عليه، وتبرأ له وسلّم الأمر إليه... ونزل البربر حوله، وهرب كثير من موالي بنى أمية فاحتوى البربر عليها واقتسموا البلد بينهم، وطالب سليمان الناس بالأموال فغرمهم فوق طاقتهم، واشتد أمر البربر على الناس فاستباحوا الأموال والحريم، وسليمان لا يمكنه دفعهم وليس في يده مع قرطبة غير إشبيليه ولبلة[3] والشنبة وباجة[4]."[5]

---

1 – **إشبيلية:** مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمص أيضا، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عبّاد، ولمقامهم بها خربت قرطبة، وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وإشبيلية قريبة من البحر، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم، تسير فيه المراكب المثقلة، يقال له وادي الكبير. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 195.

2 – المقري شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1997، ص ص 428– 429

3 – **لبلة:** مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر، ولها سور منيع، وبها أسواق وتجارات، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص 541.

4 – **باجة:** من أقدم مدن الأندلس، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ. ينظر: الحميري أبو عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980، ص 75

5 – النويري، نهاية الأرب، ج23، ص 429

الفصل الأول

الحياة السياسية لليهود في غرناطة الزيرية:

1- البلاط الزيري الغرناطي

2- الوزير الغرناطي ابن النغريلة اليهودي

3- أسباب استوزار اليهود في غرناطة الزيرية

4- مؤامرات ودسائس اليهود في غرناطة الزيرية

الحديث عن الحياة السياسية لليهود في غرناطة الزيرية، يقودنا حتما إلى الحديث عن عائلة ابن نغريلة وهي العائلة التي بلغ اثنان من أفرادها منصب الوزارة في إمارة إسلامية بشكل صريح وهو الأمر الذي حصل لليهود لأول مرة على مدى تاريخهم الطويل، وإن كان بعض اليهود قد ارتقوا إلى المناصب الرفيعة لدى بعض الحكام المسلمين في تلك الفترة من التاريخ الاسلامي إلا أنهم بالتأكيد لم يبلغوا ما بلغه ابن النغريلة، سواء الأب أو الابن من الرفعة والمكانة والحظوة، في إمارة غرناطة على عهد بني زيري، تلك الإمارة التي بلغ حكامها من التسامح والتعايش مع أهل الطوائف الأخرى من غير المسلمين، وخاصة اليهود منهم، حد السفه والغفلة.

ولا عجب في ذلك في زمن تفرق فيه شمل الأمة، وانقسمت البلاد ضياعا وإقطاعات يحكمها مغامرون، لا همّ لديهم إلا الاستئثار بعروش واهية نصبت على أركان غير ثابتة، وضعوا أيديهم في أيدي أعدائهم ودفعوا لهم الجزية صاغرين، أنهكتهم المؤامرات والدسائس بينهم حتى هانوا وصاروا أذلة من بعد العزة.

1- البلاط الزيري الغرناطي:

حسب الكثير من المؤرخين، ومنهم لسان الدين الخطيب، أن من عبر من أبناء زيري بن مناد إلى الأندلس، في عهد الدولة العامرية هم زاوي بن زيري، ومعه أبناء أخيه المقتول ماكسن، حباسة وحبّوس.[1]

1-1 حباسة بن ماكسن:

وهو من الشخصيات الصنهاجية المؤثرة على الأحداث التي وقعت في الأندلس، ومن المقدمين في الأسرة الزيرية، غير أن أجله لم يمهله ليرى قيام دولتهم، حيث قتل سنة 402هـ/ 1012م.

1 – ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1973م، ص 432.

يقول عنه محمد عبد الله عنان: "كان حباسة بن ماكسن من أشجع قادة البربر، كان مقتله في آخر ذي الحجة سنة 402هـ/ جويلية 1012م، حين تقدم جماعة من وجوه البربر وفي مقدمتهم حباسة ومعه جماعة قليلة من الفرسان، ونزلوا في بقعة قريبة من الأسوار فرآهم أهل قرطبة من وراء الخندق فاجتمع منهم عدد عظيم، وانقضوا على حباسة وصحبه، فدافعوا عن أنفسهم دفاعاً عظيماً، ولكنهم غلبوا في النهاية على أمرهم، وأسر حباسة، فلما عرفه القوم قتلوه بوحشية وقطعوا جسده إرباً لعظيم حقدهم عليه ولما قاسوه من شدة قتاله ونكايته."[1]

ويقول عنه لسان الدين ابن الخطيب: "كان شهما هيّبا، كريما في قومه، أبيّا في نفسه صدرا من صدور صنهاجة، حين استلحم وهو فارس صنهاجة وفتاها، وكان قد تقدّم إلى هذه الناحية ولمّا بلغه اشتداد الأمر فيها، رمى بنفسه على طلّابها واتّفق أن ركب بسرج طري العمل متفتح اللّبد وخانه مقعده عند المجاولة، لتقلّبه على الصّهوة، ومضى قدما بسكرى شجاعته ونشوته يستقبل القنا بلبّاته، لا يعرض له شيء إلّا حطّه، إلى أن مال به سرجه، فأتيح حمامه لاشتغاله بذلك بطعنة أحد فرسان الموالي العامريين، فسقط لفيه وانتظمته رماح الموالي فأبادته."[2]

1-2 زاوي ابن زيري:

يعتبر زاوي بن زيري من بين أهم الشخصيات البربرية التي عبرت إلى الأندلس، وكان له دور كبير في التمكين للأسرة الزيرية، ودولتهم في غرناطة في عصر الطوائف.[3]

قال عنه ابن خلدون: "كان عميد صنهاجة في الفتنة البربرية أجاز إلى الأندلس على عهد المنصور، فلما هاجت الفتنة البربرية، وانحل نظام الخلافة، كان فحل ذلك الشول وكبش تلك

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص 652.

2 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص 486.

3 – Isabel Rivero, Compendio de historia medieval española, Ediciones AKAL, Madrid, 1982, p 115-116

الكتائب، وعمد إلى البيرة، ونزل غرناطة واتخذها دارا لملكه، ولما بايع الموالي العامريّون للمرتضى المرواني... وعمد إلى غرناطة فلقيهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة وهزمهم سنة عشرين وأربعمائة/ 1029م وقتل المرتضى، وأصاب زاوي من ذخائرهم وأموالهم وعددهم ما لم يقتنه ملك ثم وقع في نفسه سوء آثار البربر بالأندلس أيام هذه الفتنة وحذّر مغبة ذلك فارتحل إلى سلطان قومه بالقيروان". [1]

وقال عنه ابن سعيد الأندلسي: "كان داهية البربر خرب أصحَابه مَدِينَة إلبيرة، وعاثوا فِيهَا وَأظهر هو الإنكَار لذلِك وَالعدل وقام بالمملكة واقتعد مَدِينَة غرناطة، وَهزمَ المرتضى المرواني وَعظم قدره ثمَّ خَافَ الكرة من أهل الأندلس فَرَحل بِمَا حازه من الذَّخَائِر الْعَظِيمَة إِلَى إفريقية وَبَقِي بغرناطة ابْن أَخِيه." [2]

والظاهر أن تاريخ بني زيري في الأندلس، وكل ما حصل لهم من نعيم وملك فيها كان بعد الله بسبب حنكة وإقدام وبسالة هذا الرجل زاوي ابن زيري، وبرغم ذلك وبرغم ما حققه من إنجازات وانتصارات، إلا أنه اتخذ قراره بمغادرة الأندلس والرجوع إلى بلاد المغرب مرة ثانية ليكمل بقية حياته بجوار إخوته وأبناء عمومته.

وفي ذلك يقول ابن عذاري: "وفي سنة 410هـ/1019م، وصل زاوي بن زيري الصنهاجي من الأندلس إلى أفريقية في أهله وولده وحشمه، بعد أن اغترب بها اثنين وعشرين سنة وقاسى حروبها وفتنها واحتوى على نعم ملوكها وذخائرهم فخرج إليه في يوم وصوله شرف الدولة المعز بن باديس بزي عظيم، فترجل له الشيخ زاوي، ونزل شرف الدولة وسلم عليه، وسار معه حتى أنزله بالمنصورية"[3]

1 – ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص 206

2 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 106

3 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص 269.

وعن سبب قرار زاوي بالرحيل يقول ابن حيان:"... وذلك أنه لما انهزم المرتضى قال زاوي لقومه: كيف رأيتم ما قد خلصنا منه – قالوا: عظيما، قال: فلا تتناسوه وتغالطوا أنفسكم بعده إن انهزام من رأيتموه لم يكن من قوة منا، إنما جره مع القضاء، غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا، وقد نجانا الله منهم برحمته، فالرأي الخروج عن أرضهم واغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة، والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية مباعدين لهم لما وراءنا من أهل جنسنا زناتة، الأعداء في الحقيقة الذين لا يغفلون عنا وإن غفلت الخليقة وها أنا قد أديت لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس فمن أطاعني فليرحل معي، فلم يساعده أحد فرحل...".[1]

1-3 حبوس بن ماكسن:

وعلى أثر ارتحال زاوي سعى بعض فقهاء غرناطة وقضاتها، في أن يعين لولايتها حبوس بن ماكسن ابن أخ زيري، فلحقوا به في حصن كان على مقربة من وادي آش، وكان يرابط هنالك مترقباً رحيل عمه، فبادر بالسير إلى غرناطة، ودخلها في موكبه وطبوله، وتقدم لرياستها فلم يعارضه أحد من قومه، وقيل أن عمه زاوي أوصى به ليخلفه قبل رحيله، وقيل من جهة أخرى أن نزاعاً حدث بسبب ذلك، بينه وبين أحد أفراد عمومته، ولكنه انتهى بدون إراقة دماء، وبذلك خلصت لحبوس الرياسة.[2]

حكم غرناطة في سنة 411 هـ/1020م، وكان حسن التدبير والسياسة، نعمت غرناطة في عهده بنوع من الهدوء والاستقرار، واتسعت في عهد رقعة الإمارة، واهتم بعمارة مدينة غرناطة، حتى مكّن لبني مناد ملكا قويا راسخا، وكانت سياسته تقوم على مصادقة جيرانه من زعماء البربر،

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج1، ص ص 458– 459.

2 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 126

وفي مقدمتهم بني حمود حكام مدينة مالقه، والتحالف مع هذه القوى ضد بني عباد حكام إشبيلية. توفي حبوس سنة 428هـ/ 1037م.[1]

"وكان على قسوته يصغي إلى الأدب، وينتمي في العرب، للأثر المقفو في قومه صنهاجة وكان وقورا حليما، فظا مهيبا، نزر الكلام قليل الضحك، كثير الفكر، شديد الغضب، غليظ العقاب شجاعا حسن الفروسية، جبارا متكبرا داهية، واسع الحيلة كامل الرجولية."[2] حشد الجند ونظم الجيش، وكان يشرك بني عمه في الرأي، ويجري في حكمه على طريق الشورى، ووطد حبوس ملك قومه بغرناطة، وأقام له بلاطاً فخماً، وفي عام 428هـ/1037م توفي حبوس بن ماكسن وخلفه في حكم غرناطة ولده باديس.[3]

1-4 باديس بن حبوس:

وَكَانَ من أبطال الحروب وشجعانها شديدا قاسيا سفاكا للدماء، وَعظم ملكه لانتصاره على صاحب المرية[4]، وَكَانَ على مَا فِيهِ من الْقَسْوَة حسن السياسة منصفا حَتَّى من أَقَاربه[5] وقد قدر لباديس أن يكون أقوى ملوك البربر في جنوبي الأندلس، وأعلاهم شأناً، في تلك الفترة التي كثرت فيها الممالك، ولم ينازعه أحد في الملك غير ابن عمه يدِّير بن حُباسة بن ماكسن وكان يدّير يحاول السطو على السلطة منذ أيام حبوس، وحين فشل في مسعاه حاول أن يعيد الكرة في أوائل عهد باديس.[6]

---

1 – السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ص 234– 235.

2 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج1، ص ص 460– 461.

3 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 126

4 – **المرية:** مدينة كبيرة كثيرة التجارات، والمسافرون اليها كثيرون، وأهلها مياسير ولم يكن في بلاد الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا، بينها وبين مالقه طريقان بري وهو سبعة أيام، وبحري وهو 180 ميلا. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص 563.

5 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 107.

6 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 127.

وكان لباديس كاتب من اليهود، ولما دبر القوم مؤامرتهم لانتزاع السلطة من باديس، وإجلاس ابن عمه يدير مكانه شاوروا الوزير اليهودي، وحاولوا ضمه إليهم فتظاهر بالقبول وأبلغ مولاه باديس ودبر اجتماعهم بمنزله، وأمن الوزير حضور باديس ليكون شاهدا بنفسه، وكان المتآمرون قد اعتزموا أمرهم قتل باديس، أثناء تنزهه بمكان معين، وعندما علم المتآمرون بافتضاح خطتهم فروا إلى خارج غرناطة، وفي مقدمتهم يدّير بن حباسة.[1]

قال عنه الفتح بن خاقان: "...كان باديس بن حبوس بغرناطة عاثياً في فريقه عادلاً عن سنن العدل، يجتري على الله غير مراقب، ويجري إلى ما شاء غير ملتفت للعواقب، قد حجب سنانه لسانه، وسبقت إساءته إحسانه، ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم، ولا شرب الماء إلا من قليب دم، أحزم من كاد ومكر وأجرم من راح وابتكر، ومازال متقداً في مناحيه، مفتقداً لنواحيه لا يرام بريث ولا عجل، ولا يبيت له جار إلا على وجل، إلى أن وكل أمره إلى أحد اليهود واستكفاه وجرى في ميدان لهوه حتى استوفاه، وأمره أضيع من مصباح الصباح، وهمه في غبوق واصطباح وبلاده مراد للفاتك، وستره في يد الهاتك". [2]

وامتدت مملكة باديس على أراض شاسعة، وباديس هو الذي مصر مدينة غرناطة، وغدت منذ عهده من أهم قواعد الأندلس الجنوبية، وأنشأ قصبة غرناطة فوق أنقاض قلعتها القديمة وسميت باسمها القديم (القلعة الحمراء) وأقام داخلها قصره ومسجده الذي دفن فيه، وأنشأ سوراً ضخماً حول الربوة التي تقع عليها القصبة وأنشأ قصبة مالقه المنيعة، ومع ذلك فإن بلاطه لم يسطع كما سطعت قصور ملوك الطوائف الأخرى، ذلك أن بلاط غرناطة البربري، لبث محتفظاً

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص ص 127– 128.

2 – ابن خاقان الفتح بن أحمد، قلائد العقيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، الزرقاء الأردن: مكتبة المنار، 1989م، ص ص 80– 81.

بطابع البداوة والخشونة، الذي كان يغلب على دولة آل زيري، ولم تعرف دولتهم تلك الخواص الحضارية والأدبية الرفيعة، التي امتازت بها دول الطوائف الأخرى. [1]

1-5 عبد الله بن بلقّين بن باديس:

هو حفيد باديس الأصغر وأبوه بلقين، لقبه المظفّر بالله الناصر لدين الله، خلف جدّه باديس على عرش غرناطة في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة، واستوزر له سماجة[2] الصّنهاجي تسع سنين، وكان قد حاز حظّا وافرا من البلاغة والمعرفة، شاعرا مجيدا، حسن الخطّ، كانت له بغرناطة ربعة مصحف بخطّ يده في نهاية الصّنعة والإتقان.[3]

وأبوه هو بلقين بن باديس الملقب بسيف الدولة، كان أبوه قد رشحه للحكم من بعده، لولا أن الأجل باغته في حياة أبيه، وكان هذا سببا في انتقال ولاية العهد منه الى ابنه عبد الله، والسبب في وفاته أنه كان يضمر العداوة لوزير أبيه اليهودي يوسف بن نغريلة، وكان يجاهر ببغضه له ويتحدث لمقربيه عن سعيه إلى إزالته وقتله، وكان يوسف من جانبه، يتجسس على بلقين بعيونه ويتقصى سائر حركاته وسكناته، وكان بلقين مع بغضه ليوسف، يشاطره لحظات الشرب والسمر وكان منهمكاً مدمناً فاعتزم يوسف أن يتخلص منه، ودس له السم في كأسه، فما كاد يغادر مجلسه حتى اعتلّ وسقم، وما كاد يصل إلى داره، حتى لزم فراشه، ثم توفي بعد يومين.[4]

ولما توفي باديس المظفر بالله، اتفق رجال الدولة وشيوخ صنهاجة على تولية حفيده عبد الله بن بُلُقِّين مكانه، وكان صبياً، وكان تميم – الأخ الأكبر لبلقين – متوليا حكم مالقه منذ أيام جده

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص ص 139– 140.

2 – **سماجة:** أحد شيوخ صنهاجة تولى تدبير دولة عبد الله بن بلقين ورعاية الملك الصبي، وكان هذا الوزير رجلا حازما، قوي العزم، شديد السطوة، مرهوب الجانب ضبط الدولة استأثر بالسلطة، وأحسن السيرة. عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 142.

3 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص ص 379– 380.

4 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 134

أما ماكسن فقد كان خارجاً عن أبيه باديس حسبما يذكره المؤرخون، وكان قد امتنع بمدينة جيان وكان سيء الخلال والسيرة، فلم يلتفت إليه، ولم يقم أحد بدعوته، وتولى تدبير الدولة ورعاية الملك الصبي، الوزير سماجة وهو أحد شيوخ صنهاجة، وكان رجلا حازماً قوي العزم، شديد السطوة مرهوب الجانب، فضبط الدولة، واستأثر بالسلطة، وأحسن السيرة.[1]

ولقد عايش الأمير عبد الله في فترة حكمه ظروفا صعبة، ومخاطر جسيمة، داخلية وخارجية ومنها المعارضة التي كان يقودها أخوه تميم، وتهديدات ألفونسو الثامن الذي كان يرهق حكومة غرناطة بطلبات الجزية المتكررة، بالإضافة للعداء مع بني عباد في إشبيلية.[2]

وعن بعض صفات الأمير عبد الله بن بلقين، وخصاله التي عرف بها، يقول ابن الخطيب: "كان جبانا مغمد السيف، قلقا، لا يثبت على الظّهر، لا أرب له في النساء، هيّابة، مفرط الجزع، يخلد إلى الرّاحات، ويستوزر الأغمار".[3]

وكان بنو مناد البربر ملوك غرناطة يستعملون اليهود في البداية، فلما ظهر انحرافهم وتجلت دسائسهم، ثارت بهم صنهاجة وقتلوهم سنة 459هـ/ 1066م، وبعد تولي الأمير عبد الله بن بلقين حفيد باديس، جنح إلى اصطناع النصارى، وتمتع المعاهدون في غرناطة بالحماية والرعاية وازدهرت أحوالهم واشتد ساعدهم واتخذ الأمير عبد الله عدة من أكابر النصارى القشتاليين في بطانته، يعاونونه في شؤون الحرب والإدارة وكان بعضهم من أكابر الفرسان.[4]

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج2، ص 142.

2 – David Thomas, Christian–Muslim Relations–A Bibliographical History(1050–1200), Volume 3, brill, pays–bas , 2011 , p 226.

3 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 380.

4 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 411.

ولقد اضطر الأمير عبد الله بن بلكين بضغط الظروف، إلى محالفة الملك ألفونسو والانضواء تحت حمايته، وهو ما أوجب تدخل يوسف بن تاشفين للتصدي للخطر القشتالي.[1]

وفي عام 483هـ/1090م، تحرّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين لخلع رؤساء الأندلس فأجاز البحر، وتوجه نحو قرطبة، وفي ليلة الأحد الثالث عشر من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس مستشاروه، فخوّفوه من عاقبة التمهّل ونصحوه بالخروج إليه، فركب وركبت أمّه ولقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة فسأله العفو، فعفا عنه.[2]

وأخذ عبد الله وأهله أولا إلى الجزيرة الخضراء، ثم نقلوا إلى سبتة[3]، فمكناسة[4] وأخذوا أخيراً إلى مدينة أغمات[5]، حيث تقرر إقامتهم، وأنزلهم أمير المسلمين هنالك داراً حسنة، وعوملوا برفق

1 – Monsalvo Anton – José María, Historia de la España Medieval, Ediciones Universidad de Salamanca, España, 2018, p196.

2 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 380.

3 – **سبتة:** من مدن العدوة المغربية، وهي على ضفة البحر المتوسط، وهي مدينة كبيرة مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر، وأهلها عرب وبربر، ولم تزل دار علم، طولها من السور الغربي الذي يدخل منه الى المدينة قاطعا الى الشرق الى آخر الجزيرة خمسة أميال والمدينة في الجانب الغربي منها. ينظر: البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1992، ج2، ص 779

4 – **مكناسة:** وهي المسماة تاقررت وهي مدينة حسنة مرتفعة على الأرض يجري في شرقيها نهر صغير عليه أرحاء وتتصل بها عمارات وجنات وزروع وأرضها طيبة للزراعات ولها مكاسب وأحوال طائلة ومكناسة سميت باسم مكناس البربري لما نزلها مع بنيه عند حلولهم بالمغرب وأقطع لكل ابن من بنيه بقعة يعمرها مع ولده وكل هذه المواضع التي أحلهم فيها تتجاوز وتتقارب أمكنتها بعضها من بعض. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 244.

5 – **أغمات:** ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مرّاكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السّوس الأقصى بأربع مراحل، ومن سجلماسة ثماني مراحل نحو المغرب، وليس بالمغرب، فيما زعموا، بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظّا ولا خصبا منها، وأهلها فرقتان يقال لإحداهما الموسوية من أصحاب ابن ورصند والغالب عليهم جفاء الطّبع وعدم الرّقّة، والفرقة الأخرى مالكية حشوية، وبينهما القتال الدائم، وقد تداولتهم عدّة دول منها: دولة الملثمين ولهم ناموس يلتزمونه وسياسة يقيمونها لا يثبت معها مثل هذه الأخلاط، والله أعلم. وبين مدينة أغمات ومرّاكش ثلاثة فراسخ، وهي دار منفى المعتمد بن عباد وقبره فيها. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 225.

ورعاية وعاش عبد الله بأغمات حتى توفي، وكتب فيها مذكراته الموسومة بكتاب (التبيان)، وعفا أمير المسلمين فيما بعد عن أخيه تميم.[1]

ويقول ابن الخطيب عن ظروف اعتقال بلقين وأخيه تميم: "وحلّ اعتقالهما، ورفّه عنهما وأجري المرتّب والمساهمة عليهما، وأحسن عبد الله أداء الطاعة مع لين الكلمة فقضيت مآربه ورزق الولد في الخمول، فعاش له ابنان وبنت، جمع لهم المال فلمّا توفي ترك مالا جمّا."[2]

2- الوزير الغرناطي ابن النغريلة اليهودي:

2-1 التعريف بابن النغريلة:

ويقصد بابن النغريلة شخصان في الغالب هما الأب إسماعيل وابنه يوسف وهو على ما يبدو ليس اسما ولكنه لقب كانت له موجباته وأسبابه.

لذلك نجد اختلافا متباينا في كتابة هذا اللقب لدى المصادر العربية وسنوردها في هذا الباب للتوضيح:

فهو ابن النغزلة عند ابن خلدون في قوله: " واستولى على سلطانه كاتبه وكاتب أبيه إسماعيل بن نغزلة الذمّي. "[3]

وهو ابن النغريلي عند ابن بسام في قوله وهو يتحدث عن أحد شعراء ذلك العصر الذين تقربوا للوزير اليهودي بالمدح: "وله من رقعة خاطب بها ابن النغريلي الإسرائيلي."[4]

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 342

2 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص 381.

3 – ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج4، ص 206

4 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 761

وهو عند ابن عذاري ابن نغزالة حيث يقول: "... فأمضى باديس وزيرا له وكاتبا وزير أبيه إسماعيل بن نغزالة " [1]

وعند المقري هو ابن نغدلة في قوله: (ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودي الشهير بابن النغدلة ...)[2]

وهو ابن نغرلة عند ابن سعيد الأندلسي.[3]

هذه بعض الاختلافات في كتابة الاسم وليست كلها. ولم يذكره الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء الدولة الزيرية في غرناطة وحفيد باديس، في مذكراته بهذا اللقب، وانما كان يرمز للأب بأبي إبراهيم، وللابن بولد أبي إبراهيم، وغالبا ما رمز الى ابن النغريلة الابن –وهو قاتل أبيه– باليهودي أو الخنزير تصغيرا من شأنه وتحقيرا له، وإن كانت بعض العناوين الموجودة في مذكرات الأمير عبد الله حملت تسمية ابن نغرالة، فهي كما يخبرنا المحقق ليست من النص الأصلي ولكنها وضعت للتفرقة بين النصوص.

وعن السر وراء هذا اللقب، لم نجد إجماعا عند المؤرخين حول منشئه، والراجح أنه نتج عن التصحيف الذي طرأ على كلمة ناغيد، التي تطلق أحيانا ناجيد أو ناكيد، ويقصد بها رئاسة الطائفة اليهودية في الأندلس مقابلا لتسمية جاؤون، وهو اللقب الذي كان يطلق على رئيس الطائفة اليهودية في بغداد، في ذلك العصر، وتمتع الناغيد بسلطات واسعة وسط اليهود، وكان يعتبر مسؤولا عن جمع الجزية وتسليمها للدولة.[4]

---

1 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 264

2 – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 322

3 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 114

4 – مطاوع سعيد عطية علي: "**التراث الديني اليهودي في الشعري العبري الأندلسي**"، منشور ضمن سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، يصدرها مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، إشراف أحمد محمود هويدي، 2008، العدد 22، ص 8

وقد وردت كلمة ناغيد بعدة معاني في أسفار اليهود؛ فقد جاءت بمعنى القيم على المعبد ورئيس القصر، وبمعنى قائد الجيش أو فصيلة منه، أو زعيم قبيلة[1]، وزعم البعض أن الأمير حبوس هو من منح وزيره اليهودي لقب الناغيد، وأن ابن نغريلة هو أول من حمل هذا الاسم من اليهود في الاندلس.[2]

وهذا القول مردود عليه، وتفنده النصوص التاريخية الكثيرة التي لم تذكر ذلك إطلاقا، ولم تشر إليه من قريب ولا من بعيد، ذلك أنه إذا افترضنا صدق هذه المقولة فهذا معناه أن الأمير الزيري حبوس كان على دراية بالغة بشؤون الديانة اليهودية وكل ما يتعلق بها، خاصة أن مقام الناغيد شأن يهودي محض لم يكن شائعا في الأندلس، وربما كان إسماعيل أول من تولاه، والمعروف أن حبوس وجل قومه كانوا أهل حرب وقتال، ولم يذكر عنهم شغفهم بالعلوم والآداب فضلا عن دراسة الأديان. والأرجح أن هذا اللقب أطلق على إسماعيل من قبل أعيان طائفته تقديرا لخدماته الجليلة، لديانته اليهودية ولأهل ملته، وأن حبوس كان منه التزكية والإقرار فقط.

ومما سبق يتضح أن المقري كان الأقرب إلى التسمية الصحيحة عندما نسب إسماعيل إلى لقب "ناغيد"، فقال: ابن نغدله" والرأي أن إسماعيل كان يعرف بإسماعيل الناغيد، أي إسماعيل الحاكم أو الأمير، وأن ابنه يوسف الذي خلفه بعد موته، وصار وزيرًا مثله، هو الذي سمي ابن الناغيد، ولكن القرابة بينهما، والمنصب نفسه الذي شغلاه لباديس، أديا إلى هذا الخلط، فعرف الاثنان باسم ابن الناغيد.[3]

وعند التأمل في كتابة المؤرخين المسلمين لهذا اللقب، يلاحظ أنهم يختلفون في رسم المقطع الأول منه، ويبدو أن التصحيف الناتج عن التقارب بين كتابة حرفي الدال والراء، والسكون والنقطة

1 – ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق: إحسان عباس، القاهرة: مطبعة المدني، 1960، ص 9

2 – مطاوع، التراث الديني اليهودي في الشعري العبري الأندلسي، ص 8

3 – الخالدي خالد يونس عبد العزيز، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 201

قد تسبب أيضًا في وقوع بعض المؤرخين في الخطأ، وهم ينقلون عن كتب غيرهم، فقالوا إنه ابن نغزاله أو نغراله أو نغرله أو نغزله أو الغزال أو النغريلي، وجعلهم يبتعدون قليلا عن اللقب الصحيح الذي يرجح أنه ابن نغدله أو ابن نغدال، وذلك لقرب هاتين التسميتين من الأصل العبري للكلمة، ولأن إضافة اللام والهاء، أو الألف واللام إلى الاسم، صيغتان تستخدمان في اللغة العبرية للتدليل والتصغير.[1]

ويرى إحسان عباس، أن الاختلاف في رسم الاسم ليس منشؤه التصحيف فحسب، وإنما هو من طبيعة النطق، ما إذا نطق باللهجة العامية الأندلسية أو الفصحى، كما يرى أن دوزي خالف إجماع المؤرخين، وتفرد باختيار الدال بدلا من الراء في كتابته للاسم، كونه لمح شيئا من الصلة بينه وبين كلمة ناغيد.[2]

والحقيقة أن المقري في كتابه نفح الطيب، سبق دوزي في ذلك بكثير، وربما كان هو أول من أطلق على الوزير اليهودي في غرناطة، اسم ابن نغدلة. وأما بالنسبة لظروف ظهوره في قصر غرناطة، وتدرجه في المهام إلى غاية بلوغه منصب الوزارة، فإن الروايات بشأن ذلك تتشابه في مجملها، وسنورد مجموعة منها.

عرفت السنوات الأخيرة من القرن الرابع هجري ما سمي بالفتنة البربرية نسبة إلى البربر الذين كانوا كباشها وأبطال مسرحها، كما سميت أيضا بالفتنة القرطبية نسبة إلى قرطبة عاصمة الخلافة آنذاك، والتي دارت على أرضها أهم أحداث تلك الفتنة.

ولقد شهدت الأندلس على إثر هذه الفتنة مجموعة من الصراعات الدامية التي راح ضحيتها جموع من البشر، ولم يستقر الأمر إلا بعد أن تفرقت الأندلس شيعا، وسقطت الخلافة الأموية الى الأبد، ليبدأ عصر التشرذم والتفرق والحكم الطائفي والقبلي. لذلك كان من الطبيعي أن تغدو الهجرة

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 200– 201.

2 – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي، ص 9

بحثا عن الأمن، وعن لقمة العيش ضرورية دفعت بالكثيرين إلى تغيير مواطنهم، خاصة من الطوائف غير مسلمة، والذين لم يكونوا في مأمن على أنفسهم، في خضم كل تلك المعارك والفوضى، التي عمت أرجاء الأندلس.

لقد دفع تيار الهجرة اليهودية الذي خرج من قرطبة، بشاب يهودي يدعى صاموئيل بن جوزيف هاليفي – وهو الاسم العبري لإسماعيل ابن نغريلة – إلى الوصول الى مالقه سنة 404هـ/ 1013م، وكان لهذا الشاب أثر كبير في حياة يهود الأندلس في عصر الطوائف، وقد ولد إسماعيل في قرطبة في ربيع سنة 383هـ/ 993م، وكان أبوه قد هاجر إليها من ماردة. وتلقى إسماعيل الأب تعليمه التلمودي في قرطبة، ودرس النحو، وتمكن من الأدب العبري والعربي وأصبح قادراً على نظم الشعر بالعبرية والعربية، كما تضلع في علم الفلك والهندسة والمنطق، وقرأ القرآن الكريم، وعددًا من كتب الفقهاء المسلمين، وألّمّ ببعض دراسات النصارى عن الإنجيل.[1]

وجمع ابن نغريلة بين التبحر في العلوم وبين الاتجار في التوابل، وكان يكتب العروض إلى ملك غرناطة، وأعجب وزير الملك بما كانت عليه هذه العروض، من جمال الخط وحسن الأسلوب، فزار إسماعيل وصحبه إلى غرناطة، وأسكنه في قصر الحمراء، وجعله أمين سره، وما لبث إسماعيل أن أصبح مستشاره. وكان مما قاله الوزير نفسه: أنه إذا أشار إسماعيل بشيء فإن صوت الله يسمع فيما يشير به.[2]

وجاء في بعض الروايات أن جارية طلبت من إسماعيل أن يكتب لها خطابًا ترفعه إلى أمير غرناطة حبوس بن ماكسن، فكان لها ما أرادت، وعندما وصل الخطاب إلى وزير حبوس أبي العباس بن العريف، راعه الخط والأسلوب الذي كتب به، وسأل عن كاتبه، فأخبر أنه إسماعيل، صاحب دكان يقع بالقرب من البيت الذي كانت عائلة الوزير تسكن فيه، وعند مقابلة

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 197.

2 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 52.

الوزير أبي العباس لإسماعيل، أعجب به، وعرض عليه أن يعمل مساعدًا له في خدمة أمير غرناطة حبوس، وبالطبع وافق إسماعيل ورحل معه إلى غرناطة، وهناك عينه الوزير جابيًا لأموال الدولة.[1]

وبحسب رواية دوزي، فإنه وبسبب قرب دكان ابن نغريلة، من قصر ابن العريف، وزير جيوش ملك غرناطة، وبما أنه كان على رجال القصر في الغالب، أن يراسلوا مولاهم فيما يعرض لهم من الشؤون، ولكونهم جهلاء بفن الكتابة، لجأوا إلى إسماعيل هذا، ليحرر لهم ما تمس إليه الحاجة من تلك الرسائل التي أثارت إعجاب الوزير، إذ ألفاها مكتوبة بأسلوب عربي ماتع، مما حمل الوزير عند عودته إلى مالقه أن يسأل عن منشئها، ولما عرفه استأثر به لنفسه، وعرض عليه أن يتخذه ناموسا، وصحبه الوزير معه عند عودته إلى غرناطة، وازداد إعجابه به عندما أخذ يبادله الحديث في شؤون الدولة، إذ وقف منه على رجل نادر الذكاء.[2]

ومهما تعددت الروايات حول الأقدار التي ساقت إسماعيل ابن نغريلة، إلى قصر غرناطة فإن الشيء المؤكد، هو أن تبحر هذا الرجل في العلوم المختلفة، وبلاغته وذكاءه المتقد، وسعة اطلاعه وإلمامه بالمعارف المختلفة، اجتمعت كلها لتقدمه إلى الوزير ابن العريف، في أحسن صورة، على أن أول ما لفت انتباه الوزير إليه، كان تفننه في كتابة الرسائل، التي كانت تصل هذا الأخير، من قبل مراسليه، من العامة كانوا أو من الجند.

وعن وظيفته الجديدة فقد استطاع إسماعيل أن يحقق نجاحًا باهرا في جباية الأموال، وبذلك كسب ثقة الوزير، حتى أنه صار بإمكانه تعيين موظفين يساعدونه في مهمته، ومن ذلك استجلابه لقاضي مالقه اليهودي، وتعيينه مساعدا له في جباية الأموال لدولة غرناطة، وقد جنى ابن نغريله

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 198

2 – دوزي رينهرت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام، ترجمة: كامل الكيلاني، القاهرة: مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1933، ص ص 39– 40

أموالا كثيرة من هذه الوظيفة، لكنه كسب معها كره كثير من يهود غرناطة، وذلك لأنه كان يأخذ منهم فوق ما يطيقون، في سبيل أن يظهر قدراته للحكام، ولكي يبقي لنفسه جزء من تلك الأموال، كما كرهوه أيضًا، لأنهم رأوا أن يهوديًا من أهل غرناطة، أولى بهذه الوظيفة من شخص غريب.[1]

ويبدو أن ابن نغريلة ركز كل جهده، على كسب ثقة الوزير ابن العريف، ومن ورائه الأمير الزيري حبوس، فحرص على أن يظهر قدراته في جمع الأموال التي تحتاجها الدولة، ولو على حساب أبناء جلدته من اليهود، الذين أرهقهم بما كان يطلبه منهم من أموال الجزية، كل ذلك لأجل بلوغ الحظوة عند سيده وبلوغ المقام الرفيع في الإمارة الزيرية، وهو ما تحقق له بالفعل بعد ذلك بوقت وجيز.

ربما لم يكن الأمر مجرد صدفة، فكيف لرجل نهل من شتى العلوم والمعارف، وقرأ علوم اليهود وعلوم المسلمين، أن يقنع من الحياة بدكان عطارة، وربما كان عمله بإنشاء الرسائل وتحرير الخطابات التي كانت في الغالب موجهة إلى الحكام، ما هو إلا مطية ركبها اليهودي للتعريف بنفسه، خاصة أنه كان يعرف حاجة القصر إلى كاتب مجيد، يحرر المراسلات بين الإمارة الزيرية والإمارات الأخرى.

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 198

2-2 تحرير محل الخلاف الحاصل لدى المؤرخين حول شخصية ابن نغريلة الأب والابن:

يبدو أنه حتى المؤرخون المتقدمون قد وقعوا في هذا الخلط، وغالبا ما تداخلت لديهم شخصية الأب مع الابن. نفهم ذلك من خلال النصوص التالية:

لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة وفي خضم حديثه عن سبب وفاة بلقين بن باديس يقول: " وأمضى باديس كاتب أبيه ووزيره إسماعيل ابن نغزالة اليهودي على وزارته... وكان لولده بلكين خاصة من المسلمين يخدمونه، وكان مبغضا في اليهودي، فبلغه أنه تكلم في ذلك لأبيه، فبلغ منه كل مبلغ فدبر الحيلة، فذكروا أنه دخل عليه يوما فقبل الأرض بين يديه فقال له الغلام: ولم ذلك؟ فقال: يرغب العبد أن تدخل داره مع من أحببت من عبيدك ورجالك، فدخل إليه بعد ذلك فقدم له ولرجاله طعاما وشرابا، ثم جعل السم في الكأس لابن باديس، فرام القيء فلم يقدر عليه، فحمل إلى القصر وقضى نحبه في يومه، ... وكانت وفاته في سنة ست وخمسين وأربعمائة. وبعده قتل اليهودي في سنة تسع وخمسين."[1]

وهذا النص نقله ابن الخطيب بحسب قوله عن ابن عذاري، ويفهم منه أن إسماعيل ابن النغريلة، هو من دبر قتل بلقين بن باديس، وهو من سقاه السم، ويفهم منه أيضا أن إسماعيل هو وزير باديس الذي ثارت به صنهاجة وقتلوه، فالنص أعلاه يخبرنا أن إسماعيل قتل في سنة 459هـ/ 1066م، وهي السنة التي حدثت فيها مذبحة اليهود في غرناطة.

لكنه يأتي في موضع آخر ويخبرنا أن المدبر في دولة باديس هو يوسف بن اسماعيل فيقول: "... وشاور وزيره اليهودي يوسف بن إسماعيل مدبر دولته الذي لا يقطع أمرا دونه...» ثم يقول وهو بصدد التعريف بالوزير اليهودي، مستعينا بنص نقله عن ابن عذاري أيضا، جاء

1 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص 434.

فيه: « أمضى باديس كاتب أبيه ووزيره ابن نغرالة اليهودي، وعمالا متصرفين من أهل ذمته فاكتسبوا الجاه في أيامه واستطالوا على المسلمين."[1]

والملاحظ هنا أنه ذكر ابن نغرالة بدون تحديد الاسم الذي يبين لنا من المقصود بابن نغزالة إسماعيل أم يوسف؟ على عكس النص الأول الذي يخبرنا أن الوزير هو إسماعيل الأب.

ثم ينقل عن ابن حيان قوله: "وكان هذا اللعين في ذاته على ما زوى الله من هدايته من أكمل الرجال علما وحلما وفهما، وذكاء، ودماثة، وركانة، ودهاء، ومكرا، وملكا لنفسه وبسطا من خلقه، ومعرفة بزمانه، ومداراة لعدوه، ..." – وهنا هو يصف ابن النغريلة الأب – إلى أن يقول: "... هلك في العشر الثاني من محرم سنة تسع وخمسين وأربعمائة، فجلل اليهود نعشه، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين، وتعاقدوه جازعين، وبكوه معلنين... " ثم يأتي في موضع آخر ويروي لنا قصة مقتل يوسف ابن النغريلة، ويتهمه بأنه كان وراء مقتل بلقين بن باديس، وأنه قتل في سنة 459هـ/466م.[2]

وبالعودة إلى كتاب البيان المغرب، نجد أن هناك اختلالا في النقل عند ابن الخطيب، فالنص في البيان جاء كما يلي: "فأمضى باديس وزيرا له كاتبا وزير أبيه إسماعيل بن نغزالة اليهودي على وزارته وكتابته وسائر أعماله ورفعه فوق كل منزلة فاتخذ هذا اليهودي عمالا ومتصرفين في الأشغال واكتسبوا الجاه والمال في أيامه واستطالوا على المسلمين، وكان هذا اليهودي من أهل الأدب والشعر فدام أمره كذلك إلى أن هلك. وترك ابنا له اسمه يوسف لم يعرف ذلة ولا قذر اليهودية، وكان جميل الوجه حاد الذهن، فأخذ نفسه بالاجتهاد في الأحوال واستخراج الأموال واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال، فزادت منزلته عند أميره باديس".[3]

1 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 438.

2 – ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج1، ص ص 438– 439.

3 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 268.

وهنا نجد أن ابن عذاري يفرق بين الأب اسماعيل وابنه يوسف ويخبرنا بأن كليهما شغل منصب الوزارة في الإمارة الزيرية.

وبالرجوع الى مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين آخر أمراء الدولة الزيرية في غرناطة تتضح الأمور جلية باعتباره شاهد عيان على ما جرى من أحداث ووقائع في دولته ودولة آبائه.

يخبرنا الأمير عبد الله أن أبا ابراهيم اليهودي، كان كاتبا بين يدي أبي العباس كاتب حبوس ولما مات أبو العباس ترك بنين، أقام حبوس أكبرهم مكان أبيه، غير أن الابن لم يكن جديرا بمقام الوزارة، مما جعل أبا إبراهيم اليهودي ينتهز الفرصة ويستغلها أحسن استغلال للتقرب من حبوس، فكان كلما غاب ولد أبي العباس، حضر أبو ابراهيم اليهودي، وإذا ما سأل حبوس عنه، بادره اليهودي بالاعتذار لصاحبه بالقول: " ولد أبي العباس كما ترى صبي يؤثر الراحة، وأنت جدير بالإغضاء عنه وأنا عبده، أنوب عنه، أنوب منابه، فمرني بما شئت". ولم يزل على ذلك، حتى تمكن وظهرت خدمته وسعيه في جباية المال.[1]

ومن هنا بدأ النفوذ الحقيقي لإسماعيل بن النغريلة، فقد استطاع أن يملأ الفراغ الذي تركه وزير حبوس أبو العباس ابن العريف، وأن يتوكل وحده دونا عن ولد أبي العباس، الذي لم يكن أهلا لما ورث عن أبيه، من حسن خدمة الأمير وجباية الأموال له.

ويخبرنا أنه من كياسة أبي ابراهيم اليهودي، أنه انحاز لباديس ابن حبوس، وكان له سندا في مواجهة خصومه، خاصة ابن عمه يدّير الذي كان ينافسه على السلطان، ، وكيف أن أبا ابراهيم اليهودي كان له الفضل الأكبر، في إفشال خطة يدّير ومعاونيه للفتك بباديس، وذلك أنه حين اتفقوا معه على أن يكون الاجتماع في منزله، يريدون قتل باديس والفتك به، أخبر باديس بالأمر، ولم يكتف بذلك، بل جعله يحضر اجتماعهم المشؤوم من مكان خفي، بحيث يراهم ولا

1 – ابن بلقين، التبيان، ص ص 30– 31.

يرونه، فسمع ورأى كل ما دبره القوم بشأنه، وهو ما جعل باديس ممتنا لليهودي، فزاد في حظوته لديه، ومنحه ثقته، وقربه منه.[1]

وفي موضع آخر يصرح الأمير عبد الله أن باديس استوزر ولد أبي إبراهيم اليهودي بعد وفاة أبيه وذلك بقوله: " ... فلما توفي أبو إبراهيم، وترك ابنه وزير جدنا، ورث لأبيه أموالا كثيرة ووصاه أن يسعى في طلب الوزراء عند استقامة الدولة للرئيس..."[2]

وفي قول الأمير الزيري عبد الله بن بلقين، ما يرفع اللبس ويجلي الحقيقة ويقطع الشك باليقين، وفيه إقرار بأن ابن النغريلة الأب، وابن النغريلة الابن، كلاهما اشتغل بالوزارة في إمارة غرناطة الزيرية. كما أن الأمير عبد الله يفند في أكثر من موضع، الرواية القائلة بأن ابن النغريلة الأب، هو من ثارت به صنهاجة، ويؤكد أن القتيل الذي فتك به وبأصحابه أهل غرناطة هو ابن النغريلة الابن.

غير أن الأمير عبد الله، لم يبح لنا في مذكراته باسم كل من الأب والابن، وإن كان يرمز للأب بأبي ابراهيم، والابن بولد أبي ابراهيم.

وبالرجوع لابن الخطيب، ولكن هذه المرة في كتابه أعمال الأعلام، نجد أنه يخبرنا بوضوح بأن وزيرا غرناطة من اليهود هما اسماعيل ابن النغريلة وابنه يوسف، وبأن كليهما خدما لباديس بن حبوس، ويخبرنا أن يوسف الابن، هو الذي سمَّ بلقين بن باديس بن حبوس على عكس الرواية التي في الإحاطة، بأن اسماعيل هو الذي فعل ذلك، وبأنه قتل بعده بثلاث سنين وذلك في سنة تسع وخمسين وأربعمائة.

1 – ابن بلقين، التبيان، ص ص 31.

2 – ابن بلقين، المصدر نفسه، ص 37.

والرواية التي في أعمال الأعلام كما يلي: "واستولى على دولة باديس كاتبه الاسرائيلي ابن نغرالة، ثم ولده يوسف بعده فكانت بيده أمواله وبعين لحظه أحواله، وبمرأى منه أفعاله الخفية وأقواله، وكان نشأ لباديس ولده المسمى بلقين، فرشحه لولاية عهده، ولقبه سيف الدولة وكان منحرفا عن اليهودي المذكور منكرا استيلاءه على الملك، وتنويهه باليهود من قومه، وانطلاق يده على المسلمين، ولايزال يبعث فيه لأبيه بما تنهيه إلى اليهودي وتبادر به إليه عيونه في القصر وجواسيسه، فأعمل الحيلة على بلقين بمجلس شراب احتفله له، وسقاه كأس سم قضى منه نحبه."[1]

أما ابن سعيد الأندلسي فيحذو حذو ابن الخطيب في الإحاطة، ويزعم أن إسماعيل الأب هو وحده من شغل منصب الوزارة في الإمارة الزيرية، وهو من ثارت به صنهاجة وقتلته انتقاما، إذ يقول: "إِسْمَاعِيل بن يُوسُف بن نغرلة الْيَهُودِيّ من بَيت مَشْهُور فِي الْيَهُود بغرناطة آل أمره إِلَى أن استوزره باديس ابْن حبوس ملك غرناطة فاستهزأ بِالْمُسْلِمين وَأقسم أَن ينظم جَمِيع الْقُرْآن فِي أشعارٍ وموشحات يُغني بهَا فآل أمره إِلَى أَن قَتله صنهاجة أَصْحَاب الدولة بِغَيْر أَمر الْملك ونهبوا دور الْيَهُود وقتلوهم."، كما يزعم أن يوسف كان صغيرا لما قتل أبوه بغرناطة، وصلب في نهر سنجل، وأنه هرب الى إفريقية.[2]

وبذلك فهو ينفي أن يكون يوسف بن اسماعيل ابن النغريلة قد تقلد الوزارة ويحصرها في أبيه فقط، وهو ما يفنده الأمير عبد الله بن بلكين كما ذكرنا سابقا، ويفنده كثير من المؤرخين الذين أرخوا للدولة الزيرية في غرناطة.

أما ابن بسام في الذخيرة، فيقرر أن يوسف هو ابن النغريلة الأب، وان إسماعيل هو الابن حيث يقول: "وكان من عجائب ذلك الزمان الواهي النظام، اللاعب بالأنام، ترقي ذلك اليهودي المأفون الرأي، الزاري على كل ذي دين، لم تسلم له يهود في دينها الملعون، ولا أمنته على غيبها

1 – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ص 230– 231.

2 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 114.

الظنين، وكان أبوه يوسف رجلاً من عامة اليهود، حسن السيرة فيهم، ميمون النقيبة عندهم، تولى لباديس ولأبيه قبله حبوس بغرناطة جباية المال، وتدبير أكثر الأعمال، ... أخبرني من رآه يساير صاحبه بساحة قرطبة... قال المحدث: فرأيته مع باديس، فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس فأنشدت: تشابهت المناكب والرؤوس وحدثت عن ابن السقاء مدبر قرطبة يومئذ أنه قال: لا بأس بإسماعيل لولا أنه نسي اليهودية."[1]

ومهما يكن من اختلافات فإن المؤكد أن لقب ابن النغريلة حمله الأب وورثه عنه الابن من جملة ما ورث، وأن الأب عمل للأمير حبوس ثم لابنه باديس بن حبوس من بعده، جابيا للمال وكاتبا ووزيرا، ثم ورث عنه ابنه مهامه ووظيفته. كما أن الروايات الكثيرة ترجح أن ابن النغريلة الابن هو الذي قامت عليه صنهاجة زمن حكم باديس وقتلوه، وقتلوا معه خلقا عظيما من اليهود.

3- أسباب استوزار اليهود في غرناطة الزيرية:

كثير من اليهود، هم الذين بلغوا الحظوة والدرجة الرفيعة، في البلاد الإسلامية وفي بلاطاتها، خاصة في الأندلس، ومن هؤلاء على سبيل المثال حسداي بن شبروط[2]، الذي عمل مستشارا للخليفة عبد الرحمان الناصر، وكان مقدما ووجيها عنده، لكن المؤرخين يكادون يجمعون على أن ابن النغريلة، هو أول يهودي بل الوحيد، الذي تبوأ منصب الوزارة بشكل صريح في بلد إسلامي.

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص ص 766– 767

2 – **حسداي بن شبروط:** خدم الحكم بن عبد الرَّحْمَن النَّاصِر لدين الله وكان له عناية بالطب، وَهو من أَحْبَار الْيَهُود، مُتَقَدما فِي علم شريعتهم وَهُوَ أول من فتح لأهل الأندلس مِنْهُم بَاب علمهمْ من الْفِقْه والتاريخ وَغير ذَلِك وَكَانُوا قبل يضطرون فِي فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم إِلَى يهود بَغْدَاد فيستجلبون من عِنْدهم حِسَاب عدَّة من السنين يتعرفون بِهِ مدَاخِل تاريخهم ومبادئ سنيهم، فَلَمَّا اتَّصل حسداي بالحكم ونال عِنْده نِهَايَة الحظوة توصل بِهِ إِلَى استجلاب مَا شَاءَ من تآليف الْيَهُود بالمشرق. ينظر: ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص 498.

يقول ديورانت: "وأوصى الوزير وهو على فراش الموت أن يخلفه شمويل، وبذلك أصبح شمويل في عام 418هـ/ 1027م اليهودي الوحيد الذي شغل منصب وزير في دولة إسلامية وحظي بهذا اللقب."[1] وشمويل هو الاسم الأعجمي لإسماعيل بن النغريلة.

ويقول دوزي وهو يتحدث عن ابن النغريلة: "وربما لا يحدثك التاريخ عن رجل يهودي حكم في دولة إسلامية حكمًا مباشرًا وصريحًا باسم وزير مستشار إلا في هذه المملكة الإسلامية، على أن بعض اليهود قد تمتع على الأرجح بشيء من الاعتبار والحظوة لدى بعض ملوك المسلمين الذين كانوا يستعملونهم غالبًا على وزارة المالية، ولكن التسامح لم يبلغ بالإسلام إلى حد أن يتولى يهودي منصب رئيس الوزراء."[2]

3-1 أولا ما تعلق بشخص ابن النغريلة:

- **حسن السياسة والتدبير:**

وهو ما أكده الأمير عبد الله بن بلكين بقوله وهو يصف ابن النغريلة: "وكان في اليهودي من الكيس والمداراة ما طابق الزمان الذي كانوا فيه والقوم الذين يرمونهم".[3]

وقيل عنه أيضا: "وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علما وحلما وفهما، وذكاء، ودماثة، وركانة، ودهاء، ومكرا، وملكا لنفسه، وبسطا من خلقه، ومعرفة بزمانه، ومداراة لعدوّه، واستسلالا لحقودهم بحلمه"[4].

ومن أعظم المواقف التي تحمد لابن النغريلة، وتؤكد على مدى حنكته ودهائه، تدخله في الوقت الحاسم ووقف المجزرة التي كان سيرتكبها باديس، في حق أهل حضرته ومشايخ

1 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 52.

2 – دوزي، ملوك الطوائف، ص 41.

3 – ابن بلقين، التبيان، ص 31

4 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص 205

إمارته المناوئين له، وعن الحادثة يقول ابن الخطيب: "فسوّلت له نفسه حمل السيف على أهل حضرته جميعا، ودبر أن يأتي ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة، وشاور وزيره اليهودي يوسف بن إسماعيل، مدبّر دولته الذي لا يقطع أمرا دونه، مستخليا، مستكتما بسرّه، مصمّما في عزمه، فنهاه عن ذلك وخطّأ رأيه فيه، وسأله الأناة ومحض الرويّة، وقال له: هبك وصلت إلى إرادتك ممّن بحضرتك، على ما في استباحتهم من الخطر، فأنّى تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك، وبسائط أعمالك؟..."[1]

ولم يقف إسماعيل حيال هذا الأمر موقف الخمول، بل كان قد دس نسوة إلى الزعماء الذين تقصدهم باديس بالهلاك ، ونصحن لهم بعدم الاجتماع للصلاة يوم الجمعة، وأن يختفوا عن الأنظار، فعملوا بنصيحتهن وأخذوا حذرهم، ولما تحقق باديس فشل خطته اغتاظ كثيرا وأرسل في طلب إسماعيل يقرّعه لإذاعته سره الذي أفضى به إليه، وكان جواب ابن النغريلة في غاية الذكاء والمكر، حين أجابه بأن امتناعهم عن الحضور لصلاة الجمعة، لم يكن لسر مذاع، وإنما لما رأوا من تأهب الجند بلا سبب موجب، فتيقنوا أن سوء يقصدهم، فعوضًا من أن تغضب يجب عليك أن تبتهج على هذه العاقبة الحميدة.[2]

- **الكفاءة العلمية:**

جمع ابن النغريلة بين منصبه الدنيوي، كوزير في إمارة غرناطة وبين منصبه الديني كرئيس لربابنة اليهود، وواظب على عقد المجالس العلمية الدينية، وكان يجمع شباب اليهود حوله ويشرح لهم تعاليم التوراة، والتلمود، وكان يقوم بالرد على أسئلة اليهود الدينية التي كانت

1 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، 437 .

2 – دوزي، ملوك الطوائف، ص ص 137– 138.

تصله من مختلف البقاع، ويعد إسماعيل بن النغريلة أول من استخدم المنهج العلمي في دراسة التلمود، كما يعد أول من كتب تاريخ اليهود بعد هدم هيكلهم.[1]

وقد شهد لابن النغريلة بالكفاءة العلمية المتقدمون والمتأخرون، يقول عنه ابن بسام: "وكان على ذلك قد نظر في الكتب، وشدَّ أشياء من علم العرب."[2] وقال عنه ابن حيان: "... ناهيك من رجل كتب بالقلمين واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي ونظر فيه، وقرأ كتبه، وطالع أصوله، ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتّاب الإسلام فجمع لذلك (السّجيج في علوم الأوائل الرياضية) وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النّجومية ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كلّ مستول منه على غاية، جمّاعة للكتب."[3]

وقول ابن عذاري فيه: "... وكان هذا اليهودي من أهل الأدب والشعر."[4] ويقول عنه دوزي: "فأما صمويل هاليفي الرباني المعروف بابن النغريلة فقد ولد بقرطبة ودرس بها التلمود على يد الرباني "هنخ" حاخام الطائفة اليهودية بها كما اهتم بدراسة الأدب العربي وألم بمعظم علوم الوقت إذ ذاك وأصاب حظا عظيما من كل ذلك."[5]

ويقول عنه ديورانت: "وأوصى الوزير وهو على فراش الموت أن يخلفه شمويل... وكان هو نفسه عالماً وشاعراً ونابغة في الفلك، والرياضة، واللغات، يعرف سبعاً منها، وقد ألف عشرين رسالة في النحو (معظمها بالعبرية) وعدة مجلدات في الشعر والفلسفة، ومقدمة للتلمود، ومجموعة من الأدب العبري، وكان يقتسم ماله مع غيره من الشعراء وأنجد الشاعر والفيلسوف

1 – القوصي عطية: "**اليهود في ظل الحضارة الاسلامية**"، منشور ضمن سلسلة فضل الاسلام على اليهود واليهودية، يصدرها مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، إشراف: محمد خليفة حسن، العدد 2، 2001. ص 142

2 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 767

3 – ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص 438– 439.

4 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 268.

5 – دوزي، المسلمون في الأندلس، ج3، ص 21

ابن جبيرول وأمد بالمال طائفة من شباب الطلاّب، وأعان الجماعات اليهودية في قارات ثلاث وكان وهو وزير الملك حاخاماً لليهود يحاضر عن التلمود."[1]

3-2 الأسباب المتعلقة بالسلطة الزيرية:

يقول الأمير عبد الله بن بلكين: "فاستعمله لذلك استيحاشا من غيره، ولما كان يرى من طلب بني عمه له، ولأنه يهودي ذمي، لا تشره نفسه إلى ولاية، ولا هو أندلسي، فيتقى منه إدخال داخلة مع غير جنسه من السلاطين، ولاحتياجه إلى الأموال التي يطبّى به بني عمه ويحاول بها أمر الملك، لم يكن له بد من مثله أن يجمع له الأموال ما يدرك معها الآمال ولأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة والعمال إنما كانوا يهودا، فكان يجني منهم الأموال ويعطيه فيلقي منهم ظالما إلى ظلمة، يأخذ منهم ما يملأ به بيت المال وإقامة أود المملكة أولى به منهم."[2]

وكما يبدو فقد لخص الأمير عبد الله، الأسباب الكامنة وراء استعمال السلطة الزيرية في غرناطة، ممثلة في الأمير حبوس وخلفه باديس، لليهودي ابن النغريلة وولده في منصب حساس كمنصب الوزارة. ويمكن استخلاصها كما يلي:

- التناحر على السلطة داخل العائلة الزيرية في غرناطة ومنها تدبير يدّير قتل باديس.
- كون ابن النغريلة يهودي ذمي، فهذا بالتأكيد يمنعه من التفكير أو التطلع لما هو أعلى من الوزارة في بلد مسلم ومحاط بإمارات كلها إسلامية.
- كون ابن النغريلة من الطارئين على الأندلس، وليس أندلسيا ليتآمر مع أعداء البربر من الأندلسيين الذين كانوا يضمرون العداوة لأبناء زيري لأسباب عديدة.

1 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 52.

2 – ابن بلقين، التبيان، ص ص 31– 32

- الحاجة الى الأموال والتي كان أحد أهم مصادرها الضرائب والجزية، ولأن اليهود كانوا كثيرين في غرناطة، فإن استعمال شخص يهودي لتحصيل المال منهم كان أفضل وأحسن اختيار.

وبالنسبة لدوزي، وفي معرض محاولته تلخيص الأسباب، الكامنة وراء ارتقاء ابن النغريلة لمنصب الوزارة في غرناطة، يلاحظ أنه يضمّن حديثة بعبارات قاسية وجارحة، في حق أبناء زيري والبربر عموما، لدرجة أنه يصف الأمير حبوس بالصعلوك، والمتنكر لأصله الذي كان يرى فيه وضاعة، وهذا مضمون قول دوزي:

وقد كانوا يؤثرون في ذلك الحين أن يكون الوزير أديبًا – يقصد ملوك الطوائف – كي يستطيع أن يحرر الرسائل التي ترسل إلى الملوك بالنثر المبدع، والأسلوب الرائع الممتع، وقد كان ملك غرناطة يرغب في أن تتوافر هذه المواهب عنده، ومثله في ذلك مثل صعلوك يعمل على أن يكون من العظماء، لدرجة أنه كان يزعم أن صنهاجة عربية، فلكل هذه الاعتبارات كان لا بد له من وزير مضطلع بفنون الأدب لا نظير له عند جيرانه، لذلك كان اختيار ابن النغريلة اليهودي هو الاختيار الأمثل.[1]

ومن أسباب تعيين اليهودي ابن النغريلة في منصب الوزارة، هو عدم أهلية خليفة ابن أبي العباس الوزير الغرناطي للسياسة وعجزه عن أن يملأ مكان أبيه.[2] وربما كان تمسك باديس بوزير أبيه اليهودي إسماعيل، ثم تولية ابنه يوسف الوزارة من بعده، وجها من أوجه رد الجميل لما كان من صنيع إسماعيل حين انحاز له لما دبر القوم الغدر به فأفشى له سرهم وأبلغه خطتهم، وكان بذلك سببا في إفشال مؤامرتهم وتدبيرهم.

1 – دوزي، ملوك الطوائف، ص 42.

2 – ابن بلقين، التبيان، ص ص 30– 31

ويجدر بنا التساؤل في هذا المقام: هل للعلائق المتقدمة، بين أبناء زيري واليهود بالمغرب الأوسط، علاقة بما بلغه اليهود من عز وجاه وحظوة في الإمارة الغرناطية؟

يذهب البعض إلى أن اليهود في عصر الطوائف، اتجهوا للتعاون مع البربر، حيث كان هناك تعاون قديم بينهم في بلاد المغرب، ويؤكد ذلك اضطرار اليهود الذين سكنوا مدينة فاس، إلى الخروج منها مطرودين إلى مدينة أشير، التي شرع زيري بن مناد الصنهاجي في بنائها عام 324هـ/ 935م، بسبب خوف الأمويين في الأندلس وحليفتهم قبيلة زناتة المغربية، من وجود اليهود أتباع الزيريين في مدينة فاس وذلك عام 377هـ/ 987م.[1]

يبدو أن الدوافع التي ذكرت حول جدوى استوزار اليهود مقبولة من الناحية السياسية لكنها مرفوضة من الناحية الشرعية لأسباب عديدة، كذلك لنظرة الاستعلاء التي ينظر بها اليهود إلى الأقوام الأخرى، والعداء الشديد الذي يكنونه لغيرهم من الطوائف المخالفة لهم، وعلى رأسهم المسلمين، وينقل التاريخ أمثلة عديدة عن مؤامرات اليهود التي كانت موجهة ضد الرسالة المحمدية وأهلها، منذ كان الإسلام في مهده.

1 – ظريف راشد سيد أحمد فشكل: "**الحياة السياسية لليهود في الأندلس في عصر بني أمية وملوك الطوائف (138– 484هـ/ 831– 1091)**" مجلة بحوث، كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد 55، أكتوبر 2003، ص 159

4- مؤامرات ودسائس اليهود:

استغل ابن النغريلة ثقة حبوس، وأخذ في التخطيط للاستيلاء على مقدرات الحكم كلها، وقد عدّ بعض المؤلفين المستشرقين عهد بني زيري عهد استسلام لليهود، وكان من أسباب ذلك عدم ثقتهم بالعنصر العربي.[1]

4-1 الاحتيال لتولية باديس الحكم بعد أبيه:

قدّر إسماعيل بن النغريلة أن خلافة باديس أباه على العرش، ستكون في مصلحته ومصلحة أهل طائفته، فبذل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك، حيث أسهم في إقناع حبوس بالتوصية لباديس من بعده، كما حث بلقين على التنازل لأخيه، وأقنع من استطاع من زعماء صنهاجة بمناصرة باديس، وعندما مات حبوس سنة 437هـ/ 1045م، قام عدد من زعماء صنهاجة بمبايعة بلقين، لكنه رفض قبول البيعة وأعلن أنه سيبايع لأخيه باديس حسب رغبة والده، وهكذا تحققت رغبة إسماعيل التي عمل من أجلها، وصدق ظنه في باديس الذي قدر جهوده في خدمة والده، وفي العمل من أجل وصوله إلى الحكم، فقام بتثبيته في منصبه الوزاري الكبير.[2]

وكان لباديس منافس عنيد من بني قومه، هو يدّير ابن عمه حباسة، وكان يحاول هو ومِن ورائه بعض شيوخ غرناطة، أن ينتزع السلطة لنفسه، فلما فشل أيام حبوس، حاول أن يعيد الكرة في أوائل عهد باديس، فلما دبر القوم مؤامرتهم لانتزاع السلطة من باديس وإجلاس يدّير مكانه لجأوا إلى أبي إبراهيم، وحاولوا ضمه إليهم، فتظاهر بالقبول، وأخطر مولاه باديس، وبذلك افتضحت خطة يدير ومن معه، وباءت بالفشل، ومن ذلك الحين غدا ذلك اليهودي أثيراً عند باديس.[3]

1 – ولد أن محمد الأمين: "**اليهود في دولة بني زيري الصنهاجيين في غرناطة**"، مجلة دراسات، العدد 7، جوان 2015. ص 83.

2 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 208، 209.

3 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 127

ويقول الأمير عبد الله بن بلقين في مذكراته: "وصنهاجة مع هذا يخاطبونه حتى أنه وقعت بين يدي باديس رحمه الله كتب كثيرة من عند صنهاجة إلى يدّير تضمنت أزيد من مائتي رجل فغضب لذلك وهمّ بقتلهم وشاور أبا إبراهيم في الأمر فقال له: أرى من الرأي ألاّ تؤنب أحدا على هذه الكتب، ولا تعلمهم أنها صارت إليك، وأن تأمر الآن بنار تحرقها بها وتطفئ أثرها، ورأس العقل مداراة الناس، فإن عاقبت... فاحتل للأمر بغير هذا الوجه فقبل نصيحته واستعان ببعضهم على بعض، وأفشى فيهم العطايا، وضرب الابن بأبيه والأخ بأخيه".[1]

ولم يكن نصحه لباديس ومحاباته له وتقديمه على غيره حبا فيه، وإنما كان حرصا على بقاء نفوذه ومكانته، ما بقي هذا الرجل على عرش غرناطة.

وكان إسماعيل يخشى من تولي يدّير، لأنه يعلم أن خلقه ودينه خطر عليه وعلى مكانته وقد سبق له أن طرد يهوديا من منصبه، فهو لم يكن يحبّذ استعمال اليهود في مصالح الدولة، كما أن إسماعيل كان يخشى من تولي بلقين أخ باديس، لأن صغر سنه وطيبته، ستسمح لزعماء صنهاجة بالتدخل في شؤون الحكم، كما أن تولي بلقين سيحقق رغبة بعض اليهود الحاقدين على ابن النغريلة، ويساعدهم على التخلص منه.[2]

4-2 إزاحة ولد أبي العباس وابني القروي عن الخدمة في القصر الزيري:

يقول الأمير عبد الله: "ولما توفي أبو العباس المذكور، وترك بنين أقام حبوس – رحمه الله – أكبرهم عوضا من أبيه واستعمله مكانه، وكان في الابن صبوة لا يرتبط معها إلى خدمة الرياسة فمكر به أبو إبراهيم اليهودي، ولزم خدمة الرئيس، وصار متى غاب ولد أبي العباس يحضر أبو إبراهيم فيسأل عنه حبوس، فيقول معتذرا في الظاهر ومطالبا له في لحن القول: ولد أبي العباس

1 – ابن بلقين، التبيان، ص ص 33– 34

2 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 208

كما ترى صبي يؤثر الراحة وأنت جدير بالإغضاء عليه وإقامة عذره، وأنا عبده أنوب منابه، فمرني بما شئت يتهيأ ذلك، فلم يزل على هذا حتى تمكن وظهرت خدمته وسعيه في ضم الأموال".[1]

وكانت إزاحة ولد أبي العباس من خدمة الأمير حبوس أول خطوة ناجحة في مشوار ابن النغريلة باتجاه السلطة والنفوذ وربما كان يصبو لما هو أخطر من ذلك، إقامة دولة لليهود في الأندلس على رأي ابن عذاري الذي يقول: "وصارت لليهود صولة على المسلمين في دولته إلى حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجته لضرب رقبته وقتل جملة عظيمة من أهل ملته وذلك أن هذا اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة..."[2]

وكان لباديس وزيران هما: علي وعبد الله ابنا القروي، ولقد تقرب إليهما ابن النغريلة وأغراهما بالمال حتى اطمأنا إليه ونصحا باديس بالاعتماد عليه وتقديمه، فقدمه باديس على العمال والجبايات، ثم أعمل الحيلة ضدهما لدى باديس، حتى انتزع له ما كان بيد ابني القروي من أملاك، فاغتاظ ابنا القروي من ذلك، وشاركهم شعورهم بعض رجال الدولة، وحرضوا بلقين على قتله.[3] وبالفعل فقد فسدت العلاقة بين بلقين ووزير أبيه اليهودي وهو ما أدى في النهاية إلى مقتل بلقين.

4-3 التخلص من بلقين بن باديس:

بُلُقِّين هو ولد الأمير الزيري باديس بن حبوس الأكبر، ويلقّب بسيف الدولة، وكان مرشحا لخلافة أبيه على عرش غرناطة، وكان بلقين يحقد على الوزير اليهودي ابن النغريلة، لما رآه من استئثاره بزمام الأمور، واستئثار بني جنسه بالتصرف في الأعمال، وسيطرتهم التامة على مفاصل الدولة. ينظر إلى ذلك كله بعين السخط والنقمة، وكان يتحدث بذلك في بعض مجالسه، ويتوعد

1 – ابن بلقين، التبيان، ص 67

2 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص ص 265– 266

3 – ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم، ج3، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981، ص 13. كواتي مسعود، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، الجزائر: دار هومة للطباعة، 2009، ص 210

بإسقاط الوزير اليهودي وقتله، ومما كان يزيد في فتيل هذه الرغبة، تحريض وزراء الدولة، ولاسيما علي وعبد الله ابنا القروي بالتأكيد على أنه أحق بهذا النفوذ، وبهذه الأموال التي يتمتع بها اليهود كيف لا؟ وهو ابن الأمير وولي عهده من بعده.[1]

وعندما علم ابن النغريلة بنية بلقين في التخلص منه، أعمل الحيلة للانتقام منه بأن دعاه إلى داره، وأعد له مأدبة طعام وشراب، وكان بلقين معاقرا للخمر؛ كثيرا ما ينادم اليهودي ويشاركه شرابه، وكان أن جعل اليهودي السم في كأس بلقين، حتى قذف ما في جوفه، ووقع على الأرض، ولم يستطع المشي إلى منزله إلا بمشقة، ولبث يومين ومات، وكان ذلك في عام 456هـ/ 1063م. ولما علم باديس بالخبر عزم على قتل وزيره اليهودي، لكنه أقنعه بأن بعض أصحابه وخدمه وجواريه، هم سبب هلاك ابنه؛ بأن زينوا له الإدمان على الخمر وهو ما تسبب في هلاك الكثير من الأبرياء عقابا بلا بيّنة، بعد أن أعمل فيهم باديس السيف انتقاما لمقتل ولده وولي عهده.[2]

ويخبرنا ابن الخطيب عن حادثة مقتل بلقين فيقول: "... فقدّم له ولرجاله طعاما وشرابا، ثم جعل السّم في الكأس لابن باديس، فرام القيء، فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره وقضى نحبه في يومه، وبلغ الخبر إلى أبيه ولم يعلم السبب، فقرّر اليهوديّ عنده أنّ أصحابه وبعض جواريه سمّوه، فقتل باديس جواري ولده، ومن فتيانه وبني عمّه جماعة كبيرة وخافه سائرهم ففرّوا عنه، وكانت وفاته سنة 456هـ/ 1063م."[3]

ولطالما عمل الوزير اليهودي على الوقيعة بين بلقين وأبيه باديس.[4] وهناك وقائع كثيرة سبقت واقعة القتل، يرويها الأمير عبد الله عن علاقة الوزير اليهودي بأبيه بلقين بن باديس، توحي بأنها لم تكن علاقة توافق أبدا، ولكنها كانت علاقة يشوبها التناحر والتباغض، وترصد كل منهما للآخر

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 134

2 – الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، ص 163

3 – ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص 434.

4 – حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، ص 499.

وجاءت الدوائر في الأخير على الأمير بلقين، الذي كما يبدو لم يكن في مكر ودهاء الوزير اليهودي.

4-4 الوقيعة بين ماكسن وأبيه باديس وإخراج قواد صنهاجة من غرناطة:

خطط يوسف للتخلص من ماكسن واستعمل في ذلك الفرية على أم ماكسن عند باديس، وأشهد على ذلك جماعة من أهل الدولة ممن يعادون ماكسن، ولقد عرف عن ماكسن سرعة غضبه، حتى جعلته الأنفة من هول ما نقل إليه، أن يأمر بقتل أمه ودایاته، ثم كان من اليهودي أن أقنع باديس أن ولده ماكسن يدبر للإطاحة به، والاستيلاء على الحكم، فقرر باديس نفي ولده، وأوكل لليهودي تنفيذ قراره، فسلمه اليهودي إلى مجموعة من العبيد، وأوصاهم بأن يضربوا عنقه متى وصلوا الى موضع عرفهم إياه.[1]

وعن هذه الواقعة يخبرنا الأمير عبد الله بن بلقين بقوله: "وكان من آكد الأسباب في نفيه أن خرج السلطان يوما لعرض الأجناد، وقت الفتنة مع ابن صمادح[2]، فانتدب إليه من شيوخهم من قال له: ما ينبغي لك أن تقدم علينا العبيد وغيرهم، وتترك مثل هذا الابن، أرسله معنا ونتبعه في كل ملمّة – يعني ماكسن–، فعز ذلك على أبيه، مع سخطه عليه لما كان يرى منه ونقل إليه عنه، وخاف أن يكون وراء هذا الكلام فعل بأن يخمّلوه ويقدموا ابنه، وجزع اليهودي جزعا شديدا وقال: ما حسبت نفسي في ذلك اليوم إلا مقتولا فأعلم السلطان بهذه الوجوه وأمر على المقام بنفيه

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 219

2 – **ابن صمادح:** كان جدّه محمد صاحب مدينة وَشْقة، فحاربه ابن عمه منذر بن يحيى، فعجز عنه، فترك له وشقة وهرب، وكان من الدهاة وكان ابنه معن مصاهرا لعبد العزيز بن عامر صاحب بَلَنْسِية والمَرِيّة، فاستخلف معنا على المرية، فخانه وتملكها، وتم له الأمر ثم انتقل ملكها إلى ولده المعتصم، وكان حليما جوادا، مدحه الشعراء، وهو أحد من داخل ابن تاشفين واختص به، ثم إن ابن تاشفين عزم على أخذ البلاد من المعتصم، وكان معه المرية وبجانة والصمادحية، فأظهر المعتصم العصيان، فلم يكن بينه وبين حلول الفاقرة إلا أياما يسيرة، فمات واستراح وهو في عزه وبلده. ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 33، ص 138

عن البلد ووجه معه من عبيده من يخرجه عن نظره كله، ووصى اليهودي لعنه الله ذلك العبد أن يصل معه إلى موضع سماه بحيث يخفي أمره، فيضرب عنقه."[1]

ولم تسلم من مؤامرات اليهودي حتى النساء، فقد غرّر بأم ماكسن، وافترى عليها عند السلطان وادعى عليها بما لم يستطع ماكسن تقبل سماعه، فقادته حميته لقتل أمه وبعض من نساء بيته ثم دبّر الوقيعة بين ماكسن وأبيه باديس، وهو بفعله ذاك كان يؤمن محيطه من كل خطر، قريب كان أو بعيد.

وحين شعر يوسف بالخطر المحدق من حوله عمل على تعيين أكابر رجال بني زيري الذين يهاب جانبهم، في المعاقل البعيدة، وذلك لإبعادهم عن مراكز القرار.[2]

وكان سبب ذلك أنه حين اتفق ابن النغريلة مع ابن صمادح لإدخاله إلى غرناطة أراد أن يكون الجو مهيأ، ولا يتسنّ ذلك إلا بإخراج صناديد صنهاجة ممن عرفوا ببأسهم وقوتهم فأعمل الحيلة والدهاء لإبعادهم عن وطيس الحرب إذا ما احتدمت.

ويعبّر الأمير عبد الله عن ذلك بقوله: "... وكيف الحيلة في تصيّر الدولة إليه، وغرناطة معدن الجيش، وفيها من صنهاجة من لا يجوز هذا الأمر عليهم... فرأى الخنزير من رأيه أن يخرج من البلاد كل من يتوقع قيامه، وتخيّر من كبار صنهاجة وغيرهم من العبيد، الذين تخشى معرّتهم، أقواما وأشار على السلطان بإرسالهم إلى المعاقل المهمة، وصكّك لهم بها وقال لهم في سر الأمر: أنتم إخوتي، وقد أخملتم معي، ورأيتموني، وأرى من دولة هذا السلطان ما ينبغي لكم إنكاره بأن يقدم عليكم من ليس منكم ولا شأنه شأنكم وتبقى ولايته عارا وشنارا عليكم ما بقي الدهر..."[3]

1 – ابن بلقين، التبيان، ص 35

2 – كواتي، اليهود في المغرب الاسلامي، ص 202.

3 – ابن بلقين، التبيان، ص 52

4-5 التآمر على إسقاط دولة باديس:

لأسباب كثيرة وعلى رأسها ظهور الناية[1] في غرناطة، والذي بدأ نجمه بالبزوغ في سماء الإمارة البربرية، وأفول نجم الوزير اليهودي تدريجيا، لم يجد ابن النغريلة إلا التآمر على الدولة ككل لإسقاطها وانتزاعها من بني زيري، ولم يجدا بدّا من التحالف مع صاحب المرية ابن صمادح أبي يحي، واستطاع ابن صمادح بالفعل أن ينتزع وادي آش[2]، الواقعة شمال شرقي غرناطة، وأن يشحنها برجاله، كل ذلك وباديس غارق في لهوه، وفي الليلة الموعودة اجتمع يوسف بن نغريلة بالقصبة على الشراب مع طائفة من صحبه من الضالعين معه من عبيد باديس وخاصته، وكان ابن صمادح يكمن مع نفر من صحبه في مكان قريب من المدينة، ولكن الأقدار شاءت عكس ما شاء اليهودي وفشلت خطته وافتضح أمره وكانت نهايته. [3]

ويلخص لنا ابن بسام الحادثة في نص طويل اجتزأت منه بعض عباراته يقول فيه: "وكان آخر أمره قد حجب صاحبه عن الناس، وسجنه بين الدن والكاس، ملحداً في أمره، مبرماً لأسباب غدره، ووعد جاره ابن صمادح بالمرية أن يقعده مكانه، ويخلع على أعطافه سلطانه، فسرب إليه ابن صمادح صميم الأموال، وجلا عليه وجوه الآمال، فلما تم تدبيره، واستوسقت له أموره، لزم سكنى القصر، وأخذ مفاتيح المصر، وأظهر لصاحبه أن الناس قد ملوا سياسته، ونفسوا عليه

1 – **الناية:** شخصية غامضة، وهو من عبيد المعتضد بن عباد، كان متهماً في المؤامرة التي دبرها ضده ولده اسماعيل، ففر من إشبيلية والتجأ إلى باديس وخدمه وحظى عنده، وعهد إليه ببعض المهام الخطيرة. ثم وقع التنافس بينه وبين اليهودي، وكان الناية يحرض على قتله، ويفضي إلى الأمير بذلك كلما سنحت الفرص. ينظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، المرجع السابق، مج2، ص135

2 – **وادي آش:** مدينة الأشات بالأندلس من كورة البيرة وتعرف بوادي أش، وتنحدر إليها أنهار من جبال الثلج، بينها وبين غرناطة أربعون ميلا، وهي بين غرناطة وبجّانة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 198

3 – عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مج2، ص 137

رياسته، وركب ابن صمادح بعسكره، وكمن حيث يسمع صوت المهيب، فلما كان اليوم الذي أراد أن يختمه بداهيته الدهياء، نذر به قوم من الرجالة المغاربة، فأعلنوا بالصياح، وثاروا إلى السلاح."[1]

وكما هو واضح من النص فإن ابن النغريلة قام بعمل كبير للتوطئة لابن صمادح ويبدو أنه استغرق وقتا طويلا لذلك، بدأه من اقناع باديس بالغياب عن الساحة وترك الأمور في يد اليهودي.

4-6 فكرة إقامة دولة لليهود في الأندلس:

يرى مسعود كواتي، أنه بسبب مرحلة الضعف الشديد التي كانت تمر به إمارات الطوائف، والتي كانت متصارعة فيما بينها، ظهر المشروع اليهودي الذي كان صاحبه يوسف بن النغريلة، ولقد كان الاتفاق مع ابن صمادح، هو أول لبنة في هذا المشروع، الذي سبقه إلى التفكير فيه، حسداي بن شبروط، ويرى كواتي أن الاتفاق كان يتضمن التمكين لابن صمادح للارتقاء على عرش غرناطة، مقابل التنازل عن المرية لتكون قاعدة للدولة اليهودية في الأندلس.[2]

وبرغم أن مصدر هذا الطرح هو ابن عذاري الذي عبر عن ذلك بقوله: "... ذلك أن هذا اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة..."[3] إلا أننا نرى أن مشروع إقامة دولة لليهود، لم يكن مطروحا في ذلك التوقيت بالذات لأسباب عديدة، وأنه مجرد زعم لا أكثر:

- أن هذه المعلومة شاذة ولم تتناولها المصادر التاريخية إذ انفرد بها ابن عذاري وحده.

- أن عبد الله بن بلكين وهو واحد من أفراد الأسرة الحاكمة في غرناطة وأحد أمرائها وأقرب شاهد على كل أحداثها لم يتحدث عن الموضوع ولم يلمح له أصلا.

1 - ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص ص 767- 769

2 - كواتي، اليهود في المغرب الاسلامي، ص ص 217- 219

3 - ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 266

– فكرة التبادل فكرة غير مقبولة أصلا، فابن صمادح حين قرر مهاجمة دولة باديس، كان بالتأكيد يفعل ذلك من أجل توسيع دولته، وليس من أجل التنازل عن أرضه ومستقر ملكه.

– والأهم من ذلك هل كان قيام دولة يهودية في وسط ذلك الجو المشحون بالفتن والنزاعات آمنا بالنسبة لليهود، خاصة أنهم منبوذون من المسلمين ومن النصارى.؟

– والسؤال الذي يفرض نفسه، لماذا يفكر ابن النغريلة في إقامة دولة لليهود، وهو كما تخبرنا المصادر التاريخية كان منبوذا من غالبية اليهود، الذين كانوا يرون فيه رجلا طاغية متسلطا ومتجبرا، وبعيدا كل البعد عن تعاليم الديانة اليهودية. وحتى إن راودته الفكرة فهل كان يملك من الأجناد الجاهزين والمتمرسين ما يذود به عن حمى دولته المزعومة؟

والذي نعتقده في هذه المسألة، أن ابن النغريلة كان يقصد من تآمره مع ابن صمادح إبعاد الخطر عنه، ذاك الخطر الذي كان تجلياته واضحة في تغير معاملة باديس له، وأن يحفظ له ابن صمادح صنيعه ويبقي على مكانته، ويحافظ له على امتيازاته في الدولة، كما كان في سابق عهده.

وهو الرأي الذي يدعمه عبد المجيد نعنعي بقوله: "والأرجح أن ابن عذاري قد ذهب بعيدا وبالغ في توجيه الاتهامات للوزير اليهودي حين قال إنه كان يريد إقامة دولة يهودية."[1]

ويفند دوزي الفكرة من أساسها إذ يرى أن القول بتآمر ابن النغريلة مع ابن صمادح هو محض إشاعة فقط اختلقها البربر للتخلص من الوزير اليهودي والتسلط على أمواله وأملاكه لا غير.[2]

1 – نعنعي عبد المجيد، الاسلام في طليطلة، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 183

2 – دوزي، ملوك الطوائف، ص 167

من خلال ما تقدم يتضح أن تاريخ اليهود حافل بالمؤامرات والدسائس، فهم قوم لا يؤتمنون، لذلك كان من الخطأ تقريبهم وتقديمهم، وقد جنى بنو زيري جراء ذلك ثمار فعلتهم، ودفعوا ثمن الثقة التي وضعوها في اليهود من دمائهم وأموالهم، وكان يجدر بحكام غرناطة أن يكتفوا بمعاملتهم وفق أحكام الذمة لا أكثر.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود في غرناطة الزيرية:

1- الحياة الاجتماعية لليهود في غرناطة الزيرية

2- الحياة الاقتصادية لليهود في غرناطة الزيرية

ظلت الأندلس على مدى أزيد من ثلاثة قرون، بلدا موحدا حتى ثارت بها الفتنة، فتفرقت شيعا وإمارات، وكان اليهود يعيشون في كنف حكم إسلامي موحد، وقد تواجدوا في أغلب حواضر الأندلس ومدنها، وبالنسبة للحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الأندلسي يمكننا القول: أن التفرق السياسي الذي حصل في الأندلس، لم يكن بالضرورة أن ينجر عنه اختلاف وتفرق فيما ألفه الناس، من عادات وتقاليد وأعراف وأنماط عيش وأسباب رزق، كان قد عرفها أفراد هاته الطائفة أو تلك. خاصة مع ما عرف عن ملوك الطوائف، من تسامح وتعايش سلمي، فقد ظل اليهود تجارا ونخاسين كما عرفوا من قبل، كما حافظوا على تمسكهم بإحياء شعائرهم الدينية وأعيادهم في سائر أرجاء الأندلس وغيرها.

1- الحياة الاجتماعية لليهود في غرناطة الزيرية:

1-1 مناطق استقرار اليهود في الأندلس:

الوجود اليهودي في شبه الجزيرة الإيبيرية قديم جدا، حيث هاجروا أو هُجِّرُوا من شرق المتوسط إلى شبه الجزيرة، وقد تنامى هذا الأمر كثيرا خلال فترة الاستيطان الروماني، ثم في عهد القوط الذين تركوا الطوائف اليهودية تزداد ازدهارا، وذلك قبل أن يغيروا عقيدتهم من التوحيد إلى التثليث والقول بألوهية المسيح، وهو شكل آخر من أشكال الكاثوليكية.[1]

ولقد انتشر اليهود في معظم ممالك أروبا، غير أن عددهم في شبه الجزيرة الإيبيرية ظل يزداد بمرور السنين، حتى غدوا يشكلون أكبر جالية في أوربا، ولقد عاش اليهود في مجموعات سكانية نتجت عن اختلاط شعوب مختلفة في الأصل والثقافة، وقد قدموا إلى شبه الجزيرة رغبة في الاستقرار، لما تزخر به من خصوبة أرض، واعتدال مناخ وغنى بالثروات والمعادن.[2]

1 – الزعفراني حاييم، يهود الأندلس والمغرب، ج1، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، 2000، ص 29

2 – ولد أن محمد الأمين، تاريخ اليهود في الاندلس (422هـ– 539هـ/ 1030م– 1141م)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2018، ص 32

عاش اليهود في ظل الحكم الإسلامي بصفة ذميين، وقد تمتعوا بالحماية من قبل السلطة الإسلامية، حيث مارسوا شعائرهم وعقائدهم بكل حرية، وقد استقر اليهود داخل المدن، لكن النصوص التاريخية لا توضح إذا ما سكنوا في المناطق الريفية وخارج المدينة[1].

ولقد وردت في المصادر الإسلامية إشارات كثيرة، تبين المناطق التي استقر فيها اليهود بكثرة وبصورة ملفتة للانتباه، وأغلب الظن أن اليهود انتشروا في سائر مدن الأندلس وقراها، حواضرها وبواديها، باعتبار وجودهم القديم في شبه الجزيرة الإيبيرية، لكنهم انتشروا بكثرة في مناطق بعينها وكانوا يتجمعون في أحياء وقصبات خاصة بهم. ولقد كان لليهود في الأندلس عمارتهم الخاصة بهم، مع العلم أنه لم يكن لهم أية عمارة قط عبر التاريخ إلا في إسبانيا الإسلامية، على أن عمارتهم برغم تميزها كانت ذات طابع إسلامي.[2]

وعلى الرغم من أن السلطة الإسلامية في الأندلس لم تجبر اليهود على الاستقرار في أحياء معينة، إلا أن معظمهم كانوا يفضلون ذلك، ذلك أن الانسان بطبعه ميّال للعيش بين قومه وعشيرته وأهل ملته، وليس اليهود وحدهم من حددت لهم أحياء خاصة بهم، بل كانت تلك عادة المسلمين عند تنظيم الاستقرار في مدنهم، إذ يعطى لكل قبيلة أو عشيرة جزء من المدينة، ليكون لها مستقرا خاصا بها وقد يحمل اسمها، على أن أفراد هذا الحي أو ذاك لا يمنعون من الاستقرار أينما شاؤوا من الأندلس.[3]

1 Francisco Márquez Villanueva, La sociedad medieval a través de la literatura hispanojudía: VI Curso de Cultura Hispano-judía y Sefardí de la Universidad de Castilla-La Mancha, Univ de Castilla La Mancha, Castilla La Mancha, 1998, p 45.

2 – كاسترو أمريكو، حضارة الاسلام في اسبانيا، ترجمة: سليمان العطار، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983، ص 193

3 – الخماش أريج بين عوض بن طريخم، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف (138-484هـ / 755- 1091م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: وفاء بنت عبد الله بن سليمان المزروع، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، 2016، ص 67- 68.

يقول صاحب نزهة المشتاق عن مدينة أليسانه: "مدينة أليسانه وهي مدينة اليهود، ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود... واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم."[1]

وهذا يدل على أن اليهود انتشروا بكثرة في هذه المدينة لدرجة جعلت المؤرخين والجغرافيين يسمونها بمدينة اليهود، ويبدو أنهم شكلوا الأغلبية فيها، وهذا ما يفهم من قوله "ولليهود حذر ممن قصدهم" ولو أنها كانت خليطا من الأجناس والطوائف لما كان هناك حاجة للحذر.

ويذهب البعض إلى أن مدينة أليسانه المسورة كانت حصرا على اليهود، وأن المسلمين كانوا يقيمون في ربضها، أي خارج أسوارها ويشاركهم الربض بعض اليهود، وكل العلماء المسلمين الذين نسبوا الى مدينة أليسانه، كانوا من سكان ربض المدينة، وبرغم ذلك لم يجرؤ اليهود على المطالبة بالاستقلال عن الحكم الإسلامي، وكانوا يؤدون الجزية للحكومة الإسلامية التي توكل شخصا يهوديا من أهل المدينة لجمعها، ولم يحصل خلاف بينهم وبين السلطة الحاكمة حول مسألة الجزية الا في عهد الأمير الزيري عبد الله بن بلقين آخر أمراء غرناطة الزيرية لكنه استطاع إجبارهم في آخر الأمر بالقوة على دفعها.[2]

ويروي لنا ابن سعيد في كتابه المغرب، ما يوحي بأن مدينة بيانة[3] كانت من أهم مواطن استقرار اليهود فيقول: "ولأبي الوليد الأصغر – يقصد ابن رشد الحفيد– تصانيف كثيرة في الفروع

1 – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 571

2 – الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف، ص 76

3 – **بيانة:** وهي قصبة كورة قبرة، وهي كبيرة حصينة على ربوة، يكتنفها أشجار وأنهار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 518

والأصول والنحو والفلسفة وغير ذلك، وآل أمره مع منصور بن عبد المؤمن،[1] وقد وقف على قوله عن الزرافة، وقد رأيتها عند ملك البربر فقرعه على ذلك فاعتذر أنه ما قال إلا ملك البرين، إلى أن أمر به فأقيم وجعل كل من يمر به يلعنه ويبصق في وجهه، ثم أمر بنفيه إلى بيانة مدينة اليهود."[2]

ويقول ابن عذاري عن مدينة طليطلة: "وألقى طارق طليطلة خالية، ليس فيها إلاَّ اليهود في قوم قلة، وفرّ علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل، وتبعهم طارق، بعد أن ضمّ اليهود وخلى معهم بعض رجالة وأصحابه بطليطلة، فسلك إلى وادي الحجارة، ثمّ استقبل الجبل، فقطعه من فج يسمى به إلى اليوم، فبلغ مدينة خلف الجبل، تسمى مدينة المائدة."[3]

ويشير صاحب كتاب (تاريخ الأندلس) إلى أن طليطلة كانت من أهم المناطق التي استقر بها اليهود في الأندلس إذ يقول: "وأهل طليطلة أهل نفاق وشقاق ومخالفة على الملوك، وبها يهود كثيرة وبينها وبين قرطبة مسيرة سبعة أيام."[4]

ويقول ابن الأثير: "وأما طارق، فلما رأى طليطلة فارغة ضم إليها اليهود، وترك معهم رجالا من أصحابه، وسار هو إلى وادي الحجارة، فقطع الجبل من فج فيه، فسمي بفج طارق إلى اليوم"[5]

1- **منصور بن عبد المؤمن:** كان من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن، مجرباً للأمور، ولي وزارة أبيه، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور، ولما مات أبوه اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصور، فقام الأمر أحسن قيام، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين (1) كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات. ينظر: ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1978، ص 4

2 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص 105.

3 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 12

4 – مجهول، تاريخ الأندلس، ص 96

5 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 41

وبالعودة الى كتاب (نزهة المشتاق) نفهم بأن طركونة كانت أيضا مدينة لليهود حيث يقول الإدريسي: "ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة اليهود خمسة وأربعون ميلا، وطركونة مدينة على نحر البحر لها سور من رخام أسود وأبيض، وقليلا ما يوجد مثله صفة، وهذه المدينة في وقتنا هذا معمورة، وكانت في قديم الزمان خالية لأنها كانت فيما بين حد المسلمين والروم وهي مدينة حسنة والأحناش بها مؤذية كثيرة ولها مرسى حسن ومياهها موجودة."[1]

وفي كتاب (أخبار مجموعة) يحاول المؤلف تلخيص رحلة الفتح على يد طارق بن زياد وأعوانه إذ يخبرنا عن المدن التي تواجد بها اليهود قائلا: "... ومضى ليلحق بالجيش المتوجه الى إلبيرة فحصروا مدينتها فافتتحت، فألفوا بها يهودا وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد وتركوا معهم من المسلمين، ومضى عظم الناس ففعلوا ذلك بغرناطة مدينة إلبيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقه مدينة رية لأنهم لم يجدوا بها يهودا ولا عمارة." ويقول عن فتح قرطبة: "... وحبس ذلك العلج ليقدم به إلى أمير المؤمنين، وجمع يهود قرطبة فضمهم إليها واختط قصبتها لنفسه والمدينة لأصحابه" ويقول عن إشبيلية: "فأتاها موسى بن نصير حتى حصرها أشهرا، ثم إن الله فتحها وهرب العلوج إلى مدينة باجة فضم موسى يهودها."[2]

وقد فضل الكثير من اليهود الاستقرار في مدينة إشبيلية، سيما في القرن الخامس وذلك بسبب ما حدث في قرطبة من فتن، في أعقاب سقوط الخلافة الأموية، وعاش اليهود في هذه المدينة طوال فترة الحكم الإسلامي لها، وفي مواقع عديدة، حيث سكنوا في الجانب الغربي والشمال الغربي منها.[3]

---

1 – الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص 734

2 – مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط: مطبعة ربدنير، 1867م، ص ص 12 – 16

3 – الكعبي علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف (92–484/ 711– 1091)، دمشق: دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 197

أما غرناطة فهي مدينة اليهود ومعقلهم الحصين، وموطن استقرارهم، وأغلب المتقدمين من الإخباريين والجغرافيين، لا يكادون يذكرون اسم غرناطة مفردا، إلا وهو مضاف إلى اليهود، فقد عرفت عند أغلبهم بغرناطة اليهود وذلك لكثرتهم بها، وهو واحد من جملة الأسباب التي مكنت لابن النغريلة فيما بلغه من منزلة، في إمارتها الزيرية في عصر ملوك الطوائف.

وعنها يقول الحميري: "غرناطة مدينة بالأندلس... وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة إلبيرة فخلت وانتقل أهلها إلى إغرناطة ومدنها، وحصن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجي ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس... وتعرف بإغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهوداً وهي اليوم مدينة كبيرة قد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة، وقصبتها بجوفيها وهي من القصاب الحصينة."[1]

ويقول عنها ابن الخطيب في الإحاطة: " فمضى الجيش الذي وجّه طارق إلى مالقه ففتحها ولجأ علوجها إلى جبال هناك ممتنعة، ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجّه إلى إلبيرة، فحاصروا مدينتها، وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهودا ضمّوهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم ذلك سنّة متّبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودا، يضمّونهم إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدّونها."[2]

ويتبين من الأعداد التي يوردها الإخباريون حين حديثهم عن مذبحة اليهود في غرناطة إثر الثورة التي قامت بها صنهاجة، انتقاما من الوزير اليهودي ابن النغريلة وطائفته، ما يثبت أن اليهود كانوا كثرا بغرناطة في القرن الخامس الهجري/ العاشر ميلادي ومنها:

قول ابن بسام في الذخيرة: "فدخلوا القصر من كل باب، وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب فقتل – زعموا – في بعض خزائن الفحم، وسمع باديس الوجبة فخرج يقول: إسماعيل لا يحفل

1 – الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 23.

2 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 101.

بسواه، ولا يرتاع لشيء يسمعه من ذلك ولا يراه، وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف..."[1]

ويقول صاحب كتاب (تاريخ الاندلس) عن ذلك في معرض حديثه عن باديس بن حبوس الزيري: "فبقي باديس ملكا إلى أن توفي يوم السبت الثالث عشر من شوال سنة أربع وستين وأربعمائة، وهو الذي قتل اليهود بغرناطة، قتل منهم في يوم واحد اثني عشر ألفا."[2]

وهو إن صح عدد مهول، يعطينا لمحة عن التواجد اليهودي بغرناطة الزيرية. ومنه يتكشف لدينا السر في تسميتها غرناطة اليهود.

وأما قرطبة فقد أورد الادريسي أن من أبوابها بابا كان يسمى باب اليهود، ولا يمكن أن تطلق هذه التسمية على حي يسكنه المسلمون مثلا، لما في ذلك من قدح في ذمتهم، والأكيد أن هذا الباب كان يؤدي إلى حي تسكنه طائفة اليهود دون غيرهم.

يقول الإدريسي: " ومدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها ودار الخلافة الإسلامية... وهي في ذاتها مدن خمسة يتلو بعضها بعضا، بين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد."[3]

ويقع الحي اليهودي في قرطبة في الجهة الجنوبية الغربية منها، والمرجح أن يكون بمقربة من الجامع الكبير وقصر الخلفاء، وما يزال الجزء الجنوبي الغربي من قرطبة يعرف إلى الآن بالحي اليهودي، ولازالت بعض من آثاره باقية، وهي تدل على أن البيوت القديمة التي سكنها اليهود خلال حكم المسلمين لقرطبة قد هدمت، وأن البيوت الموجودة اليوم شُيّد جميعها بعد القرن

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 769

2 – مجهول، تاريخ الاندلس، ص 256

3 – الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص 575.

التاسع الهجري، وبالرغم من إنشاء بيوت جديدة إلا أن شبكة الشوارع قد ظلت على حالها، ولذلك فإن كل الشوارع في ذلك الحي ما تزال ضيقة وما يزال بعضها يحمل أسماء تؤكد على أن هذه المنطقة كانت حقا حيا يهوديا.[1]

ولقد غدت الطائفة اليهودية في قرطبة، لا سيما في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري هي الأكثر أهمية في عموم الأندلس من حيث عدد السكان والمستوى الاجتماعي والثقافي، ولقد صار الكثير منهم أثرياء بسبب امتهانهم التجارة والصناعة.[2]

ولقد نزح إلى قرطبة العديد من المهاجرين من مختلف الأجناس والأديان، نتيجة للازدهار الحضاري والعمراني والعلمي، ولأن الحي اليهودي كان مزدحما باليهود، ولا يمكن أن يستوعب الأعداد الهائلة من النازحين إليه، فقد سمح لهم بإقامة حي جديد في شمال المدينة.[3]

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 90 – 91

2 – الكعبي، التعايش السلمي بين الأديان، ص 193

3 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 93

2-1 طعام ولباس اليهود في غرناطة الزيرية:

يبدو أن التسامح والتساهل مع أهل الذمة بصورة عامة، قد انسحب على الكثير من القيود التي كان من المفروض أن تطبق عليهم، وقد فضل أصحاب السلطة تجميد مفعول الكثير من الأحكام الشرعية، التي أقرت في إطار عقد الذمة، بهدف تحقيق التعايش والتسامح بين مختلف شرائح المجتمع الأندلسي، خاصة في عصر الخلافة وعصر الطوائف.

وقد بلغ كثير من اليهود في هذه الحقبة من التاريخ الأندلسي شأوا عظيما، بلغ حد تقلد الوزارة والوظائف السامية في الدولة. ولا نعتقد أن من تساهل في أمور عظام وخطيرة كأمور إدارة الدولة وتسيير شؤونها، أن يضيق في أمور أقل أهمية، تتعلق بالطعام المسموح لأهل الطوائف الأخرى، واللباس الذي يتعين على أهل طائفة معينة، الالتزام به تمييزا لهم عن غيرهم من الرعايا المسلمين.

يخبرنا ليفي بروفنسال في كتابه حضارة العرب، عن الثورة التي قام بها زرياب على مستوى تقاليد الأكل في الأندلس، أو ما يسمى في زماننا الإتيكيت، وهو نص يستوحى منه بعض المأكولات التي عرفها أهل الأندلس عموما في عصر الخلافة الأموية حيث يقول: "... فقد علّم زرياب أهالي قرطبة أولا، أكثر طرائق الطعام تعقيدا في المطبخ البغدادي، ودربهم على كيفية إعداد ودبة راقية إذ يجب ألا تقدم ألوان الطعام بلا نظام، وإنما يبدأ بأطباق الشوربا ويتبعها مقدمات من اللحم، ثم ألوان الطيور المتبلة بالبهارات، بمستوى الذوق الرفيع وفي النهاية تأتي الأطباق المحلاة، الكاتو المصنوع من الجوز واللوز والعسل، أو معقودة الفواكه المعطرة االمحشوة بالفستق والبندق"[1]

ومن قصيدة أبي إسحاق الإلبيري التي نظمها في التحريض على اليهود في غرناطة على عهد باديس بن حبوس الزيري، يتأكد لنا أن اليهود كانوا يحيون حياة رغدة، ليس فيها تمييز عن

1 – بروفنسال ليفي، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص 56

المسلمين، لا في طعام ولا شراب، وربما قد نعموا بأحسن عيش وأرغده، امتازوا به حتى عن العرب والبربر:

أَلا قل لصنهاجة أَجْمَعِيـنَ ... بدور الندي وَأسـد العريـــن
لقد زل سيدكــم زلَّـــــــة ... تقر بهَــا أعين الشامتيـــن
تخير كَاتبه كَافِـــــــــرًا ... وَلَو شَاءَ كَانَ من الْمُسلميـن
فعز الْيَهُود بِهِ وانتخـــوا ... وتاهوا وَكَانُوا مــن الأرذليـن
ونالـوا مُنَاهُمْ وجازوا المدى ... فحان الْهَلَاك وَمَا يَشْعُــرُونَ
وهـــــم يذبحون بأسواقها ... وَأَنْتُم لأطرافهــا آكلـــــون
ورخـــم قردهـــــــم دَاره ... وأجرى إِلَيْهَا نميـــر الْعُيُــون[1]

وهو ما أكده أيضا جملة من المؤرخين الغربيين المنصفين بقولهم: أن الطائفة اليهودية بجنوب الأندلس، كانت تنعم في ظل الحكم الإسلامي، بالكثير من الرفاهية والحرية في معتقداتها وأحوالها الشخصية.[2]

على أن هذا لم يمنع وجود بعض الفتاوى التي صدرت بشأن الطعام واللباس المتعلق بالطوائف غير الإسلامية، التي يعيش أصحابها في الأندلس، وعلى رأسهم اليهود، ومنها مثلا ما أفتى به ابن عبدون، من وجوب منع اليهود من الذبح للمسلمين بقوله: "يجب أن لا يذبح يهودي لمسلم ويؤمر اليهود بأن يتخذوا أوضاما لأنفسهم."[3] والأوضام هي ما يقطّع عليه اللَّحم.[4]

1 – الإلبيري أبو إسحاق، ديوان الإلبيري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق: دار قتيبة، ط2، 1982، ص ص 89– 91

2 – Manuel González Jiménez, en torno a los orígenes de Andalucía, publicaciones de universidad de Sevilla, España ,1988, p 79.

3 – ابن عبدون وآخرون، ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح إ. ليفي بروفنسال، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، 1955، ص 49

4 – الصغاني، الحسن بن محمد، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1974، ص 101

غير أن المصادر التاريخية لا تزودنا بالكثير عن الطعام الذي كان يختص به اليهود في الأندلس إلا النزر اليسير، ومنها معلومات عن وجود باعة متجولين من اليهود كانوا يطوفون في الأحياء اليهودية، ويبيعون فيها الطعام المُعدّ وفق أذواقهم، وأنّ أفراد العائلة اليهودية كانوا يأكلون فرادى، بينما يجتمعون لتناول الطعام معا في أيام السبت والأعياد، وأن من الأكلات المفضلة في أيام الأعياد، الفطائر المختلطة بالخل والنبيذ والتي تدعى بوارید، وكذلك الهريسة المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضافة إلى الفطير المحشو بقطع الدجاج والفطر.[1]

ويشترك يهود الأندلس مع غيرهم من يهود العالم في كثير من العادات المتعلقة بالطعام والتي في مجملها لها علاقة بالتعاليم الدينية، إلا أنهم خالفوا أهل طائفتهم في بعض المسائل ومنها عدم أكل ذبائح المسلمين وبعض أطعمتهم، كما تميزوا عنهم ببعض الأكلات وطرق إعدادها وهناك لحم لا يأكلونه يسمونه طاهور أو طريف، وهو لحم الذبائح التي يعتقدون أن اليهودي الذي أشرف على ذبحها، لم يتبع طريقة الذبح المعروفة عندهم، وكان يهود الأندلس يبيعون هذه الذبائح للمسلمين دون أن يخبروهم بحقيقتها، وقد اشتهرت في الأندلس طبخات معينة نسبت إلى اليهود ومنها: لون من فروج يهودي، ولون يهودي محشو مدفون، وحجلة يهودية، ولون من حجلة يهودية.[2]

ولقد اختلق اليهود كتابا سموه (هلكت شحيطا) ومعناه علم الذباحة، وكان يتميز بالتشدد في أحكامه، ومن أمثلة ما جاء فيه أنه يتوجب على اليهودي، أن ينفخ في رئة الذبيحة حتى تمتلئ

1 – فايزي عبد الكريم، التسامح الديني في المجتمع الاندلسي وتأثيره على المنظومة القيمية والعلاقات الاجتماعية في عصر الخلافة والطوائف (316– 488هـ / 929– 1095م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: مفتاح خلفات، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2018/ 2019، ص 218.

2 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 284– 285

هواء ويتأملها، فإن خرج منها الهواء فأكلها حرام، كما يتوجب عليهم التحقق من أن أطراف الرئة، غير ملتصقة ببعضها وإلا لم يأكلوها.[1]

ونفس الكلام يقال عن لباس اليهود في عصر الخلافة وعصر الطوائف، فليس هناك ما يثبت يقينا بأن السلطة الإسلامية في ذلك العصر، ضيقت على أهل الذمة ومنهم اليهود بخصوص اللباس، على ما هو معمول به في البلاد الإسلامية الأخرى، حيث صدرت بحقهم قوانين خاصة تفرض عليهم الالتزام بزي معين يميزهم عن المسلمين.

ولقد فرض على اليهود، ولأول مرة في تاريخ المغرب الإسلامي، زي خاص في عهد الموحدين، وذلك في عهد يوسف المنصور(595هـ/ 1198م)، لتمييز اليهود عن غيرهم بثياب كحلية، وكمائم مفرطة السعة تصل إلى أقدامهم، وبدلا من العمائم كلوتات قبيحة المظهر، كأنها برادع تبلغ حتى آذانهم[2] وكان هذا بعد نهاية عصر الطوائف بأكثر من قرن من الزمن.

يقول ديورانت: "ولما أن تحرر اليهود في إسبانيا الإسلامية من القيود المفروضة على نشاطهم الاقتصادي انتشروا في جميع ميادين الزراعة، والصناعة، والمال والمناصب العامة ولبسوا ثياب العرب، وتكلموا بلغتهم، واتبعوا عاداتهم، فلبسوا العمامة والأثواب الحريرية الفضفاضة، وركبوا العربات حتى أصبح من العسير تمييزهم من بني عمومتهم الساميين، واستخدم عدد من اليهود أطباء في بلاط الخلفاء والأمراء وعين أحد هؤلاء الأطباء مستشاراً لأعظم خليفة من خلفاء قرطبة."[3]

1 – السموأل بن يحي المغربي، غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، تحقيق: إمام حنفي سيد عبد الله، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2006، ص 82

2 – بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي، خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق ل 14– 15 ميلادي، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص 35

3 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 51

وفي قصيدة أبي إسحاق الإلبيري في حق اليهود، ما يوحي بأنهم لم يُلزموا بشيء بخصوص اللباس يجعلهم في منزلة أقل من منزلة المسلمين، وفي غرناطة الزيرية يخبرنا الإلبيري الذي يعتبر شاهد عيان باعتباره واحد من سكان غرناطة ثم إلبيرة، في تلك الحقبة من الزمن، بأنهم لبسوا أحسن وأغلى مما يلبسه حتى أفراد العائلة الحاكمة إذ يقول:

وَإِنِّي احتللت بغرناطـــــــة ... فَكنت أَرَاهـــــم بهَا عابثيـــــن
وَقد قسمـــــــوها وأعمالهـا ... فَمنهمْ بِكُل مَكَـــــان لعيـــــن
وهم يقبضـــــــون جباياتهـا ... وهم يخضمون وهـــــم يقضمون
وهم يلبسُونَ رفيـــــع الكســـا ... وَأَنْتُم لأوضعهـــا لابســـــــون[1]

وكما هو واضح من البيت الأخير، فلقد لبس اليهود الثياب الرفيعة الغالية، بينما لبس البربر في غرناطة أوضع الثياب وأحقرها، مقارنة باليهود على حد قوله، والأكيد أن هذا الكلام لا يؤخذ جملة دون تفصيل، وإنما كان فيه بعض المبالغة اقتضتها ظروف القصيدة ودواعيها، على أنه يفهم منها أن اليهود كانوا ميسورين، ويعيشون في أحسن حال ويحيون حياة رغدة.

وفي المصادر التاريخية إشارات أخرى عديدة تدل على يسر حال اليهود، وسعة عيشهم في المأكل والملبس والمسكن، ومن ذلك ما أورده الأمير عبد الله بن بلقين في مذكراته إذ يقول: "... وكان مع تقريب السلطان له، متى انفرد به أو افترصه على الخمر، يجرح عنده اليهودي، ويقول له: قد أكل مالك، وتملك بأعظم من مالك، وبنى خيرا من قصرك، فالله الله في إزاحته والتحبب إلى المسلمين بفقده." وقد صدر هذا الكلام عن الناية، وهو قائد مستجد في بلاط غرناطة وكان في خدمة بني عباد، ولكنه تركهم وقصد باديس بن حبوس في غرناطة، فقدمه واستخدمه في بعض عمله.[2]

1 – الإلبيري، ديوان الإلبيري، ص 91

2 – ابن بلقين، التبيان، ص 47

كذلك ما أورده ابن بسام في الذخيرة: "وأما ما بلغ من المنزلة عند صاحبه وغلبته عليه فما لا شيء فوقه، أخبرني من رآه يساير صاحبه بساحة قرطبة في بعض قدماته عليها... قال المحدث: فرأيته مع باديس، فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس، فأنشدت: تشابهت المناكب والرؤوس."[1] ولا شك أن صاحب الخبر يقصد ما يُرى للناظر بالعين، وهو بالتأكيد لباس الوزير اليهودي ابن النغريلة الرفيع الذي كان يلبسه.

وكعادتهم فقد أفتى علماء الاندلس بما يفهم منه وجوب إلزام اليهود ببعض التقاليد في اللباس ومنها ما أفتى به ابن عبدون بقوله: "يجب أن لا يباع ثوب لمريض، ولا ليهودي، ولا لنصراني إلا أن يعرف به، ولا لخليع أيضا" وقوله أيضا:" يجب أن لا يترك أحد من المتقبلين، ولا من الشرط ولا من اليهود، ولا من النصارى، بزي كبار الناس، ولا بزي فقيه، ولا بزي رجل خير."[2]

يحاول ابن عبدون من خلال فتاواه أن يحذو حذو إخوانه في المشرق، بإلزام اليهود وأهل الطوائف الأخرى من غير المسلمين بزي معين يعرفون به، ويكون في الغالب أدنى وأوضع من الأزياء التي يستعملها المسلمون، خاصة الأعيان منهم، من كبار الناس والقضاة والفقهاء وغيرهم.

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 767

2 – ابن عبدون، ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ص ص 50– 51

1-3 أعياد اليهود:

الأعياد غالبا ما ترتبط بالشرائع والمعتقدات، لذلك فهي لا تختلف باختلاف الأقطار ولا باختلاف الأزمنة، وكما أن للمسلمين أعيادهم، فإن لليهود وأهل الطوائف الأخرى أعيادهم التي يعظمونها، ويحتفلون بها في أيام محددة من السنة.

ولقد كان اليهود في الأندلس حريصين على إحياء أعيادهم، وتأدية جميع طقوسها على طريقتهم الخاصة، حيث يقيمون تلك الطقوس داخل البيوت والمعابد، ويصحبون أولادهم إلى المعابد، ويجتمعون على موائد الطعام داخل بيوتهم، وعلى الولائم في بعض بيوت أثريائهم، وبسبب روح التسامح التي ميزت هذه الفترة، فقد شارك المسلمون اليهود في احتفالاتهم بأعيادهم.[1]

ومن أعياد اليهود عيد الفصح، ويسمى عيد الربيع وعيد الفطير، ومدته سبعة أيام تبدأ من الخامس عشر من شهر أفريل، ويقيمه اليهود إحياءً لذكرى نجاة بني إسرائيل من فرعون، وخلاصهم من العبودية في مصر، وطقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين الفطير، ويتلون الأدعية ويقيمون الصلوات ويحرقون القرابين، ويجتمعون على مائدة تقص فيها حكاية الفصح، وهي قصة ما حدث لبني إسرائيل مع نبي الله موسى إبان خروجهم من مصر.[2]

"وقد جاء وصفه في سفر التثنية: احفظ شهر أبيب واعمل فصحاً للرب إلهك، لأنه في شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً.. لا تأكل عليه خميراً، سبعة أيام تأكل عليه فطيراً خبز المشقة، لأنه بعجلة خرجت من أرض مصر، لكي تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك". وقد نحا اليهود في هذا العيد منحى وحشياً إجرامياً، حيث جعلوه من أفضل المناسبات التي يستخدمون فيها دماء البشر ويكون أعظم هدية تقدم إلى الحاخام، ويفضل أن يكون مسيحياً

1 – ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، ص ص 109– 111

2 – الخلف سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط4، 2004، ص 136

فإن لم يوجد، فإن دم المسلم يفي بالغرض المطلوب، وبناءً على ذلك يتم تناول الفطير المفروض على اليهود ممزوجاً بدم الضحية، وقد جاء في التلمود: عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوه، إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية، والأخرى مراسيم ختان الأطفال."[1]

وليس هناك ما يدل على ممارسة يهود الأندلس لهذه العادة، غير أن حادثة وقعت في قرطبة سنة 529هـ/ 1135م، مفادها العثور على جثة رجل مسلم في الحي اليهودي، ما أدى إلى مهاجمة المسلمين لليهود في هذا الحي والفتك بهم، مع العلم أن هذه الحادثة جرت في شهر رجب من عام 529هـ وهذا التاريخ يوافق شهر أفريل من سنة 1135م، وهو الشهر الذي يحتفل فيه اليهود بعيد الفصح.[2]

وكان اليهود يحتفلون في اليوم الأول من هذا العيد بوجبة عيد الفصح، فكان كل أب يرأس حفلة الصلاة لأسرته المجتمعة عنده، ويقوم معهم بمراسم تذكرهم بأيام نبي الله موسى عليه السلام البئيسة، ينقل خلالها عن طريق الأسئلة والأجوبة، القصة القيمة العزيزة إلى الأبناء الصغار.[3]

ولليهود عيد العنصرة وهو بعد الفطير بخمسين يوما، وفيه حضر مشايخ بني إسرائيل إلى طور سيناء مع موسى عليه السلام، فسمعوا كلام الله تعالى من الوعد والوعيد، فاتخذوه عيدا[4] ويكون هذا العيد في السادس من ماي، ولا يكون عيد العنصرة عند طائفة الربانيين أبدا يوم الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت.[5]

1 – السحيمي سليمان بن سالم، الأعياد وأثرها على المسلمين، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، ط2، 2003، ص 34

2 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 289

3 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 27

4 – أبو الفداء عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، ج1، ص 88

5 – المقريزي تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، ج4، ص 378

ويسمى عيد العنصرة أيضا عيد الخطاب وعيد الأسابيع، وهي الأسابيع التي فرضت عليهم فيها الفرائض، وكمل فيها الدّين، ولقد خاطب الله تعالى فيها بنى إسرائيل من طور سيناء، وإن من جملة ما خوطبوا به العشر كلمات، وهي وصايا تتضمن أمرا ونهيا، وهو من حجوجهم، وحجوجهم ثلاثة: الأسابيع، والفطير، والمظلّة، وهم يعظمونه ويأكلون فيه القطائف ويجعلونها بدلا عن المنّ الذي أنزل عليهم في هذا اليوم، على ما يزعمون. [1]

عيد المظلّة وهو سبعة أيام، يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزّيتون والخلاف، وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض، ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله إياهم في التيه بالغمام.[2]

يوم السبت: وهو "شباث" في العبرانية، بمعنى راحة لأنه يوم يزعمون أن الله استراح فيه – تعالى الله عن قولهم – وأمر عباده بالاستراحة فيه وباركه، ومدته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وجعلوا أهم شعائره الكف عن أي عمل، بذلك جاء الأمر صريحاً في الوصايا العشر المنسوبة إلى موسى " واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملاً لك" والعمل في السبت يعتبر من أعظم الخطايا عندهم.[3]

وفي اليوم الأول من أكتوبر، يحتفل اليهود بعيد رأس السنة، وبهلال الشهر، وينفخون في القرن (الصفارة) إحياء لذكرى نزول التوراة، ودعوة الناس إلى التوبة من الذنوب واستعجالاً لليوم السعيد الذي يدعى فيه جميع يهود العالم ليعبدوا الله في أورشليم، ومن مساء رأس السنة إلى اليوم العاشر من أكتوبر أيام توبة وتفكير عن الذنوب، وكان أتقياء اليهود في هذه الأيام جميعها ما عدا اليوم التاسع منها يصومون ويصلون، فإذا جاء اليوم العاشر المسمى يوم (يوم الغفران) لا

1 – النويري، نهاية الأرب، ج1، ص 196

2 – القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2، ص 464

3 – الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 136

يجوز لهم فيه أن يأكلوا أو يشربوا أو يحتذوا نعالاً أو يقوموا بعمل أو يستحموا أو يقربوا النساء من مطلع الشمس إلى مغيبها، بل كانوا يقضون النهار كله في الكنيس يصلون ويعترفون بذنوبهم.[1]

هذه بعض أعياد اليهود الدينية والتي ارتبطت بأحداث تاريخية وقعت لهم مع نبي الله موسى عليه السلام، وهناك أعياد أخرى لكن هذه هي أهمها.

من خلال ما تقدم، يلاحظ أن يهود الأندلس كانوا أوفر حظا من يهود العالم الإسلامي الاخرين، من الناحية الاجتماعية، وذلك راجع إلى أنهم كانوا يعاملون وفق مبدأ المساواة بين الرعية، فلم يضيق عليهم وفق ما تقتضيه أحكام عقد الذمة، ولم يتميزوا لا في لباس ولا في طعام، وإن كان لهم أعيادهم الخاصة فذلك وفقا لما تقتضيه ديانتهم وشريعتهم.

1 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 28

2- الحياة الاقتصادية لليهود في غرناطة الزيرية:

2-1 التجارة:

اهتم اليهود بالتجارة اهتماما كبيرا باعتبارها وسيلة لتحقيق الربح حيث سيطروا على الميدان التجاري بالأندلس، وكانت تجارتهم على نوعين داخلية وخارجية، وبطبيعة الحال فإن التجارة الخارجية كانت أكبر من التجارة الداخلية، ذلك أنها تتميز بالشمولية والاتساع، وصلت إلى بلدان ومناطق شتى. على عكس التجارة الداخلية التي كانت موجهة فقط لتلبية الحاجة الذاتية، ولقد سيطر اليهود على الحصة الكبرى من تجارة الأندلس من مطلع العصر الوسيط إلى منتصف القرن الخامس الهجري، وبذلك فقد اقتطعوا مكانة كبيرة في التجارة الدولية لهذه الفترة.[1]

"وكان رب Rab، العالم التلمودي البابلي، قد وضع لبني ملته شعاراً يدل على ثاقب فكره: "تاجر بمائة فلورين تحصل على لحم وخمر، أما إن اشتغلت هذا القدر نفسه في الزراعة فأكبر ما تحصل عليه هو الخبز والملح".[2]

ولقد عمل اليهود على نقل وتبادل السلع بين مدن الأندلس ضمن التجارة الداخلية، وكان لهم محلات تجارية في أسواق المدن التي يعيشون فيها، إضافة إلى المتاجر التي يملكونها داخل الأحياء اليهودية، وكانت المحال التجارية في الأندلس تتركز في شوارع خاصة، تبعا لنوع السلعة المعروضة للبيع.[3]

ولقد عرف عن أسواق الأندلس ترتيبها الحسن، بحيث خصص لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم، تخصصت ببيع سلعة معينة من السلع التجارية، ولم تقتصر هذه الأسواق على عملية التبادل

1 – ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، ص 88

2 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 61

3 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 355

التجاري فقط، بل كانت عبارة عن مدارس لأصحاب الحرف تعمل على تعليم الصبيان أصول الصنعة.[1]

وقد خصص الأندلسيون أسواقا خاصة لبيع السلع الثمينة كالذهب والحرير، وكانت هذه الأسواق مغطاة بسقف، وتقع غالبا بالقرب من مسجد المدينة الرئيس، وهو ما سمي في ذلك الوقت قيسارية.[2] والقيسارية عبارة عن بناء كبير على شكل مستطيل بداخله طريق تتوزع فيه الحوانيت على كلا الصفين.[3]

"وكانت ساحة بلنسية[4] في الحي اليهودي بسرقسطة تدعى فيما مضى قيسارية، وفي مدينة مالقه كانت القيسارية أيضا ضمن الحي اليهودي، وتدل أسماء الشوارع والحارات في الأحياء اليهودية في عدد من المدن الأندلسية، على أن اليهود قد تعاملوا بكل أصناف التجارة، لكنهم تخصصوا في تجارة الأنسجة والملابس الحريرية".[5]

1 – عمر زعل محمد المزايدة، الحياة الاقتصادية في الاندلس في عهد الخليفة الناصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: حسين فلاح الكساسبة، جامعة مؤتة 2009، ص 156– 157

2 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 355

3 – البكر خالد بن عبد الكريم بن حمود، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1993 ص ص 245– 246

4 – **بلنسية:** في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً، وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس، في مستوٍ من الأرض، عامرة القطر، كثيرة التجارات، وبها أسواق وحط وإقلاع، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهرٍ جارٍ ينتفع به، ويسقى المزارع، ولها عليه بساتين، وجنات، وعمارات متصلة، والسفن تدخل نهرها وسورها مبنى بالحجر والطوابى، ولها أربعة أبواب، وهي من أمصار الأندلس الموصوفة، وحواضرها المقدمة، ولأهلها حسن زيٍ وكرم طباع، والغالب عليهم طيب النفوس، والميل إلى الراحات، وهي في أكثر الأمور راخية الأسعار، كثيرة الفواكه والثمار جامعة لخيرات البر والبحر، ولها أقاليم كثيرة. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص 47

5 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 356

ولقد اعتمد اليهود في التجارة على سياسة الاحتكار، فاحتكروا تجارة الذهب والفضة والنحاس والقصدير وبعض الخامات التي تستعمل في تصنيع الجواهر كاللؤلؤ، والفيروز وأنواع كثيرة من الخزر وبعض أنواع الأصداف.[1]

وأهم تجارة مارسها يهود الأندلس واحتكروها هي تجارة الرقيق، إذ كانوا يجلبون إلى الأندلس أعدادا كبيرة من الفتيان والفتيات الصغار، يشترونهم من شمال الأندلس، وبلاد الفرنجة، ودول السلاف ومن ساحل البحر الأسود، لعرضهم في الأسواق الأندلسية، فيشتري أمراء المسلمين وأغنياؤهم ما يحتاجون إليه من الرقيق المعروض، والباقي يحمل الى بلاد المغرب والمشرق الإسلامي، حيث يتم بيعه هناك.[2]

ولقد أكد ابن حوقل ذلك بقوله: "وبالأندلس غير طراز يرد إلى مصر متاعه، وربّما حمل منه شيء إلى أقاصي خراسان وغيرها، ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان الروقة من سبي إفرنجه وجليقيه، والخدم الصقالبة وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الاندلس؛ لأنّهم عند قربهم منها يخصون، ويفعل ذلك بهم تجّار اليهود."[3]

ومن قول ابن حوقل يفهم أن اليهود تخصصوا في عملية الإخصاء التي كانت تجرى على الرقيق الصقالبة، وكما هو معروف لم يكن مسموحا للرجل بالعمل في القصر وخاصة في خدمة الحريم إلا إذا كان خصيا.

ولقد انتشرت في كثير من مدن الأندلس أسواق النخاسة، وذلك لارتباطها الوثيق بتجارة الرقيق التي شهدت رواجا كبيرا، فقد تبوأت الأندلس مكان الصدارة بين أقطار العالم الإسلامي في

1 – رمضان رابح، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، إشراف: بن معمر محمد، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، 2007/ 2008، ص 144.

2 الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف، ص 120

3 ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص 110

هذا النوع من التجارة، واستوجب ذلك وجود عدد من الأسواق التي يعرض فيها الرقيق من الغلمان والجواري، الذين جلبوا بواسطة الحملات العسكرية الموجهة ضد الممالك النصرانية، أو بواسطة القوافل التجارية التي كانت تجلبهم من نواحي مختلفة، ولقد كان يشترط خلال عملية بيع وشراء الرقيق، وجود أطباء لفحصهم والتحقق من سلامتهم وقابليتهم للخدمة، كما يشترط أيضا كتابة عهدة أو وثيقة تثبت سلامة البيع والشراء وتؤكد على صحة ملكية المشتري للغلام أو الجارية.[1]

ولقد استفاد اليهود من تجارة الرقيق كثيرا، إبان حكم الطوائف، حيث كانت الحاجة ماسة إليهم، والطلب عليهم رائج، وذلك لاستخدامهم في البيوت وفي القصور، وحتى للتجنيد في الجيوش، كما كان اليهود أنفسهم يستخدمون هؤلاء الأرقاء للخدمة في بيوتهم.[2]

ولقد كان للتجار اليهود أثر كبير في استمرار وتزايد النشاط التجاري في البحر المتوسط، بين دول أوربا والمشرق، حيث قام هؤلاء التجار بأخذ البضائع التي تصل إلى الأندلس، وبيعها في بلاد الغال، ومنها إلى الدول الأوربية الأخرى، وكان التجار اليهود يثقون بالتجار المسلمين، وكانوا يتبادلون الرسائل فيما بينهم باللغة العربية.[3]

ولقد كانت التجارة نشطة في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، وذلك بفضل التجار الذين كانوا ينقلون بضائعهم عبر الطرق الرئيسية، بين المرية والإسكندرية، مما يدل على ازدهار التجارة الأندلسية، وبصفة خاصة الفوائد المكتسبة من صادرات الحرير، التي سمحت

1 – البكر، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، ص 242

2 – ولد أن محمد الأمين، النصارى واليهود من سقوط الدولة الاموية إلى نهاية المرابطين (422– 539/ 1030– 1141م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، إشراف: بوباية عبد القادر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2013/2012، ص 112

3 – الكعبي، التعايش السلمي بين الأديان، ص 220

لملوك الطوائف بدفع الجزية لملوك النصارى في الشمال. ومما ساهم في رواج تجارة اليهود في ذلك العصر، حرية الحركة والتواصل التي ميزت عالم البحر الأبيض المتوسط.[1]

ونظرا لطبيعة التفتت السياسي في الأندلس خلال عصر الطوائف، فإنه يصعب التعميم بخصوص ما تعلق بوضع عيش يهود الأندلس وشروطه، سواء أكانوا تجارا أم غير ذلك ويبدوا أن اليهود ازدهروا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عندما وصل الوزير اليهودي ابن نغريله إلى السلطة في بلاط غرناطة، فقد كان ابن نغريله تاجرا في دور من أدوار حياته، ويشتغل بنفسه بكل تواضع وواقعية، تاجر توابل في مدينة مالقه.[2]

ولقد كان التجار اليهود يتكلّمون العربيّة والفارسيّة والروميّة، والإفرنجيّة والأندلسيّة والصقلبيّة، وكانوا يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق برّا وبحرا، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج، وجلود الخزّ والفراء والسمّور والسيوف، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور، وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي.[3]

ولقد ساعدت الروابط العائلية والطائفية لليهود، الذين كانوا ينتشرون في كل بقاع العالم، الإسلامي وغير الإسلامي، على نجاح المبادلات التجارية والصناعية على وجه العموم، وكانوا يعتبرون بحق وسطاء في التجارة الدولية، فقد ربطوا أوربا بمصادر إنتاج التوابل والمنتوجات الغذائية التي تحتاجها، وصدروا منها سلعها الخاصة بها إلى البلدان الإسلامية.[4]

1 – ولد أن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الاموية إلى نهاية المرابطين، ص 116

2 – كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الاندلس، ترجمة: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، ص 148

3 – ابن خردادبة أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، بيروت: دار صادر، 1889، ص 153

4 – الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص ص 46 –48

وبرغم أن التاريخ لاقتصادي لليهود ارتبط ارتباطا وثيقا بالتعامل بالربا، إلا أننا لم نقف على ما يعزز القول بأن هذا النوع من التعامل كان شائعا في الأندلس، وهذا لا ينف أن يكون اليهود قد تعاملوا بالربا فعلا، لكنهم ربما جعلوه مستترا خشية من السلطة الإسلامية التي كان الدين الإسلامي يوجب عليها محاربة هذا النوع من المعاملات لحرمته ولما اشتمل عليه من مفاسد.

2-2 الزراعة:

الأندلس عبارة عن شبه جزيرة، تحيط بها المياه من كل جوانبها، ماعدا الجانب الشمالي الشرقي، وهي ليست ذات طبيعة واحدة، وإنما هي مكونة من سهول وهضاب وجبال وأودية، وفيها المناطق الخصبة والمناطق القاحلة، ونظرا لأن المسلمين نزلوا بالمناطق الخصبة وأقاموا فيها، واعتزلوا المناطق الجبلية، فقد تصور الكثيرون أن الأندلس، عبارة عن جنان وارفة ومياه غزيرة وبساتين مثمرة، والحقيقة أن شبه الجزيرة الأندلسية مختلفة الطبيعة والمناخ، من إقليم لأخر، وهذا ما أدى في الحقيقة إلى تنوع في المحاصيل الزراعية.[1]

وكانت غرناطة في وضع زراعي جيد، ويعود ذلك إلى اتساع مرجها، والذي يمتد على مد البصر، وهو عبارة عن حدائق وأشجار زيتون، ولوز وعنب وقصب السكر، وغيرها من سائر النباتات، بحيث لم تكن هناك فاكهة، تفوق فاكهة هذا المرج من حيث الجودة، وكان لمدينة غرناطة مدن وضياع متصلة بعضها ببعض، وكانت قراها كثيرة الغلال، يكثر فيها التوت والكروم وضروب الثمار.[2]

وبالنسبة لمشاركة اليهود في المجال الزراعي، يمكننا القول: بأنه لا يمكننا الحديث عن دور بارز لليهود، في مجال الزراعة في الأندلس الإسلامية، قبل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،

1 – دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138، 422هـ / 755، 1030م)، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1994، ص ص 339-340

2 – الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، ص ص 283 – 285

ذلك أنه فيما سبق هذا التاريخ، لم يكن هناك إمكانية لمنح اليهود أراض زراعية يستغلونها، ففي العهد الأول للفتح، حصل الفاتحون الأوائل على معظم الأراضي الزراعية، بعد أن قسمت أربعة أخماس بينهم، وبقي خمس واحد في يد الدولة، تنفق منه على مصالح المسلمين وفقرائهم، ولم يستطع اليهود الحصول على أراض زراعية، لأنه لم يكن هناك فائض يمكن أن يعطى لهم.[1]

كما أن خروج اليهود مرهقين ماديا، بسبب ما عايشوه أيام حكم القوط، حرمهم من إمكانية شراء أراض زراعية يتولون زراعتها، ولقد عاش اليهود قبيل الفتح الإسلامي تحت ضغوط كبيرة، مارسها عليهم القوط الكاثوليك، جعلت وضعهم في غاية الصعوبة، إذ جردوا من أملاكهم وعملوا عبيدا في المزارع، والحقول التابعة للقوط.[2]

وهذا لا يعني أن أهل الذمة ومنهم اليهود، قد حرموا تماما من ملكية الأراضي الزراعية، أو أنهم جردوا من ملكياتهم، التي كانت بحوزتهم قبل الفتح، بل على العكس من ذلك؛ فقد احتفظ هؤلاء بملكية الأراضي في الريف الأندلسي، ومن ذلك ما اتفق عليه أبناء غيطشة وطارق بن زياد، على أن يمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس، والمقدرة بثلاثة آلاف ضيعة، في مقابل أن يتعاونوا معه. كما كان أهل الذمة يملكون معظم الأراضي التي فتحت صلحا، في مقابل أداء ما عليها من ضرائب، تنفيذا لشروط المعاهدات التي عقدوها مع الفاتحين، ولقد تراوحت أشكال الملكية، بين ملكية جماعية وملكية فردية، وملكيات كبيرة وملكيات متوسطة وصغيرة.[3]

وبسبب التمردات التي حصلت في القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد، فإن الوضع تغير قليلا، حيث أدت التمردات إلى تغيير في ملكية الأراضي الزراعية، وسيطر المتمردون على معظم أراضي الخمس الخاصة بالدولة، كما فقد كثير من أصحاب الأملاك الواسعة أملاكهم، وخشي

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 371 – 373

2 – الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف، ص 121

3 – قرني حسن، المجتمع الريفي في الاندلس في عصر بني أمية (138– 422هـ/ 756– 1031)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2012، ص 328

آخرون على أراضيهم فعرضوها للبيع بأسعار زهيدة، خاصة في جنوبي الأندلس، وهذا ما ممكن تجار اليهود الأثرياء، من الحصول على الأراضي عن طريق الشراء، والتوسع في المجالات الاقتصادية الأخرى ومنها الزراعة، ولقد ساهم اليهود المهاجرين من جنوب العدوة إلى الأندلس، بشكل فعال في هذا المجال، وكان معظم هؤلاء المهاجرين من الفقراء الذين شكلوا عمالة رخيصة.[1]

وقد احتوت بعض كتب النوازل، على ما يثبت امتلاك اليهود للبساتين والأراضي الزراعية، ومنه ما أورده ابن سهل، بخصوص جنة ابتاعها مسلم من يهوديين، ثم قام ابن أخ بائعها يدعي أنه حبسها عليه قبل بيعها.[2]

ويعتبر حكم العرب المسلمين بحق، نعمة وبركة على الزراع من أهل البلاد؛ ذلك أن الفاتحين لم يبقوا على الضياع الكبيرة، التي كان يمتلكها القوط الغربيون، وحرروا رقيق الأرض من عبودية الإقطاع. وكان العبيد يلقون على أيدي المسلمين، معاملة أحسن مما كانوا يلقونها على أيدي سادتهم الأولين، وكان في مقدور العبيد غير المسلمين أن يتحرروا من الرق، بمجرد اعتناقهم الإسلام، وكان العرب في معظم الأحوال، يتركون أعمال الزراعة إلى أهل البلاد، وكانوا يستعينون بأحدث ما ألف من الكتب في علومها، ولذلك بلغت الزراعة وعلومها في الأندلس، من التقدم أكثر مما بلغته في أوربا النصرانية. [3]

وقد مارس أغلبية الجالية اليهودية في الأندلس الزراعة، وقد اشتهروا بزراعة الزيتون بكميات هائلة، خاصة في مدينة إشبيلية، والتي منها كان يصدر إلى العديد من البلدان، برا وبحرا.

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 371 – 373

2 – ابن سهل أبو الأصبغ عيسى، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة: محمود علي مكي وآخرون، القاهرة: المركز العربي للدول للإعلام، ص 26.

3 – ديورانت، قصة الحضارة، ج13، ص 293

وبممارستهم الزراعة، فقد امتاز يهود الأندلس عن كثير من يهود العالم، الذين تركز نشاطهم الاقتصادي على التجارة فقط، مهملين بذلك القطاعات الاقتصادية الأخرى، وخاصة الزراعة.[1]

ولقد ازدهرت الزراعة بالأندلس في عصر الطوائف، وعرف عن الأندلسيين براعتهم في الفنون الزراعية، وهم الذين حولوا وديان الأندلس، إلى مهاد ورياض نضرة، وقد اتخذت فنون الزراعة على أيديهم طابعاً علمياً واضحاً. والحقيقة أن أهل الأندلس من أنبغ الشعوب في فلاحة الأرض وتربية الماشية، وغرس الحدائق وتنظيم طرق الري والصرف ومعرفة أحوال الجو، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات، وكانت مزارعهم وحدائقهم، مضرب الأمثال في الجودة والتنسيق والنماء. ويرجع ازدهار الزراعة في عصر الطوائف، إلى شغف الملوك بإنشاء الحدائق والبساتين اليانعة، وتربية الغراس والزهور النادرة.[2]

وقد ظهر في عصر الطوائف، عدد من علماء النبات والزراعة، ومن أشهرهم ابن وافد في طليطلة، والذي أشرف على حدائق بني ذنون، وكذلك العالم أبو عبد الله بن بصال، المشهور بتجاربه العلمية الناجحة، من توليد الغراس ومكافحة الآفات الزراعية، وله كتاب "الفلاحة" المشهور، وكذلك عالم إشبيلية الزراعي أبو عمر بن حجاج صاحب كتاب (المقنع)، وكذلك أبو عبد الله بن مالك الطغنري من أهل غرناطة، وتلميذ ابن بصال وصاحب كتاب (زهر البستان ونزهة الأذهان).[3]

ومن مزروعات الأندلس: "الشّعير والذرة والأرز والعدس والفول والبصل والفوم، والعنب والحمضيات والتين، والزبيب والتُّوت، والبنجر وأنواع الخضر، والتفاح والموز والبرقوق، والكمثرى والمشمش والتين الشوكيّ، والخوخ والرمان وقصب السكّر، وترعى دودة القزّ أوراق شجر التوت، كما يزرع الكتان. ومعظم سكّان الأندلس يعملون في الزراعة، ومهنة أكثرهم الفلاحة، وأشهر

1 – فايزي، التسامح الديني في المجتمع الاندلسي وتأثيره على المنظومة القيمية، ص ص 119– 120

2 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج2، ص 241

3 – السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 467

الزروع في الأندلس الكروم والفواكه، وتربّى قطعان الأغنام والمعز والأنعام كثيراً، وتكثر فيها الخيول والبغال والحمير، وتربّى الدواجن في المزارع بخاصة، وفي البيوت أيضاً، وتستغل مياه الأنهر والبحار لصيد الأسماك."[1] وغير ذلك كثير.

ومهما يكن فإن الزراعة وملكية الأراضي؛ لا بد أنها تأثرت بالفتن والحروب والتمردات الكثيرة، خاصة في عصر إمارات الطوائف، هاته الإمارات التي كانت الحروب فيما بينها، لا تكاد تتوقف، وكانت في الغالب تأتي على المحاصيل الزراعية حرقا وإتلافا. كما أن أموال الجباية، التي كان يؤديها حكام هذه الإمارات الضعفاء، إلى ملوك النصارى، كانت في الغالب مرتفعة ومرهقة، ولابد أن النصيب الأكبر منها، كان يُحَصَّل عن طريق الضرائب المجحفة، التي تؤخذ في الأساس من ملاك الأراضي والمزارعين، وعلى رأسهم اليهود باعتبار عقد الذمة وعقد الصلح. كل هذه العوامل تجتمع لتبين لنا وجها من أوجه الحقيقة، التي كانت تلف هذا النشاط.

2-3 الصناعة والحرف:

تظافرت أسباب عديدة، ساهمت في نشأة وازدهار الصناعة الأندلسية، ومن هذه الأسباب هو أن أرض الأندلس، كانت غنية بالمعادن المختلفة ومنها الذهب والفضة، والقصدير والنحاس والحديد، والرصاص والشب والكبريت والزئبق، وكان المرجان يستخرج من البحر، على طول سواحل الأندلس. كما كان اللؤلؤ يصطاد قرب سواحل قطلونية[2]، وكان الياقوت يستخرج من مناجم حول باجة ومالقه.[3]

1 – خطاب، قادة فتح الأندلس، ج1، ص 103

2 – **قطلونية:** إمارة مستقلة، وعاصمتها برشلونة، وقد لبثت برشلونة منذ الفتح في أيدي المسلمين نحو قرن من الزمان، وكانت أعظم ثغور الأندلس الشمالية الشرقية، ثم افتتحها عاهل الفرنج كارل الأكبر في سنة 801 م /185هـ، أيام الحكم بن هشام، بعد حصار طويل، واتخذ الفرنج من برشلونة قاعدة لولاية الثغر القوطي، ولقد حاظت قطلونية على استقلالها دهرا ثم اندمجت في مملكة أراجون. ينظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص 544.

3 – ديورانت، قصة الحضارة، ج13، ص 294

ولقد ضرب سكان الأندلس في الصناعة بأوفر سهم، وكانت إسبانيا المسلمة أيام قوتها أعظم الأمم الصناعية في أوربا، وقد اشتهرت بصناعة الأسلحة الجيدة، التي كان الطلب عليها رائجا من داخل وخارج الاندلس، كما اشتهرت بصناعة الصوف والحرير، والأقمشة الملونة الممتازة، وصناعة الجلود الدقيقة التي برع فيها أهل قرطبة، كما تفوق سكان الأندلس في الكيمياء وصناعة الأدوية والعقاقير، واستخراج العطور من الأزهار، وتركيب الأصباغ المختلفة، وكذلك استمرت صناعة الحرير على تقدمها وازدهارها، ولاسيما في مالقه والمرية.[1]

ونستشف من رواية المقري عن عباس بن فرناس[2]، ما مفاده أن الصناعة في الأندلس، بلغت مرحلة متقدمة جدا، وإلا فكيف يمكن لرجل في ذلك العصر، أن يتمكن من صناعة الزجاج، وصناعة آلة لمعرفة الوقت، ومحاولته صناعة آلة للطيران.

ويقول المقري: "ومن حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس، حكيم الأندلس أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة... وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة، ليعرف الأوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه، وكسا نفسه الريش، ومد له جناحين، وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه، فتأذى في مؤخره."[3]

ولقد شهدت إمارة غرناطة، على عهد بني زيري، في مجال الصناعة تقدما امتازت به على غيرها من إمارات الأندلس، وبلغت شهرة تجاوزت الآفاق، وأهم الصناعات التي عرفتها غرناطة

1 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج5، ص ص 446– 447

2 – **ابن فرناس:** هو أبو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس، وأصله من كورة تاكرنا(رندة)، بجنوب الأندلس في شرق المثلث الإسباني، وينتمي إلى أسرة من البربر، ونشأ بقرطبة في أواخر القرن 2هـ/ 8م، ودرس بها وبرع منذ شبابه في الفلسفة والكيمياء والطبيعة والفلك وبرع في نفس الوقت في الشعر والأدب والموسيقى. ينظر: عنان محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1970، ص 266.

3 – المقري، نفح الطيب، ج3، ص 374

آنذاك؛ صناعة النسيج، وصناعة الرخام، وصناعة المعادن، والزجاج و الفخار، وصناعة السفن، وصناعة الخمور والأنبذة، وزيت الزيتون، وقد كان حرير غرناطة مقدما على كل ما سواه.[1]

ولم تكن الحرف والصناعات، مقتصرة على فئة اجتماعية بعينها، بل كانت تمارس من قبل جميع الفئات؛ من العرب والبربر والموالي والصقالبة واليهود، فضلا عن أهل البلاد الأصليين، حتى المرأة الأندلسية مارست بعض الصناعات بإتقان.[2]

وخلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، كان عدد اليهود في الأندلس يفوق أعدادهم في بقية الممالك الاوربية، وقد مارسوا مختلف المهن والحرف، ومختلف الصناعات اليدوية، إضافة إلى صناعة الأدوية والصيدلة، وظل العنصر اليهودي نشطا يتحرك في مجالات الاقتصاد المتنوعة، وقد برع اليهود كثيرا في أعمال صياغة الذهب والفضة، ونظم الأحجار الكريمة، حتى أنهم احتكروا أسواق الصاغة في المدن الأندلسية، ولبروزهم الكبير في مجال الذهب وصياغته؛ كان الأندلسيون إذا تفاخر مسلم بهذه المهنة احتقروه. وجلب اهتمام اليهود بصياغة الذهب لمنتجات الأندلس شهرة كبيرة، وقد بلغوا قمة مستواهم في هذه الصنعة في عصر الطوائف.[3]

ومارس يهود الأندلس الخياطة والنسيج، وحياكة الأقمشة والدلالة في الأسواق، وعملوا في نسخ الكتب وتجليدها، كما عملوا أساكفة وحمالين وكيالين، وعملوا في صناعة الخمور، وفي صناعة الأحذية، ويجدر القول أن هذه المهن لم تكن حكرا على اليهود وحدهم، ولقد مارسها غيرهم من طوائف المجتمع الأخرى، ويبدو أن اليهود حاولوا تقليد المسلمين في الصناعات المتميزة، لكنهم فشلوا في ذلك بسب براعة المسلمين، وقدرتهم على المنافسة.[4]

1 – الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، ص 286

2 – الكعبي، التعايش السلمي بين الأديان، ص 168

3 – فايزي، التسامح الديني في المجتمع الاندلسي وتأثيره على المنظومة، ص ص 122–123

4 – الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف، ص ص 123– 124

كما اهتم اليهود بالدباغة والصباغة، وتدل أسماء شوارع الأحياء اليهودية القديمة في مدن الأندلس، على ممارستهم لهاتين المهنتين، ففي الحارة اليهودية في إشبيلية، هناك ساحتان تعرفان باسم موقع الدباغين، وهما تقعان بالقرب من سور المدينة، كما تدل أسماء الشوارع في الحي اليهودي في سرقسطة، على أنه كان هناك عدد كبير من الصباغين والدباغين، ويلاحظ أن معظم الصناعات والحرف التي امتهنها اليهود بسيطة، ومن النوع الوضيع، والتي ترفع عنها المسلمون، وقد بلغ احتقار مسلمي الأندلس، لهذه الصناعات والمهن، حدا جعل بعض الفقهاء يفتون برد شهادة من يتحرف بها من المسلمين.[1]

وهناك مهن صنفت في خانة المحظور على المسلمين، وأفتى بوجوب اجتنابها عدد من العلماء والفقهاء، ومنها أن لا يرمي المسلم زبل اليهودي ولا النصراني، ولا ينقي كنيفه –وهو المرحاض–، ولا يخدم دابته ولا يضبط بركابه، ويرى ابن عبدون أن هذه الأعمال أولى باليهود والنصارى لأنها من عمل الأرذلين على حد قوله.[2]

ومن هنا نستطيع القول أن اليهود من الناحية الاقتصادية، ركزوا على امتهان التجارة، التي كانت تدر عليهم أموالا طائلة، وبأن معرفتهم باللغة العربية، كانت من أسباب نجاحهم في هذا

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص ص 379– 380

2 – ابن عبدون، ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، ص 48

المجال، كما أن اللافت للنظر في الجانب الحرفي، أن جملة من الحرف التي امتهنها اليهود، كان ينظر إليها باحتقار من طائفة المسلمين من سكان الأندلس، وهذا لا يمنع أنهم مارسوا أنشطة أخرى، وامتهنوا مهنا راقية، تشاركوا فيها مع طوائف الأندلس الأخرى، المسلمين وغيرهم.

الفصل الثالث

الحياة الثقافية لليهود في غرناطة الزيرية:

1- نخبة من علماء يهود الأندلس في عصر الطوائف.

2- المناظرات والجدل الفكري

3- نهاية النفوذ اليهودي في غرناطة الزيرية

كان ابن النغريلة الأب عالما وحبرا من أحبار اليهود، وقد لقبوه بالناغيد، بمعنى رئيس الطائفة وشيخ العشيرة، ولا عجب أن يحاول هذا الحبر أن يدعو لدينه ويحاجج عنه، بتفنيد ما جاء في الشرائع الأخرى خاصة الإسلام.

وكان لزاما على علماء عصره من المسلمين، أن يذبوا عن حمى دينهم وعقيدتهم، بالحجة والبيّنة، ولقد تولى كبر ذلك واحد من أهم علماء المسلمين في التاريخ، وهو ابن حزم الظاهري، المعروف بسعة علمه وقوة حجته، واشتغاله بالمناظرة والجدل الديني والفكري. وقد حذا ابن النغريلة الابن حذو أبيه، في محاولة دحض ما جاء به الإسلام والقدح فيه، بصورة أكثر فظاظة وأكثر لؤما وخبثا، إلا أن ابن حزم كان له بالمرصاد كما كان لأبيه. حتى ألف في ذلك رسالة سماها الرد على ابن النغريلة اليهودي.

أصبحت الأندلس ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وجهة لكثير من اليهود الذين قدموا إليها من مختلف الأصقاع، وقد حل بها عدد كبير من العلماء اليهود، من أهل العراق والمغرب؛ جاؤوها من أجل الاستقرار، حتى غدت وطنا يتميز بثقافته العلمية والروحية، وأصبحت العلوم اليهودية تشع من كبريات الحواضر الأندلسية، التي أضحت مدارسها تخرج أجيالا من العلماء الذين سرعان ما فرضوا تقاليدهم العلمية الخاصة، فعرف الشعر والنحو وعلم تفسير التوراة، والشروح التلمودية والفكر التشريعي ازدهارا كبيرا، وغدت قرطبة وغرناطة وإشبيلية وغيرها، مراتع للثقافة اليهودية، تفيض نشاطا وحيوية، وتلعب دورا أساسيا في الحياة الثقافية للأندلس.[1]

ويمكننا القول أنّ القرون الميلادية الثلاثة: العاشر والحادي عشر والثاني عشر، مثلت العصر الذهبي ليهود الأندلس، خاصة في المجالات العلمية، والعناية بالفكر اليهودي، وتأسست في هذه الفترة مجامع علمية، ما لبثت أن أصبحت لها الزعامة الفعلية على يهود العالم كله، وبينما كانت المدارس اليهودية في الشرق، تقصر نشاطها على التعليم الديني، كانت هذه المدارس

1 – الزعفراني، يهود الاندلس والمغرب، ج1، ص 107

الأندلسية تعلم الأدب والموسيقى، والرياضيات، والطب، والفلسفة. وبفضل هذا التعليم نالت الطبقات العليا من يهود الأندلس سعة وعمقاً في الثقافة، لم ينلهما إلا معاصروهم من المسلمين، والبيزنطيين، والصينيين، وكان مما يعاير به الرجل المؤثر أو صاحب المركز السياسي ألا يكون ملما بالتاريخ، والعلوم الطبيعية، والفلسفة.[1]

وقد أدرك يهود الأندلس منذ البداية أن التفقه في اللغة العربية وآدابها، هو الطريق الى وظائف الدولة والسبيل إلى بلوغ الحظوة عند الحكام، فانكبوا على دراسة العربية وعلومها بجانب العبرية، واختاروا من المدن قرطبة التي كانت تعج بالعلماء والفلاسفة والفقهاء المسلمين، مركزا لإنعاش دراساتهم، خاصة أنه كان بها مكتبة غنية تضم آلاف المخطوطات في مختلف أنواع الفنون والعلوم والآداب.[2]

وقد عرفت الأندلس، كواحدة من أهم المراكز الحضارية والعلمية في العصر الوسيط، وقد شجع الأمراء والخلفاء الأمويون، على الدفع بعجلة التعليم في شتى المجالات، وبرغم ما آلت إليه الأندلس بعد الفتنة البربرية، من سقوط الخلافة الأموية، وقيام دويلات ضعيفة، متناحرة بينها، فإن أمراء الطوائف أبقوا على عادات أسلافهم، في الاهتمام بالعلم والعلماء، وكانت بلاطات أمراء الطوائف تعج بالشعراء والمتأدبين، الذين كانوا يتنافسون بينهم لأجل إظهار الولاء للسلطان وبلوغ الحظوة والمكانة الرفيعة عنده.

غير أن الأمر ربما يبدو مختلفا بعض الشيء، في بلاط غرناطة، وربما لم تعرف غرناطة على عهد بني زيري ذلك الاهتمام بالعلوم والآداب، على حسب ما ذهب إليه كثير من المؤرخين، وإن كان هذا لا يتنافى مع بروز كثير من العلماء، والفقهاء والأدباء والشعراء، في غرناطة ومنهم وزير الدولة اليهودي، إسماعيل بن النغريلة وابنه يوسف، اللذان بزغ نجمهما في علوم شتى، كذلك الأمير الزيري عبد الله بن بلقين وهو صاحب كتاب التبيان.

1 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 53.

2 – عبد المجيد محمد بحر، اليهود في الاندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص 22

1- نخبة من علماء يهود الأندلس في عصر الطوائف:

1-1 سليمان بن جبيرول:

يعتبر ابن جبيرول الذي عاش في مالقه وسرقسطة[1] بين عامي 411هـ و448هـ/ 1021م و1057م، أول فيلسوف يهودي تعلم عن طريق الكتب العربية، فقد قرأ كتب فلاسفة العرب وصقل ملكته بما فيها من الآراء والأفكار، حتى قيل عنه إنه الباعث الحقيقي للشعر العبري وذلك بفضل ما نظم من شعر، ويعتبر صاحب الصدارة بين شعراء اليهود في العصور الوسطى، نظم أشعاره على بحور الشعر العربي.[2]

وقد نال ابن جبيرول، شهرة كبيرة بفضل مؤلفاته، والتي منها (التاج الملوكي)، وهو كتاب شعري، ضمنه منظومات دينية ودنيوية، وله في مجال الأخلاق، كتاب (إصلاح الأخلاق)، وهو مؤلف صغير كتبه بالعربية، ومن كتبه أيضا كتاب (معين الحياة)، وليس فيه أي ملامح تشير إلى عقيدة ابن جبيرول. خالف به تقاليد الكتابة لدى العلماء اليهود، بحيث لم يورد فيه أي إحالة إلى النص التوراتي أو الكتابات اليهودية، مما بعد التوراة، وربما كان هذا هو السبب في بقاء المؤلف مجهول النسبة، ولم يعد في مؤلفات ابن جبيرول إلا في زمن متأخر.[3]

---

1 **سرقسطة:** بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع، قد انفردت بصنعة السّمّور ولطف تدبيره تقوم في طرزها بكمالها منفردة بالنسج في منوالها، وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 213.

2 – بالنثيا آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011، ص 552

3 – الزعفراني، يهود الاندلس والمغرب، ج1، ص 152

ولقد وجد في غرناطة، دراسة لسليمان بن جبيرول باللغة العربية، وهي دراسة فلسفية على النسق الفلسفي الجديد، مزج معها الكثير من الأفكار الأريسطية، لكن هذه الدراسة تم تجاهلها حتى من قبل اليهود أنفسهم.[1]

واللافت للنظر في أشعار ابن جبيرول، هو أن لها قرابة حميمية مع الشعر العربي الذي عاصرته، سواء من حيث الشكل أو المضمون أو الأغراض والموضوعات، رغم أنه كان ينظمها بلغة عبرية، وهي تنتمي إلى تلك المنظومات التي تتغنى بالحب الكوني ذي الفيض الروحي الذي يتغنى بالخالق ويروج لأفضلية اليهود عند الله.[2]

ولا يظهر الأثر العربي في كبار مؤلفات ابن جبيرول فحسب، بل يتجلى كذلك في كتاباته الصغيرة، مثلما هو الحال في النحو العبري الذي نظمه في قصيدة عبرية، صاغها على وزن الرجز العربي، وتتألف من أربعمائة بيت، تحسر فيها على انصراف إخوانه اليهود من أهل سرقسطة عن لغتهم المقدسة، ويسميهم الجماعة العمياء.[3]

ويرى ديورانت أن الشعر اليهودي استطاع أن يتحرر من الصيغ العربية، وأنشأ أشكاله وموضوعاته الخاصة به، وقد أنتج في الأندلس وحدها، ثلاثة رجال يضارعون غيرهم من الأدباء المسلمين أو النصارى في عصرهم، وأولهم ابن جبيرول، وقد هيأته مأساته الشخصية لأن يكون المعبر عن مشاعر اليهود. وهو الذي اضطرته الظروف إلى مغادرة سرقسطة، والفرار من المدينة ليظل سنوات عدة هائما على وجهه فقيراً عليلاً، حتى أولاه ابن النغريلة حمايته وآواه في غرناطة،

1 – María José Cano, La Granada judía: Granada en la época de Šemu'elibnNagrela, Universidad de Granada, Instituto de Ciencias de la Educación, granada,1992, p80

2 – الزعفراني، يهود الاندلس والمغرب، ص 152

3 – بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 553

لكن العلاقة ساءت بينهما بعد ذلك، فعاد ابن جبيرول وهو لا يزال شاباً، إلى الفقر والتجوال، وقد أذلته النكبات، فهجر الفلسفة إلى الدين.[1]

1-2 ابن عزرة:

ولد أبو هارون بن يعقوب بن عزرة في غرناطة، بين السنوات 446هـ و452هـ/ 1055م و1060م، لعائلة يهودية غنية عريقة، وكان تعليمه متنوعا، فقد كان عارفا بالتوراة والآداب اليهودية على اختلافها: دينية، أدبية، وشعرية، وكان عارفا بالعربية نصوصا وتاريخا، كما كان شديد الاهتمام بالفلسفة اليهودية والعربية. قضى معظم حياته بغرناطة، ونهل من معارفها واختلط بذوي المعرفة والآداب والشعر، إلى أن دخلها المرابطون، فغادرتها أسرته وبقي هو بها، إلى أن تغير حاله، فاعتزل الناس، وبقي على هذه الحال، إلى أن غادر غرناطة سنة 488هـ/ 1095م، وعاش حياة الترحال على مدار أربعين سنه، جرب فيهم الوحدة والضياع والفقر، إلى أن مات.[2]

كان موسى مولعا بالمحسنات البديعية وخاصة الجناس، نسج على منوال الجناس العربي أبياتا عبرية، أنهى كل مجموعة منها بكلمة واحدة، يختلف معناها في كل بيت، وجمع هذه الأبيات في كتاب سماه (سفرها عناق)، ويتضمن هذا الكتاب 1210 بيت، تناول فيه موضوعات شتى كالخمريات والحب والوصف.[3]

حرص ابن عزرة على الانعزال والوحدة، ولكنه ظل يعيش ما حمله من غنى ثقافي وحضاري عربي، فحافظ عليه وحماه وسط محيطه الجديد الذي كان يراه غريبا، ولم يواس وحدته إلا شعره وبعض أصدقائه الشعراء، ولقد ساعدته عزلته على غزارة النظم في شتى ضروب الشعر، حتى صار علما من أعلامه، وبينما كان الشعر اليهودي القديم في الشرق دينيا، جاء ابن عزرة بشعر

1 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 97

2 – شحلان أحمد، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي التسامح الحق، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006، ص 61

3 – عبد المجيد، اليهود في الاندلس، ص 68

مخالف في الموضوع والصورة واللغة والأسلوب، اختلطت فيه عناصر من الشعر العربي والتوراتي، وبرزت به مسحة من العقل لم تكن موجودة من قبل، اتخذ من البلاغة العربية والبيان، أسلوبا للإبداع لم تعرفه اللغة العبرية، ولا الثقافة اليهودية خلال كل تاريخها المتقدم.[1]

وقد ألف ابن عزرة كتبا عديدة أشهرها كتاب (المحاضرة والمذاكرة)، وهو رسالة في فن الكتابة، وتاريخ الشعراء اليهود من أهل الأندلس وآثارهم، وهو يضم أطرافا من الشعر العربي.[2] وبرغم أن ابن عزرة اتخذ من الثقافة العربية أساسا لتأليف هذا الكتاب، إلا أنه لم يدخر جهدا في محاولته البرهنة، على أن الأدب العبري أدب غني، وأن اللغة العبرية قادرة على الإبداع، برغم التقليد الظاهر، وهو ما يعتبر اعترافا منه بقدرة ورقي اللغة العربية التي كان أكبر طموحه أن تحذو حذوها لغته العبرية.[3]

والكتاب غني بنقول كثيرة، من موارد متعددة؛ إغريقية وعربية وعبرية، جمع فيها بين الشعر والمثل والتوراة والتلمود والقرآن، وأقوال النحاة واللغويين يهودا وعربا، ويظهر غنى الكتاب في عدد من استشهد بهم من شعراء العرب، دون أن يذكر أسماءهم، ما يربو عن ستة وثلاثين شاعرا أو يزيد، على حسب بعض المحققين، جاهليون ومخضرمون ومولدون، كامرئ القيس والأعشى، وزهير بن أبي سلمى، وحسان بن ثابت والأخطل وجرير، وأبي تمام والمتنبي وغيرهم.[4]

ويعتبر كتاب (المحاضرة والمذاكرة) بحق، عمدة في تاريخ الأدب العبري في الأندلس، وهو لايزال مخطوطة بمكتبة بودليان في أكسفورد. كما ألف ابن عزرة عددا من الكتب الفلسفية بالعربية بحروف عبرية، من بينها كتاب (الحديقة)، وتمتاز كتاباته الشعرية العبرية، بتعدد الموضوعات، ومن أمثلة ذلك ما كتبه عن الحياة والموت:

---

1 – شحلان، التراث العبري اليهودي، ص 62

2 – بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص560

3 – ولد أن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية الى نهاية المرابطين، ص 166

4 – شحلان، التراث العبري اليهودي، ص 65

فليذكـــــــر الانســـــــان في حياتـــه

أنه يسير فـــــي طريـــــق المـــوت

يسافر كـــــل يـــوم رحلـــــــة بطيئة

ويظـــــــن أنـــــــه مستقـــــــــر

مثله مثل راكب السفينـــة المستقـــــــر

لكنه في الحقيقة يطير على جناح الريح [1]

1-3 يهودا بن حيوج:

ولد في مدينة فاس سنة 360هـ- 970م، ثم انتقل إلى قرطبة حيث عاش وتلقى تعليمه فيها، وقد نال الشهرة في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. تتلمذ على يده كثير من أعلام اليهود، وعلى رأسهم إسماعيل بن النغريلة، وزير غرناطة على عهد بني زيري، واشتهر حيوج عند النحاة العبريين المتأخرين، بأنه مؤسس الدراسات العلمية للنحو العبري، وقد كان ظهوره مزامنا لازدهار الثقافة العربية الإسلامية في الأندلس؛ فتأثر بذلك.[2]

وله كتب عدة؛ منها كتاب (الأفعال ذات الجذور المضاعفة)، وكتاب (الأفعال ذات الجذور المستترة)، وكتاب(تحريك الكلمات والأصوات)، ولقد قام تلاميذه ومنهم ابن النغريلة باستكمال واستدراك ما بقي من أبحاثه ناقصا، ليضعوا بذلك دراسة كاملة ونهائية لقواعد اللغة العبرية.[3]

وقد قيل عنه: "كان أبو زكريا حيوج مشهورًا بذهنه التحليلي، وأفكاره الدقيقة، وعند اتباعه لخطوات النحاة العرب، أوضح بأن الأفعال العبرية ثلاثية الجذور أيضًا. وكان ذلك اكتشافا غاية في الأهمية. فبضربة واحدة أنار حيوج ظلمة كل المشكلات التي تحدت النحاة. وبذلك افتتح عصرًا جديدًا لعلم اللغة العبرية. والفضل في هذا لا يعود إلى حيوج وحده، إذ أنه اعتمد على

1 – عبد المجيد، اليهود في الاندلس، ص 70

2 – الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف، ص 130

3 – بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي، ص 191.

مناهج النُّحاة العرب، واستطاع بغريزته اللّغوية أن يعرف إلى أي مدى كان بالإمكان تطبيق هذه المناهج على لغة أخرى".[1]

1-4 مروان بن جناح (384-441هـ/ 994-1049م):

يقول عنه ابن صاعد الأندلسي: "مروان بن جناح من أهل العناية بصناعة المنطق، والتوسع في علم لساني العرب واليهود، وله تأليف في ترجمة الأدوية المفردة، وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الأوزان والمكاييل."[2] وقد عرفه النصارى باسم يونا (يونس) ومرينوس، وإليه يرجع الفضل في نشوء علم النحو في اللغة العبرية، وهو المعروف في مصطلح علماء اليهود في الأندلس بـ (جمل النحو العبراني).[3]

ويبدو أن ابن جناح كان شديد التأثر بالثقافة العربية، وهو ما يتضح من مناقشاته التي كان يجريها مع أقرانه اليهود، على نفس الأسلوب العربي، ومن مثال ذلك هذه الفقرة التي يرد فيها على ما أخذه عليه إسماعيل بن النغريلة، في كتابه المسمى (رسائل الرقاق)، وجاء فيها: "أول ما ناقضنا فيه في هذه الرسالة الكريمة الأولى الواصلة إلينا الآن، من جملة ما أبرق به من رسائل الرقاق، هو ما فسرناه في أول المستلحق، وهو لما قلناه من أن ألفاظ ..." [4]

1 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 401

2 – صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، بيروت: المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912، ص 89

3 – بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 547

4 – بالنثيا، المرجع نفسه، 550

1-5 أبو الفضل بن حسداي:

من سَاكِني مَدِينَة سرقطسة، من بَيت شرف في الْيَهُود، عني بالعلوم والمعارف، وأحكم علم لِسَان الْعَرَب، ونال حظا وافرا من صناعَة الشّعْر والبلاغة، وبرع فِي علم الْعدَد والهندسة والفلك وصناعَة الموسيقى، وأتقن علم الْمنطق، وتمرن بطرق الْبَحْث وَالنَّظَر، واشتغل أَيْضا بِالْعلمِ الطبيعي، وكان له عناية بالطب. كَانَ سنة 458هـ/ 1066م في سن الشباب.[1]

ويستشف من فقرة وردت في كتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، أن هذا الأخير التقى به وكان من معارفه، إذ يقول: "ومنهم من فتيان عصرنا أبو الفضل حسداي ... فارقته سنة ثمان وخمسين وهو خارق حجبه، وإن امتد به الأجل واتصلت به العناية فسيوفي على صناعة الهندسة، ويستوجب فنون الحكمة، هذا وهو بعد فتى لم يبلغ الأشد، إلا أن الله يخص بفضله من يشاء وهو على كل شيء قدير."[2]

يقول عنه الفتح بن خاقان: "الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي سابق برز، وأحرز من البلاغة ما أحرز وجرى في ميدانها إلى أبعد أمد، وبنى أغراضها بالصفاح والعمد، فغبر وجوه سوابقها، إذا كتب انتسب إليه السحر أصح انتساب، ونسق المعجزات نسق حساب، ورأى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب، وقد كانت المذمة تقعده عن مراتب أكفائه، وتصرفه تصريف المهيض وتقعده في ذلك الحضيض، حتى ألحقه الله بأقرانه، وأقاله من متجر خسرانه، فتطهر من تلك السمة، واستظهر بعقيدته التي قيدت في ديوان الحق مرتسمة، وبدت محاسنه سافرة القناع كافرة بذلك الدين الذي عدل بها من الإقناع، وقد أثبت له من ذلك مالا يرجى له لحاق، ولا يغشي تمامه محاق."[3]

---

1 – ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص 499

2 – صاعد الاندلسي، طبقات الأمم، ص 90

3 – ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص ص 545– 546

وذكره ابن بسام في الذخيرة بقوله: "كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس، من بيت شرف اليهود، فنجم بأفق سرقسطة في ذرا دولة ابن هود، وكان له في الأدب باع، وبما حمل من أعباء تلك الدولة استقلال واضطلاع، ونشأ أبو الفضل ابنه هذا صفة احتملها، وكناية اختزلها، هضبة علاء، وجذوة ذكاء، وذهبوا أن جارية ذهبت بلبه، وغلبته على قلبه، فجن بها جنونه، وخلع اليها دينه، وعلم بذلك صاحبها فزفها إليه، ووضع زمامها بين يديه، فتجافى عن موضعه من وصلها أضيع ما كان بين دلالها ودلها، أنفة من أن يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها، فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره".[1]

"وهو أحد من عني في هذا الاقليم، بالنظر في أنواع التعاليم، على مراتبها، وتناول الفنون من طرقها، وأحكم علم لسان العرب، وبلغ الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب، فطارت الكتابة باسمه، وخلت بينه وبين حكمه، ولم يكن له بالشعر عناية، فلم يجر منه إلى بعيد غاية"[2]

والظاهر أن أبا الفضل بن حسداي لم يبق على دينه بل اعتنق الإسلام وفارق اليهودية وهو ما يؤكده أيضا حاييم الزعفراني بقوله: "وكان أبو الفضل حسداي السرقسطي قبل أن يعتنق الإسلام صاحب نظر في الموسيقى ومن الذين يضربون آلاتها ويعانون ألحانها"[3]

وعليه يمكننا القول أنّ أبا الفضل حسداي كان متمرسا وبارعا في علوم شتى، ونال قصب السبق في المعارف المختلفة، نهل من كل مورد وينبوع، شهد له بذلك المتقدمون والمتأخرون، وهو ما ساعده لينال الحظوة في إمارة بني هود في سرقسطة زمن ملوك الطوائف.

1-6 ابن النغريلة:

بالإضافة إلى مكانته السياسية والعسكرية، والتي بلغها في ظل حكم بني زيري لغرناطة إبان عصر الطوائف. عرف عن ابن النغريلة علوّ كعبه في المجال العلمي، فقد نهل من النبعين، نبع

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الخامس، مج1، ص ص 457– 458

2 – ابن بسام، المصدر نفسه، ج5، ص 458

3 – الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ج1 ص 188

العلم اليهودي، ونبع العلم العربي الإسلامي، لذلك قلدوه مرتبة الناغيد، وهي مرتبة لها من الشرف والتقدم عند اليهود ما لها، لا ينالها إلا قليلون من ذوي العلم والمعرفة والدراية.

وحسب ما أفاد به جمهور المؤرخين، فإنه وإن كان الفضل يرجع لابن النغريلة الأب، فيما وصلت إليه هذه العائلة من الحظوة في غرناطة خاصة، وفي الأندلس عامة، فهذا لم يمنع الابن يوسف من أن يحذو حذو أبيه ويسير على خطاه، سواء في المجال السياسي، أو المجال العلمي، وقد ورث عنه السياسة والوجاهة، كما ورث عنه العلم والأدب.

1-6-1 ابن النغريلة الأب:

يقول عنه حاييم الزعفراني:" كان وزيرا لأميري صنهاجة حبوس وباديس، وقد استطاع هذا الرجل الذي عاش في القرن الحادي عشر ميلادي، أن يجمع بين ولائه التام للأميرين، وتفانيه وإخلاصه في القيام بالمهام والمسؤوليات المدنية والعسكرية، التي أناطاه بها من جهة، وبين إخلاصه لأصوله اليهودية ووفائه لعقيدة أسلافه. كان صموئيل معتزا بيهوديته، يسير على هدى الأنبياء والحكماء، ويجمع بين المعارف اليهودية والأخرى العربية والكتابات التلمودية".[1]

وذكره صاعد الأندلسي ضمن حديثه عن مشاهير العلماء العبرانيين في الأندلس بالقول: "وكان منهم بالأندلس أبو إبراهيم إسماعيل الكاتب المعروف بابن الغزال خادم الأمير باديس بن حبوس الصنهاجي ملك غرناطة وأعمالها ومدبر الدولة، فكان عنده من العلم بشريعة اليهود والمعرفة بالانتصار لها والذب عنها، مالم يكن عند أحد من أهل الأندلس قبله".[2]

ويصف موسى بن عزرة – وهو الأقرب زمنيا إلى ابن النغريلة – كتاباته بالقول: "وأما تآليف مجزوءاته ومطولات كلماته وخطبه ومراسلاته، فقد نظمت حاشيتي الشرق والغرب، وملأت قاصيتي البحر والبر، إلى رؤساء العراق، وعلماء الشام، وأعلام مصر، وصناديد إفريقيا، وأفاضل المغرب

1 – الزعفراني، يهود الاندلس والمغرب، ج1، ص 101

2 – صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 90

وأشراف الأندلس ولقد أصاب في عامتها محاسن القول، وعيون الصواب، وكسا كثيرا من ألفاظها ومعانيها أبهة الملك، وألبسها عزة الجلالة، وألحفها رداء العلم، وحلاها بسيماء البلاغة"[1]

ويسترسل ابن عزرة في مدح ابن النغريلة ووصف فضله العلمي فيقول: "وفي أيامه سمت دولة العلوم بعد خمولها، وأشرقت كواكب المعارف إثر أفولها، بما كان أتاه الله من الهمة التي ناطحت الأفلاك، وزاحمت السماك، في حب العلم وأهاليه، وتعزيز الدين وحامليه، وسوى في ذلك بين القاصي والداني، والسابق والمتواني، ... وأمسكت عن وصف بعض غلاله، وشفوفه في المعاني وكماله، وإن كان غنيا عن جلب برهان، وغير مفتقر إلى دليل وبيان، لوضوحه في نواحي شتى، وانطلاقه على ألسنة قوم لا يأخذها إحصاء."[2]

ويقول عنه ابن حيان وهو المعاصر له: "وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زوى الله عنه من هدايته، من أكمل الرجال علما وحلما وفهما، وذكاء... ناهيك من رجل كتب بالقلمين، واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتبه، وطالع أصوله... ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتّاب الإسلام، فجمع لذلك (السّجيح في علوم الأوائل الرياضية) وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النّجومية، ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كلّ مستول منه على غاية وكان قد حمل ولده يوسف المكنّى بأبي حسين على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية، يعلّمونه ويدارسونه، وأعلقه بصناعة الكتابة."[3]

ويقول عنه ابن عذاري في البيان: "فأمضى باديس وزيرا له وكاتبا وزير أبيه اسماعيل بن نغرالة اليهودي على وزارته وكتابته وسائر أعماله... وكان هذا اليهودي من أهل الأدب والشعر فدام على ذلك الى أن هلك."[4]

1 – شحلان، التراث العبري اليهودي، ص 124

2 – شحلان، المرجع نفسه، ص 124

3 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص 438– 439

4 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 264

ويقول عنه دوزي: والحق أنه كان غزير العلم واسع المعرفة، ملما بالرياضة والمنطق والفلك متقنا لما لا يقل عن سبع لغات، ولقد أدى خدمات جليلة للأدب العبري فقد وضع مقدمة للتلمود وألف اثنين وعشرين كتابا في النحو، كان من أبرزها كتاب (الكنز) كما كان ابن النغريلة شاعرا غير أن أشعاره كانت صعبة الفهم حتى على علماء اليهود، لا يستطيعون إدراك مراميها دون الاستعانة بالشرح ذلك أنها كانت تزخر بالكنايات والأمثال الغريبة والاصطلاحات والتعابير النادرة المقتبسة من الشعراء القدامى.[1]

1-6-2 ابن النغريلة الإبن:

يرى ديورانت أن بداية تدهور يهود الأندلس، كان مع سقوط يوسف بن نغريلة، ذلك أنه كان يخدم الملك بكفاية لا تكاد تقل عن كفاية أبيه، بالرغم من افتقاده لما كما كان يملكه والده إسماعيل من تواضع وكياسة، جعلتا سكان البلاد – ونصفهم من المسلمين الأندلسيين– يرتضون أن يتولى أمورهم يهودي. ومن ذلك أنه جمع السلطة كلها في يده، وتشبه بالملك في لباسه، وسخر من القرآن، وتحدث الناس بأنه لا يؤمن بالله.[2]

ويخبرنا دوزي بأن إسماعيل بن النغريلة، أولى عناية كبيرة في حياته، لتعليم ابنه يوسف كثيرًا من العلوم، حتى صار لديه كل المؤهلات العلمية والتثقيفية. إلا أنه كان يفتقر للين الجانب والتواضع، وكان مستهترًا يحتقر جميع الأديان، حتى اليهودية، وكان يجهر بالغض من الإسلام ويعيب أحكامه، وكان يحرف كثيرًا من آيات القرآن، يضاف إلى ذلك إساءته للعرب والبربر بل ولليهود، وهو الذي جرح كرامة الجميع بخيلائه وترفعه، وزهوه بآرائه اللادينية، وهو ما حمل كثيرًا من جمهرة المسلمين على معاداته.[3]

1 – دوزي، المسلمون في الأندلس، ج3، ص 23

2 – ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص 53

3 – دوزي، ملوك الطوائف، ص 162– 163

ويقول عنه ابن عذاري: "... وترك ابنا له اسمه يوسف لم يعرف ذلة الذمة ولا قذر اليهودية وكان جميل الوجه حاد الذهن فأخذ نفسه بالاجتهاد في الأحوال واستخراج الأموال واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال."[1]

وكانت مكتبة يوسف بن النغريلة من أشهر المكتبات الأندلسية الخاصة.[2] وكان ابن النغريلة شخصا ذكيا، كثير الاطلاع، وشاعرا مجيدا، نظم شعره باللغتين، العربية والعبرية، وخاض بشعره في موضوعات شتى، وكان له الفضل في تطعيم الشعر العبري بفنون جديدة، أخذها عن الأدب العربي، كالشعر القصصي والخمريات والغزل، ووصف المعارك ووصف الطبيعة والرثاء، وتعتبر خمريات ابن النغريلة من أحسن ما كتب في الشعر العبري. ومنها هذه المقتطفات:

خصصوا نصف النهار لله ونصفه
لأعمالكم، أما الليل فاجعلوه للخمر
إن من حظكم التعس أيها البلهـاء
أن خلا القبر من نديم وشعر وخمر[3]

وزعموا أن من شعره في رثاء أبيه:

أقتيلا بسنجـل ليس تخشـــــى ... حشر جسم وقد سمعت النصيحا
غودر الجسم في التراب طريحا ... وغـــدا الروح في البسيطة ريحا
أيهـا الغـــــادرون هـــلا وفيتم ... وفديتم شبـــــه الذبيـــح الذبيحا
إن يكـــــن قتلكم لــه دون ذنب ... قـــد قتلنا من قبل ذاك المسيحا
ونبيا مـــــن هاشـــــم قد سممنا ... خـــــر من أكلــة الذراع طريحا[4]

1 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 264
2 – عنان، دولة الاسلام في الاندلس، مج1، ص 507
3 – عبد المجيد محمد بحر، اليهود في الاندلس، ص 45
4 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 115.

ويستبعد أن تكون هذه الأبيات ليوسف بن النغريلة، ذلك أنه وحسب أكثر أقوال المؤرخين، أن يوسف هو من ثارت به صنهاجة، وقد قتل في تلك المذبحة العظيمة، ولم يقل أحد أنه فر من غرناطة إلى إفريقية بعد موت أبيه، بل على العكس فلقد استوزه باديس واستخدمه سنوات عديدة، وربما يكون ابن سعيد قد انفرد بهذه الرواية وهي رواية شاذة.

من خلال ما تقدم ذكره يبدو أن علماء اليهود الذين ينتمون إلى عصر الطوائف تأثروا كثيرا بالفكر العربي وباللغة العربية، وربما يكون هذا التأثر هو السبب في إعادة إحياء اللغة العبرية التي كانت شبه ميتة، وقد كان لسياسة التسامح التي انتهجها الحكام المسلمون دور بارز في ظهور كثير من النخب العلمية والفكرية اليهودية الأندلسية.

2- المناظرات والجدل الفكري:

2- 1 الجدل الفكري بين اليهود والمسلمين (ابن النغريلة وابن حزم أنموذجا):

لم تكن أحوال يهود الأندلس في عصر إمارات الطوائف لتختلف عموما عن أحوال اليهود في بقية أصقاع العالم الإسلامي، لولا بروز عاملين استجدا في القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي واستمرا بعده، جعلا للحالة الأندلسية خصوصية وفرادة، وتمثل هذان العاملان في تحول الأندلس في هذه الحقبة من التاريخ إلى مركز ديني وثقافي يهودي هام، بحيث صارت قبلة العلماء اليهود يأتونها من كل أنحاء المشرق والمغرب. ثم ارتقاء اللغة العبرية من لغة ميتة ومحدودة الاستعمال، في الطقوس والنصوص الدينية إلى لغة حية لها استعمالاتها الأدبية في النثر والشعر، وفي شتى مناحي المعرفة، مستفيدة من حيوية العربية شقيقتها اللغوية.[1]

ولقد ساعد اليهود تمكنهم من اللغة العربية، دخول الجدال المثير بينهم وبين المسلمين في الأندلس، ومن خلال هذا الصراع، برز كبار المتخاصمين والمتحاورين في القضايا الدينية، وأبرز هذه الخصومات تلك المناظرات، التي دارت بين ابن حزم وابن النغريلة وزير غرناطة. فمن جانب المسلمين كان ابن حزم الذي بلغت شهرته الآفاق في هذا الميدان، ويقابله من اليهود أبرز علمائهم وهو ابن النغريلة الذي جاهر في الطعن على ملة الإسلام. ولقد كان الحوار بينهما عنيفا بلغ بابن حزم أن يفرد رسالة خصصها للرد على التهم والتناقضات، التي حاول ابن النغريلة أن يلصقها بالقرآن الكريم.[2]

وبدأت المجادلة بين ابن حزم الأندلسي وابن نغريلة، عندما وقعت في يد ابن حزم نسخة من رسالة لابن النغريلة يرد فيها على كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، ذلك الكتاب الذي

1 – المقراني عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، الولايات المتحدة الأمريكية فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، 2008، ص 44.

2 – ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، 163

يناقش فيه ابن حزم ما اشتملت عليه التوراة التي بين أيدي اليهود، من تناقض وتحريف وتبديل، حيث أفرد لذلك فصلا خاصا سماه: الفصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود (توراة) .[1]

ومن هذه المناقضات والتي جمعته بابن النغريلة يقول ابن حزم: " فنسبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج أخته وقد وقفت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم وهو إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالي فقال لي: إن نص اللفظة في التوراة أخت وهي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة فقلت: يمنع من صرف هذه اللفظة إلى القريبة ها هنا قوله: لكن ليست من أمي وإنما هي بنت أبي، فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب وأقل ما في هذا إثبات النسخ الذي تفرون منه، فخلط ولم يأت بشيء"[2] ومن هنا وقعت الحجة على ابن النغريلة الذي أفحمه ابن حزم بحسن بيانه وقوة حجته.

ويخبرنا ابن حزم في موضع آخر، أنه تجادل مع ابن النغريلة في سنة 404هـ/ 1014م، حول زعمهم أنه لا ينقطع من نسل يهودا قائد. يقصدون دوام واستمرار ملك يهودا فيقول: " وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم، وهو أشموال بن يوسف اللاوي، الكاتب المعروف بابن النغزال، في سنة أربع وأربعمائة فقال لي: لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داوود، وهم من بني يهوذا، وهي قيادة وملك ورياسة فقلت: هذا خطأ. لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم، وإنما هي تسمية لا حقيقة لها، ولا له قيادة ولا بيده مخصرة."[3]

1 – الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف، ص 138

2 – ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، ص 225

3 – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 245

2-2 التعريف بابن حزم:

ابن حزم، علم من أعلام الإسلام، من أصل فارسي على أكثر أقوال العلماء والمؤرخين، من بيت جاه وسؤدد، ولد بقرطبة زمن الدولة العامرية، عاصر الفتنة القرطبية وحقبة من عصر الطوائف، وكان شاهدا على مجريات الأحداث في ذلك الزمن البغيض، المتسم بالضعف والتناحر والتنافس الغير أخلاقي، بين أبناء الملة الواحدة. توفي في منتصف القرن الخامس هجري وترك خلفه العديد من الكتب في شتى ضروب العلم؛ في التاريخ والأدب والحديث، والفقه والأنساب وغيرها، حتى عُدَّ من أكثر علماء المسلمين تأليفا بعد الطبري، ولا يكاد يخلو كتاب بعده من الاعتماد على أقواله وآرائه، وسآتي على ذكر أقوال نخبة من العلماء والمؤرخين حول شخصية الامام ابن حزم رحمه الله.

يقول عنه شمس الدين الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام): "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف... الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي... ولد أبو محمد بقرطبة سنة 384هـ/ 994م، وكان إليه المنتهى في الذكاء والحفظ وكثرة العلم، كان شافعي المذهب ثم انتقل إلى نفي القياس والقول بالظاهر، وكان متفننا في علوم جمة، عاملا بعلمه، زاهدا بالرئاسة التي كانت لأبيه... له كتاب (الإحكام لأصول الأحكام) في غاية التقصي، وكتاب (الفصل في الملل والنحل)، وكتاب (إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل) وكتاب (المجلى في الفقه) وكتاب (المحلى في شرح المجلى) وله كتاب (التقريب لحد المنطق والمدخل إليه) بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية."[1]

ويقول عنه في كتابه (سير أعلام النبلاء): "الإمام الأوحد البحر ذو الفنون والمعارف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي، مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان الأموي،

1 – الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30، ص ص 403– 406.

الحافظ المتكلم الأديب الوزير الظاهري صاحب التصانيف... وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، المعروف بالداخل، ولد أبو محمد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة."[1]

أما ابن كثير فيقول عنه في البداية والنهاية: "هو الإمام الحافظ العلامة، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، أصل جده من فارس... وكانت بلدهم قرطبة، فولد ابن حزم هذا بها في سلخ رمضان، سنة 384هـ/ أكتوبر 994م، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المشهورة، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان أديبا طبيبا شاعرا فصيحا، له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزارة ورياسة، وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه، فأورثه ذلك حقدا في قلوب أهل زمانه... كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة وقد جاوز التسعين."[2]

ويقول عنه ابن حيان: " كان رحمه الله حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعليم القديمة من المنطق والفلسفة وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجرأته في التسور على الفنون، لا سيما المنطق فإنهم زعموا أنه زل هناك، وضل في سلوك تلك المسائل، وخالف أرسطو طاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه، ومال أولا إلى النظر على رأي الشافعي، وناضل عن مذهبه حتى وسم به فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء، وعيب بالشذوذ، ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر، فنقحه وجادل عنه، وثبت عليه إلى أن مات."[3]

1 – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص ص 184– 185

2 – ابن كثير أبو الفدا اسماعيل، البداية والنهاية، ج12، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988، ص 113

3 – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص 200.

وجاء في شذرات الذهب " ابن حزم هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد الأئمة الإسلام صاحب (المحلّى)، و(جمهرة أنساب العرب) وغيرهما من المصنفات الكثيرة النافعة، ولد بقرطبة من بلاد الأندلس في شهر رمضان سنة 384هـ، ونشأ في نعمة سابغة، وجاه عريض، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فقيها، حافظا، يستنبط الأحكام من الكتاب والسّنّة، بعيدا عن المصانعة، وكان إليه المنتهى في الذكاء، والعربية، والآداب والمنطق والشعر، مع الصدق، والديانة، والحشمة، والسؤدد، والرياسة، والثروة، وكثرة الكتب."[1]

وفي معجم الأدباء هو: "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأندلسي الإمام العلامة، يكنى أبا محمد، مات في سلخ شعبان سنة 456هـ/ أوت 964م... وسكن هو وآباؤه قرطبة ونالوا فيها جاها عريضا، وكان أبوه من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابنه المظفر بعده، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار، ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن."[2]

ويستخلص من النص أعلاه، أن ابن حزم اشتغل بالوزارة للبيت الأموي، فقد كان وزيرا لعبد الرحمان المستظهر، ثم لهشام المعتد بالله وهذا كله زمن الفتنة، ثم انصرف عنها فيما بعد ليتفرغ للعلم والمعرفة.

1 – أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق– بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1986، ص 37.

2 – الحموي ياقوت، معجم الأدباء، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ص 1651.

ثم يستطرد صاحب المعجم، فيخبرنا أن ابن حزم عني بعلم المنطق، وأنه أوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة، حتى نال منها حظا وافرا لم ينله أحد قطّ بالأندلس قبله، وقد صنّف المصنفات الكثيرة وفق مذهبه الظاهري، وأن مبلغ مؤلفاته نحو أربعمائة مجلد تشتمل على ما يقارب الثمانين ألف ورقة وهذا شيء لم يسبقه إليه أحد ممن كان في دولة الإسلام قبله، إلا الطبري، ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة، والشعر وصناعة الخطابة.[1]

2-3 شخصية ومكانة ابن حزم العلمية:

مما تقدم يبدو أن هناك إجماعا حول المكانة العلية، والموضع المرموق الذي بلغه ابن حزم، في المجال العلمي والفكري، فهو بحسب أقوال المؤرخين من أغزر العلماء المسلمين تأليفا وانتاجا، فقد جاوزت كتبه الأربعمائة مؤلف في شتى ضروب العلم؛ من تاريخ وأدب وفقه وحديث، وفلسفة وشعر ونحو وغيرها، حتى شبه بالبحر، على رأي ابن بسام في الذخيرة، إذ يقول في مورد حديثه عنه: "وإذا انتهى بنا القول إلى ذكر أبي محمد بن حزم، فأنا ألمع في هذا الموضع بلمعةٍ من خبره، حتى أدل على عينه بأثره، فإنه كان كالبحر لا تكف غواربه، ولا يروى شاربه."[2]

وقد قال عنه الفتح بن خاقان: "... ما تمنت به الأندلس أن تكون كالعراق، ولا حنت الأنفس معه إلى تلك الآفاق، أقام بوطنه، وما برح عن عطنه، ... نبذ الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت إليه أعبق عرف وريّا، وخلع الوزارة وقد كسته ملاها، وألبسته حلاها، وتجرد للعلم وطلبه وجدّ في اقتناء نخبه، وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة ... وله في الأدب سبق لا ينكر، وبديهة لا يعلم أنه روّى فيها، وقد أثبت من شعره ما يعلم أنه أوحد، وما مثله فيه أحد".[3]

1 – الحموي ياقوت، معجم الأدباء، ج4، 1651

2 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج1، ص 167.

3 – ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص ص 279– 280

وذهب أمير كاسترو، الى أن مقارنة كتب الأخلاقيات مثلا، في إسبانيا النصرانية قبل القرن الخامس عشر ميلادي، بمحاولة ابن حزم الهائلة، تعتبر صبوة ساذجة. فلا شيء في أوربا القرون الوسطى يداني هذه المحاولة بل ينبغي تأخير محاولة القديس أغسطين وآخرين.[1]

ومع ذلك فإنهم يجمعون على انتقاده والتحامل عليه في أمور شتى ومنها أنه كان له جرأة في النقد والتجريح على ما يبدو لذلك قيل فيه: "كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين."[2] كما أنه كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لا يكاد يسلم أحد من لسانه، وهو ما صرف الناس عنه ونفر القلوب منه وجعل علماء المالكية يسعون فيه بالوشاية الى أمراء الطوائف حتى عجلوا بمحنته.

وفي ذلك يقول ابن حيان:" استهدف إلى فقهاء وقته، فتألّبوا على بغضه، وردّ قوله، وأجمعوا على تضليله، وشنّعوا عليه، وحذّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا أعوامهم عن الدنوّ إليه، والأخذ عنه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيّرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به، منقطع أثره بتربة بلده، توفي غير راجع إلى ما أرادوا به يبثّ علمه فيمن ينتابه ببادیته من عامّة المقتبسين منه من أصاغر الطلبة الذين لا يحسّون فيه الملامة بحداثتهم، ويفقّههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف حتى كمل من مصنّفاته في فنون العلم وقر بعير، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية".[3]

وعن مذهبه الذي عرف به، وربما كان سببا في الخصومة بينه، وبينه معاصريه من فقهاء الأندلس، والتي وصلت إلى حد التكالب ضده، والوشاية به وتقريعه من قبل السلطان ومقربيه، فهو المذهب الظاهري، فلا يكاد يذكر اسم ابن حزم مفردا منه أبدا.

1 – كاسترو، حضارة الإسلام في إسبانيا، ص ص 155– 156

2 – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص 169.

3 – ابن الخطيب، الاحاطة، ج4، ص 115– 116.

والمذهب الظاهري هو مذهب يعتمد في أساسه، التمسك بظواهر آيات القرآن والسنة، وتقديمها في التشريع على مراعاة المصالح والمعاني، وفيه مخالفة صريحة لجمهور أهل المذاهب الأربعة، الذين أخذوا بالقياس وغيره، من بقية الأصول السابقة. فهم لم يقطعوا النظر عن روح التشريع، ومراعاة المعاني، ولم يجمدوا على الظواهر، بل نظروا إلى المقاصد. ولا شك أن مذهب أهل القياس أقرب إلى الترقيات العصرية وتطورات الزمان والمكان، والحال بخلاف مذهب الظاهرية، فإنه مخالف لناموس العمران والمكان والاجتماع البشري المبني على النظر للمصالح العامة، متباعد عن اعتبار الحكم التي شرعت الشريعة لأجلها، وحقائق روح التشريع في الأحكام.[1]

ويرى إحسان عباس أن اختيار ابن حزم للمذهب الظاهري، كان في الأساس ثورة على ما يرفضه من سلوك بعض العلماء، الذين يتقربون إلى الحكام، فباختياره ذاك يجعل أولئك الحكام يزهدون في صحبته، فيبتعدون عنه ويبتعد عنهم، مما يمنحه الاستقلالية العلمية والاقتصار على تخريج الطلبة.[2]

وهكذا تكون الظاهرية بحسب زعم عباس، مجرد حجاب اتخذه ابن حزم، للحيلولة بينه وبين تقديم الفتاوى للحكام، والمشاركة في تسويغ أفعالهم. وهذا القول مردود عليه. فأحكام المذهب الظاهري كانت تمس أمورا تتعلق بالعقيدة وبالصفات، والأسماء الحسنى، والتجسيم والتعطيل، وأمور أخرى في غاية الخطورة، وقد عرف عن ابن حزم دفاعه الشديد عن أفكاره التي كان يعتنقها، وهو ما تسبب له في مصائب جمة انتهت به إلى النفي من البلاد، وإحراق كتبه. وهو ما يفند ما ذهب اليه إحسان عباس، بأن الظاهرية كانت مجرد حجاب للانزواء بعيدا عن الحكام، فالأمر كان يتعلق بالعقيدة وليس مجرد رأي في السياسة أو الحرب.

1 – الحجوي محمد بن الحسن بن العربي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، ج2 بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص 30.

2 – ابن حزم، رسائل ابن حزم الاندلسي، ج2، ص 19

2-4 رسالة ابن حزم في الرد على ابن النغريلة اليهودي:

يخبرنا ابن حزم في رسالته الموسومة بـ (الرد على ابن النغريلة اليهودي) عن الأسباب التي عجلت بالتصادم الفكري بينه وبين شيخ اليهود في غرناطة الوزير ابن النغريلة، والخلاف يطول حول ما إذا كان يقصد بهذا الأخير الأب أم الابن، وذهب فصيل من المؤرخين، إلى أن المقصود هو إسماعيل ابن النغريلة وهو الأب، وذهب فصيل آخر الى أنه يوسف وهو الابن.

والراجح عندنا أنه ناظر الأب والابن. فقد أقر هو ذاته، بأنه التقى أشموال بن يوسف اللاوي في سنة 404هـ، وربما كان هذا اللقاء في قرطبة، قبل انتقال هذا الأخير إلى غرناطة والدخول في خدمة بني زيري، ثم بعد ذلك كانت له مناظرات مع ابنه يوسف وزير باديس بن حبوس الزيري، بعدما استفحل أمره وقويت شوكته، وصار هو الآمر الناهي بإمارة غرناطة، وهو المعروف عنه تكبره وتجبره واستخفافه بالأديان، حتى اليهودية دينه ودين آبائه. فيكون ابن حزم ناظر بادئ الأمر ابن النغريلة الأب، حول التوراة وما جاء فيها من أخطاء وما لحقها من تحريف، وناظر في وقت لاحق، ابن النغريلة الابن حول ادعائه بوجود تناقضات في القرآن.

يقول ابن حزم:" ... فألف كتابا – يقصد اليهودي ابن النغريلة– قصد فيه بزعمه الى إبانة تناقض كلام الله عز وجل في القرآن، اغترارا بالله تعالى أولا، ثم بملك ضعفة ثانيا، واستخفافا بأهل الدين بدء، ثم بأهل الرياسة في مجانة عودا، فلما اتصل بي أمر هذا اللعين لم أزل باحثا عن ذلك الكتاب الخسيس لأقوم فيه بما قدرني الله عز وجل عليه من نصر دينه بلساني وفهمي والذب عن ملته ببياني وعلمي، إذ قدمها المشكي إلى الله عز وجل ووجود الأعوان والأنصار على توفية هذا الخسيس الزنديق المستبطن في مذهب الدهرية في باطنه، المتكفن بتابوت اليهودية في ظاهره"[1].

1 – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص 46

ومن هذه الفقرة نستخلص أن الخصومة الفكرية بين ابن حزم وابن النغريلة كانت بسبب أن هذا الأخير ألف كتابا ينتقد فيه القرآن ويصفه بالتناقض، ويرى ابن حزم أن تجرأ اليهودي على فعلته تلك كانت استخفافا بالله وبأهل الدين وبملك غرناطة الذي وصفه بالضعف، وهو ما حرك في ابن حزم حمية الدفاع عن أقدس مقدسات المسلمين وهي القرآن الكريم.

2-5 أمثلة عن اعتراضات ابن النغريلة وردود ابن حزم:

اعترض ابن النغريلة على ما جاء في الآية الكريمة ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ**﴾[1]. حيث أنكر تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن محمد، وأخبر أن كل ذلك من عند الله، قال: ثم قال في آخر الآية: ﴿**مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اَللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾[2] قال ابن النغريلة: فعاد مصوبا لقولهم ومضادا لما قدم في أول الآية.[3]

ورد عليه ابن حزم بالقول:" لو كان هذا الجاهل الوقاح أقل بسطة أو أدنى حظا من التمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الضعيف، والآية المذكورة مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلب وجه لتأليفها، ولكن جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه، وبيان ذلك أن الكفار كانوا يقولون: إن الحسنات من عند الله عز وجل وأن السيئات من عند محمد صلى الله عليه وسلم، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وبين وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها بأن الحسنات السارة من عند الله بفضله على الناس، وأن كل سيئة يصيب الله تعالى بها إنسانا

1 – سورة النساء: الآية 78

2 – سورة النساء: الآية 79

3 – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص 47

في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره في أداء حق الله الذي لا يقوم به"[1]

كما اعترض ابن النغريلة على قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾[2] وتساءل: كيف يكون الماء مباركا وهو يهدم البناء ويهلك الكثير من الحيوان؟ ويرد عليه ابن حزم: "وليت شعري أما درى هذا الجاهل أنه لولا شرب الماء، لم يكن في الأرض حيوان أصلا لا إنسان ولا ما سواه، وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القطر النازل من السماء."[3]

كما اعترض ابن النغريلة على قول الله تعالى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[4] ورأى ابن النغريلة أن دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى منها كان بعد رفع سمك السماء وبعد بنائها وتسويتها وإحكام ليلها ونهارها فيه تعارض مع قول الله تعالى في آية أخرى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5] ذلك أن هذه التسوية للسماء كانت بعد خلق ما في الأرض، وكان رد ابن حزم عليه: أن الله تعالى أخبرنا " أن تسوية السماء جملة واختراعها كان قبل دحو الأرض كما أن دحو الأرض كان قبل أن تقسم السماء على طرائق الكواكب السبع، فلاح أن الآيتين متفقتان يصدق بعضهما."[6]

1 – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص 48

2 – سورة ق: الآية 9

3 – ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، ص 164

4 – سورة النازعات، الآيات من 27 إلى 32

5 – سورة البقرة: الآية 29

6 – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص ص 51– 52

واعترض ابن النغريلة على قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1] إلى منتهى قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[2]، ويرى ابن النغريلة أن الله تعالى خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، فالمجموع ستة أيام، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[3] الى منتهى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[4] ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[5] وهو ما رأى فيه اليهودي تعارضا وتناقضا.

وكان رد ابن حزم عليه: " أن الله تعالى إنما ذكر خلق الجميع من السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فمنهما يومان خلق فيهما الأرض، وأربعة أيام قدر في الأرض أقواتها، وأنه قضى السماوات سبعا في يومين، فاليومان اللذان خلق الله السماوات سبعا هما اليومان الآخران من الأربعة أيام التي قدر الله فيها أقوات الأرض، والتقدير غير الخلق، والخلق هو الاختراع والابتداء وإخراج الشيء من لا شيء، أما التقدير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودات بعد إيجادها."[6]

وهذا غيض من فيض، مما دار بين اليهود والمسلمين، من مناظرات ومجادلات حول مسائل عديدة، تعلقت في جوهرها بالشريعة اليهودية والشريعة الإسلامية، التوراة والقرآن. ولقد تزعم هذا الحوار الديني في إمارة غرناطة الزيرية من جهة اليهود إسماعيل بن النغريلة – ناغيدهم وحبرهم

1 – سورة فصلت: الآية 9

2 – سورة فصلت: الآية 10

3 – سورة فصلت: الآية 11

4 – سورة فصلت: الآية 12

5 – سورة ق: الآية 38

6 – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة، ص 53

الأعظم-، وتولى كبر ذلك بعده، ابنه يوسف بن النغريلة، وتصدى لهم من جانب المسلمين ابن حزم رحمه الله وغيره.

ويبدو أن الحوار الديني، بين المسلمين واليهود في الأندلس، اتسم بطابع السلم الذي هو أساس التعامل الذي يدعو إليه الإسلام، على الرغم من حدة النبرة التي اتخذها السجال أحيانا بين تلك العناصر المختلفة في الدين، فقد كان ابن حزم بأسلوبه الجدلي ميالا إلى الغلظة والتشدد اتجاه مخالفيه، ومهما يكن فقد كشف هذا الحوار عن الدور الذي لعبه علماء المسلمين، في الدفاع عن دينهم ومعتقدهم، ولقد دارت هذه الحوارات والمناظرات باللغة العربية. وهو أمر بالغ الدلالة في مدى تعرب اليهود في الأندلس، ومدى انفتاحهم على الثقافة العربية الإسلامية، وهو ما ينفي كل ألوان التعصب والانعزال بين مكونات المجتمع الاندلسي.[1]

ويبدو أن النفوذ السياسي لليهود في غرناطة، على عهد بني زيري، كان له الأثر البالغ في تلك الجرأة اليهودية، التي تزعمها الوزير اليهودي ابن النغريلة، والتي بلغت حد التطاول على مقدسات المسلمين، ومحاولة التقليل من شأن الشريعة الإسلامية، لولا أن قيض الله لهم من أفشل مسعاهم، وردهم خائبين مدحورين.

3- نهاية النفوذ اليهودي في غرناطة الزيرية:

كانت الثورة ضد اليهود في غرناطة، أشبه بثورة المثقفين في عصرنا هذا، ضد الظلم وطغيان الحاكم، وبرغم أن أسبابا كثيرة اجتمعت وتزاحمت، لتخلق الشرارة التي أحرقت اليهود في غرناطة وعجلت بنهايتهم، وعلى رأسها مؤامرات ابن النغريلة على الدولة، وعلى أولياء نعمته من آل زيري. إلا أن المحرك الحقيقي للثورة، والباعث الصريح لها، كان قصيدة أبي إسحاق الإلبيري التي وجهها إلى باديس بن حبوس، والتي تلقفتها العامة في غرناطة بحماسة شديدة، وجعلتهم يهيجون ويموجون

1 - ولد أن، تاريخ اليهود في الاندلس، ص ص 165 - 166

بدافع الحَميّة على الدين والكرامة والشرف، ويشعلون أتون ثورة مدمرة، أتت على كل ما هو يهودي في غرناطة، وبالتالي فإن صح أن نسمي لهذه الثورة زعيما، فهو أبو إسحاق الإلبيري.

ولم تكن سياسة ابن النغريلة المتغطرسة، والتي تمثلت في تقريب اليهود وتقديمهم، في إمارة إسلامية على أبناء غرناطة المسلمين، وحجبه لباديس، والحلول محله بغير وجه حق، ومؤامراته ودسائسه، السبب الرئيس في بغض أهل غرناطة المسلمين لابن النغريلة، بل ما زاد الطين بلة هو انحرافه الفكري والعقدي، وتطاوله على المقدسات، بحيث لم يسلم حتى القرآن من خبثه ودجله.

وَلقد بلغ بابن النغريلة، أن أقسم أَنه سينظم جَمِيع القرآن فِي أشعارٍ وموشحات، يُغني بهَا فآل أمره إِلى أَن ثار عليه أهل غرناطة، بِغَيْر علم الْأمير وقتلوه، هو وكل من ثقفوه من أهل ملته، وَمن شعره الَّذِي نظم فِيهِ الْقُرْآن قَوْله: نقَشَتْ فِي الخَدِّ سَطْراً ... مِنْ كِتَابِ اللهِ مَوْزُونْ

لـَنْ تَنَالُوا البِــرَّ حَتَّى ... تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّـــونْ".[1]

ولأنه في السياسة دوما هناك موالون، وهناك معارضون، أيا كانت أسباب الموالاة أو المعارضة، ولا يمكن أن تدور رحى هذا الاصطفاف بعيدا عن رواد الثقافة، من علماء وفقهاء وأدباء وشعراء، فلقد عرفت غرناطة على عهد بني زيري من كلا الصنفين، وعلى عكس أبي إسحاق الإلبيري المعارض، كان هناك من يغالون في التقرب من الوزير اليهودي بالمدح والنفاق وحاولوا أن يبرزوه في ثوب الرجل الفذ المتفرد في زمانه، وعلى رأسهم الشاعر المفتل.

3-1 الدور السلبي لشعراء البلاط (المنفتل أنموذجا).

أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة المنفتل، من أعلام شعراء إلبيرة في عصر ملوك الطوائف[2]، وواحد من أصحاب الأقلام، والملكة الأدبية والشعرية، الذين لعبوا بحق أدوارا سلبية في التاريخ

1 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 114

2 – ابن سعيد، المصدر نفسه، ج2، ص 99

الإسلامي، فكانت موالاتهم لذوي السلطان، طلبا للدنيا والاسترزاق، متغافلين بذلك عن قيمة الكلمة التي تخرج من أفواههم، وغالبا ما كانوا سببا في تعاظم خصال الكبر، والتجبر والغطرسة في قلوب الحكام، كأني بهم ينفخون فيها روحا كلما أوشك القلب على التوبة، يزينون لهم سوء أفعالهم ويظهرون لهم الخير شرا، والشر خيرا، فيضيع حق الرعية ويذهب أنين المشتكي أدراج الرياح.

نماذج من مخاطبات المنفتل لابن النغريلة:

"... فكم من حرة سافرة القناع، تندبني موقت الوداع...، يتشبثون بالآكام، تشبث الخصوم بالأحكام ويتعلقون بالمطي، تعلق الأيتام بالوصي، إلى أن أخضلت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر، وجعلت أعوذهن بالمثاني... وأقول: ستنسين هذا الموقف إذا اتصلتن بإسماعيل بن يوسف، فتى كرم خالاً وعما، وشرح من المجد ما كان معمى، قساً فصاحة وكعباً سماحة ولقمان علما، والأحنف حلما، أكرم همة من همام، وأعظم بسطة من بسطام، إن خاطب أوجز وإن غالب أعجز، أو جاد أجاد، أو وعد أعاد، يأمر ويمير، ويأجر ويجير، مأوى السماح والضيف ورحلة الشتاء والصيف، حامي الذمار، بعيد المضمار، لا يظلم نقيراً، ولا يخيب فقيراً، يحافظ على صلاته، حفظه لصلاته، ويحن إلى البذل، حنين الغريب إلى الأهل."[1]

ويلاحظ حجم التزلف البادر من هذا الشاعر الأديب، في حق الوزير اليهودي ابن النغريلة، في معرض نصحه المزعوم، لنسوة على ما يبدو ضاق بهن الحال، للتوجه بشكواهن إلى إسماعيل بن يوسف. فهو بحسب زعمه، في سماحة كعب الأحبار، وعلم لقمان الحكيم، وحلم الأحنف بن قيس، وبأنه مأوى الضيف، ورحلة الشتاء والصيف، التي كانت قريش تكسب رزقها وأقواتها من ورائها، وهذا مما يغري الحكام بالرعية ويبعدهم عن مآسيهم حتى لا يعودوا يسمعون لهم أنينا.

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 762

وقال فيه أيضا: "أيها العلم الفرد الذي جمعت في شخصك من المزايا والسجايا الحميدة ما لم يظفر سائر الناس إلا بجزء يسير منه، أنت يا من أطلقت الجود من محبسه بعد أن كان سجينًا، إنك لأسمى الناس قدرًا وأرفعهم منزلة في الشرق والغرب فإنك كالذهب قيمة وسائر الناس كالنحاس ... إلخ".[1]

وله قصيدة يمتدح فيها الوزير اليهودي يقول فيها:

قـرن الفضائل والفواضـل ... فشـــــأى الأواخر والأوائل

سقطوا برفعـــة فضلـــه ... كالشمس في شرف المناقـــل

هـــذا ابن يوسف الـذي ... ورث الفضائل عـن فواضـل

شرف الزمـــان بمثلـــه ... شـــرف الأسنـــة بالعـوامل

مـــن لـم يلـذ بجناحـه ... لم يأمـــن الـــدهر المخاتل

متقلـــد سيـف العـــلا ... والمركمـــــات لـــه حمائل

قصـرت في وصفي له ... ولـــــو أنني سحبـــان وائـل

ما قلما يرجى الكمـــال ... لمـــن أبـــوه غيـــر كامل

سكـــن الندى في كفه ... سكنـــى الرواجب في الأنامـل

وجـــرى الحيـاء بوجهـه ...جـري الفرنـد على المفاصـــل[2]

وأخرى يقول فيها:

1 – دوزي، ملوك الطوائف، ص 44

2 – شحلان، التراث العبري اليهودي، ص 111

ومن يك موســـى منهم ثم صنوه ... فقل فيهم ما شئت لن تبلغ العشـــــــرا

فكم لهم في الأرض من آية ترى ... وكم لهم في الناس من نعمة تتـــــــرى

أجامع شمل المجــد وهو مشتت ... ومطلق شخص الجود وهو من الأسرى

فضلت كرام الناس شرقــاً ومغرباً ... كما فضل العقيان بالخطر القطـــــرا

ولو فرقوا بين الضلالــة والهدى ... لما قبلـــوا إلا أناملك العشـــــــــرا

ولا استلموا كفيك كالركــن زلفــة ... فيمنـــــاك لليمنـــى ويسراك لليســـرى

وقد فزت بالدنيا ونلت بك المنــى ... وأطمع أن ألقى بك الفوز في الأخــرى

أديــن بديــن السبت جهراً لديكم ... وإن كنت فـــــي قومي أديـــن به سرا

وقد كــان موسى خائفــاً مترقبــاً ... فقيراً وأمنت المخافـــــة والفقـــــــرا

قال ابن بسام: " ... فقبح الله هذا مكسباً، وأبعد من مذهبه مذهباً، تعلق به سببا، فما أدري من أي شؤون هذا المدل بذنبه، المجترئ على ربه، أعجب: ألتفضيل هذا اليهودي المأفون، على الأنبياء والمرسلين، أم خلعه إليه الدنيا والدين – حشره الله تحت لوائه، ولا أدخله الجنة إلا بفضل اعتنائه."[1]

ولا نقول إلا كما قال ابن بسام: قبح الله هذا مكسبا، يجعل المرء يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل. والملاحظ أن المنفتل يضع صاحبه في منزلة فوق منزلة الأنبياء والرسل، كما أنه يصرح بارتداده عن دينه إلى دين اليهودي ويقر ذلك اعتزازا وافتخارا، وأي مكسب هذا الذي يجعل هذا المغتر، يفعل ما يستحق به سخط الخالق ليكسب رضى المخلوق.

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص 765

ولا عجب أن يغتر ابن النغريلة بمثل هذه الصحبة، وبمثل هذا الإطراء وهذا الكذب، فيستأثر بالسلطة له ولأبناء جلدته، ويتطاول على أسياده، حتى كان منه أن قتل ابن أميره إزاحة له عن طريقه، ثم سعى في نفي أخيه ماكسن، وتهجير صناديد صنهاجة وكبرائها إلى الحصون البعيدة.

ولم يتوقف الأمر على المنفتل فقط، بل كان هناك شعراء آخرون تقربوا إلى الوزير اليهودي بالمدح والثناء، ومن هؤلاء ابن الفراء الأخفش بن ميمون، الذي تأدب في قرطبة ثم عاد إلى غرناطة، واعتكف على مدح وزيرها اليهودي، ومن أشعاره في مدح ابن النغريلة:

صابح محياه تلق النجح في الآمال ... وانظر بناديه حسن الشمس في الحمل

مـــا إن يلاقي خليلٌ فيه من خللٍ ... وكلّما حـــال صرف الدهـــر لم يحل[1]

ومن شعره أيضا في الوزير اليهودي:

أهوى الذي تيمني حبه .... وما درى أني أهواه

أكاد أفنى من غرام به .... لا سيما ساعة ألقاه

والله ما تذكرني ساعـة.... ولا وحـــق الله أنساه[2]

3-2 التيار المعارض لابن النغريلة ممثلا بأبي إسحاق الإلبيري:

ذكره ابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة بقوله: "إبراهِيم بن مَسْعُود بْن سَعْد التجِيبِي الزَّاهد من أَهْلَ غرناطة يعرف بالإلبيري ويكنى أَبَا إسحاق ... وَكَان من أَهلَ العلم وَالْعَمَل شَاعِرًا مجودًا وشعره مدون وَكله فِي الحكم والمواعظ والإزهاد ... وَتُوفِّي فِي نحو السِّتين والأربعمائة"[3]

1 – المقري، نفح الطيب، ج3، ص 387

2 – عبد المجيد، اليهود في الاندلس، ص 42

3 – ابن الأبار محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، ج1، تحقيق: عبد السلام الهراس، لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995، ص ص 118– 119

وذكره ابن سعيد الأندلسي في المغرب بقوله: "... من حصن العقاب وكان قد اشتهر في غرناطة اسمه وشاع علمه وارتسم بالصلاح وكان ينكر على ملكها كونه استوزر ابن نغرلة اليهودي وعلى أهل غرناطة انقيادهم له فسعى في نفيه إلى إلبيرة".[1]

وذكره الضبي في بغية الملتمس بقوله: "إبراهيم بن مسعود الإلبيري فقيه فاضل زاهد عارف كثير الشعر في ذم الدنيا مجيد في ذلك."[2]

من خلال هذه التراجم لأبي إسحاق الإلبيري، يتكشف السر في اصطفاف هذا الأخير في جانب المعارضين لابن النغريلة في غرناطة، فلا يجدر بمن اشتهر بالزهد والصلاح والإعراض عن الدنيا، موالاة اليهود ومماقلة أصحاب السلطان.

ويرى إحسان عباس، أن انقطاع أبي إسحاق الإلبيري الزهدي، لم يكن عزلة سالبة الطابع، بمعنى أن زهده وعزلته، لم يمنعانه من مشاركته قومه آلامهم وهموهم، وبرغم ما في قصائده الزهدية من تذكير ووعظ وتخويف من الموت، ونصح بالتخلي عن المال والجاه، إلا أن ذلك لم يقف أبدا في مقابل العنصر الذاتي، والتلوم النفسي، واستشعار الانقسام بين قوة الموت وحب الحياة، في كثير من قصائده. ويمكن القول بأن الإلبيري وصل بشعره الزهدي في الأدب العربي عموما، إلى القمة بما أضفى عليه من حرارة الوجد والانفعال، والإقرار بالضعف الإنساني أمام مغريات الحياة، ومكافحة الشهوة العارمة.[3]

1 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص 132

2 – الضبي أحمد بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1، 1989، ص 274

3 – عباس إحسان، تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، بيروت، دار الثقافة، ط5، 1978، ص 136

ومن أشعاره التي تبين منهجه في الحياة عموما، أبيات نظمها ردا على أحد من الأعيان زاره في مرضه، ولما رأى ضيق مسكنه، قال مخاطبا أبا إسحاق: لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك، فأجابه أبو إسحاق بأبيات كانت آخر شعر قاله:

قالوا ألا تستجيد بيتـا ... تعجب من حسنـــه البيوت
فقلت: ما ذلكم صوابا ... عــشٌّ كثيـر لمـــن يمـوت
لولا شتاء، ولفح قيظٍ ... وخوف لص، وحفظ قـــوت
ونسوةٌ يبتغين ستـــراً ... بنيت بنيـــان عنكبـــــوت.[1]

قصيدة الإلبيري التي أشعلت الثورة في غرناطة:

وبسبب ما اقترفت يدا اليهودي من ذنوب ومن معاصي، وكنتيجة لاستخفافه بعقيدة المسلمين الذين رُبِّيَ في حجرهم، حتى نال من القرآن، ومن كل مقدسات المسلمين، لم يجد الإلبيري بُدًا من تحريض المسلمين على الثورة على اليهودي وأعوانه والفتك بهم أينما ثقفوا، كأن قصيدته تلك حملت بين طياتها فتوى تبيح، بل توجب التخلص منهم جميعا:

أَلا قل لصنهاجـة أَجْمَعِيـــنَ ... بـدور النـدي وَأسـد العريـن
لقـــد زل سيدكـم زلَّـــــة ... تقـــــر بهَـا أعين الشامتيـن
تخيـــر كَاتبه كَافِـــــــرًا ... وَلـوَ شَـــاءَ كَانَ من الْمُسلميـن
فعـــز الْيَهُود بِـهِ وانتخـــوا ... وتـــاهوا وَكَانُوا مـن الأرذليـن
أباديس أَنْت امْـرُؤ حـــاذق ... تصيب بظنك نفـــس الْيَقِيـــن
فَكيف اختفـت عَنـك أعيانهم ... وَفِي الأَرْض تضرب مِنْهَا الْقُرُون
وَكَيف تحـب فـــراخ الزِّنَـا ... وهم بغضـوك إِلَـــى الْعَالميـن
تَأمـــل بِعَيْنَيْك أقطـــارها ... تجدهـــم كلابـا بهَا خَاسِئِينَ

1 – المقري، نفح الطيب، ج3، ص 491

فبـــادر إِلَـــى ذبحه قربَـــة ... وضح بِـــــهِ فَهُوَ كَبْش سميـن

وَلَا ترفع الضغط عَن رهطـــه ... فقـــد كنزوا كـــل علق ثميـــن

وَفـــرق عراهـــم وَخذ مَالهم ... فانت أَحَـــــق بِمَا يجمعُـــونَ

وَلَا تحسبـــن قَتلهـــمْ غـــدرة ... بل الْغـــدر فِـــي تَركهم يعبثون

وَقـــد نكثـــوا عهدنـــا عِنْدهم ... فَكيف تـــلام علـــى النَّاكِثِيـــنَ[1]

ومن خلال هذه الأبيات المقتطعة من قصيدة أبي إسحاق الإلبيري، نستطيع أن ندرك مدى السخط الذي كان يكنه مسلمو غرناطة لليهود، وذلك بسبب ما بلغوه من جاه وسؤدد لم يكن أبدا من حقهم لولا تهاون وضعف السلطة الزيرية، والإلبيري يعتبر شاهد عيان، على مجريات الأحداث في غرناطة، باعتباره واحدا من رعاياها، بل أكثر من ذلك، فلقد عمل كاتبا لدى قاضي غرناطة في عهد إمارة باديس بن حبوس.

ولم يكن أبو إسحاق الإلبيري المعارض الوحيد، لما آلت إليه الأمور في غرناطة، من تنفذ لليهود، وبسط سيطرتهم على مفاصل الدولة. فلقد كان هناك آخرون لم يرضوا بالذل والمهانة، وجاهروا برفضهم لتلك السياسة، التي مضى عليها أبناء زيري في الإمارة. ومن هؤلاء نذكر الشاعر "السميسر" الذي هجا حكام غرناطة قبل رحيله بقوله:

رأيت آدم في نومي فقلت لـــــه: ... أبا البرية إنّ الناس قد حكموا

أن البرابر نسلٌ منك، قال: إذن ... حواء طالقةٌ إن كان ما زعموا.[2]

والسميسر شاعر من إلبيرة، معروف بالهجاء، وبيته في غرناطة، أدرك الدولة العامرية وانقراضها واسمه الكامل خلف بن فرج الإلبيري، كانت وفاته حوالي 480هـ/ 1087م.[3]

1 – الإلبيري، ديوان الإلبيري، ص ص 89– 92.

2 – قجة محمد حسن، محطات أندلسية، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1985، ص 156

3 – الزركلي خير الدين، الأعلام، ج2، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص 311.

يقول إحسان عباس، أن هذين البيتين نظمهما "السميسر" في هجاء بلقين، صاحب غرناطة، فأباح بلقين دمه، فهرب لاحقا ببلد ابن صمادح، وزعم السميسر، أن بلقين دس على لسانه كلاما، في هجاء ابن صمادح، ليبلغه له فيقتل الشاعر. وعندها سأله ابن صمادح عن هجائه بلقين فقال: يبني على نفسه سفاها..... كأنه دودة حـــــــريـــــر.[1]

والقول الصحيح أن البيتين أعلاه قيلا في ابن بلقين وليس بلقين، فبلقين مات مسموما، ولم يتولّ الإمارة، ولم يكن صاحب غرناطة يوما، وإنما الذي تولى بعد باديس، حفيده عبد الله بن بلقين، وهذا القول موافق لما أورده المقّري في كتابه نفح الطيب، ملخصا جواب السميسر على ابن صمادح، بعد أن اتهمه هذا الأخير بأنه هجاه بالبيتين المذكورين أعلاه.

يقول السميسر: "... فنذر ابن بلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت هارباً إلى بلادك، فوضع علي من أشاع ما بلغك عني، لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك، ويكون الإثم عليك، فقال: وما قلت فيه خاصة، مضافاً إلى ما قلته في عامة قومه فقال: لما رأيته مشغوفاً بتشييد قلعته التي فيها بغرناطة قلت: يبني على نفسه سفاهاً ..... كأنّه دودة الحرير"[2]

وهناك شاعر آخر، جاهر برفضه لما كان يحدث في غرناطة، من تغوّل لليهود، خاصة في جانب تسلطهم على الرعية في جمع الضرائب، وهو ابن الجد ومن شعره:

تحكمت اليهــود على الفروج... وتاهت بالبغـــال والســـــروج

وقامت دولـــة الأنذال فينـــا... وصـــــار الحكم فينا للعلـــوج

فقل للأعـــــور الدجال هذا .... زمانك إن عزمت على الخروج[3]

1 – عباس، تاريخ الادب الاندلسي، ص 141

2 – المقري، نفح الطيب، ج3، ص 412

3 – عباس، تاريخ الادب الاندلسي، ص 146

قال ابن بسام في أبي الحسين بن الجد: "كان من أسنى نجوم سعد عائلته، وأسمى هضاب مجدهم، ولولا ما خلا به من معاقرة العقار– يقصد الخمر– وتمسك بأسبابه من قضاء الأوطار لملأ ذكره البلاد، وطبق نظمه ونثره الهضاب والوهاد."[1]

والأكيد أن هؤلاء الشعراء وغيرهم، ممن كانوا يعبرون عن استيائهم من الأوضاع السياسية والاجتماعية، كان لهم دور كبير في أحداث غرناطة، فقد مثلوا صوت المعارضة الحقيقية في تلك الحقبة من الزمن، ولقد كان للشعر في العصر الوسيط مكانته الجليلة بين الناس، وكان أحسن وسيلة يمكن استخدامها في مواقف كهذه.

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الثاني، مج2، ص 556

3-3 مذبحة اليهود في غرناطة:

حين أدرك ابن النغريلة أن أيام عزّه إلى زوال، وشهد طغيان نساء القصر، كل واحدة منهن تريد العرش لابنها الذي تربيه، وأحس موقنا تغيّر سيده باديس اتجاهه، وما كان من مزاحمة الناية له. لم يجد بُدّا من مشاورة أصحابه، فأشاروا عليه بالخروج عن غرناطة، والتوجه إلى إحدى الإمارات الأخرى بماله وولده، لكنه كان أكثر حكمة وأوسع نظرا، حين أدرك أن ذلك غير ممكن، فلو فعل لأدركته مطالبة باديس، في أي مكان حل به، وعندها لا يجد أصحاب الأرض بدا من تسليمه إلى صاحبه. فاهتدى إلى مراسلة ابن صمادح صاحب المرية، يغريه باحتلال غرناطة، مقابل أن يحفظ له جهوده ومعاونته، ويبقيه مقدما كما كان في دولة بني زيري.[1]

وبسبب استفزازات ابن النغريلة، المتكررة لأهل غرناطة، كان لا بد من ثورة عارمة تأكل الأخضر واليابس، وتأتي على اليهود كما تأتي النار على الهشيم، وفعلا كانت مذبحة عظيمة، راح ضحيتها الآلاف منهم. أما الوزير اليهودي فقد اختفى في بيت فحم وسوّد وجهه يريد التنكر، لكن الثوار وجدوه وقتلوه، صلبا على باب المدينة.[2]

يذكر ابن عذاري واقعة مذبحة اليهود في غرناطة بقوله: "وصارت لليهود صولة على المسلمين في دولته إلى أن حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجته لضرب رقبته، وقتل جملة عظيمة من أهل ملته، وذلك أن هذا اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة، فدسّ إلى ابن صمادح صاحب المرية في السر أن يدخله غرناطة، ويكون اليهودي في المرية. فنمي هذا التدبير إلى صنهاجة، فدخلوا إلى دار اليهودي مع جملة من العامة، فاختفى في بيت فحم وسوّد وجهه وتنكر، فعرفوه

1 – ابن بلقين، التبيان، ص 50

2 – شاكي عبد العزيز: "**حضور أهل الذمة في المجتمع الأندلسي: عامل استقرار أم باعث فوضى 459- 522هـ/ 1066-1128م**"، **مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية**، جامعة المسيلة، العدد 12، جوان 2017، ص 259

وقتلوه وصلبوه على باب المدينة، وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة، ونهبت دورهم وذلك سنة 459هـ/ 1066م."[1]

وفي رواية ابن الخطيب: "... وملئت غيظا عليه صدورهم، وذاعت قصيدة الزاهد أبي إسحاق الإلبيري، في الإغراء بهم، واتفق أن أغارت على غرناطة بعوث صمادحية، تقول إنها باستدعائه، ليصير الأمر الصّنهاجيّ إلى مجهزها الأمير بمدينة المرية، وباديس في هذه الحال منغمس في بطالته، عاكف على شرابه، ونمي هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة، فراحوا إلى دار اليهودي مع العامّة، فدخلوا عليه، فاختفى زعموا في بيت فحم، وسوّد وجهه، يروم التنكير فقتلوه لمّا عرفوه، وصلبوه على باب مدينة غرناطة، وقتل من اليهود في يومه، مقتلة عظيمة، ونهبت دورهم، وذلك سنة تسع وخمسين وأربعمائة".[2]

وفي رواية صاحب تاريخ الأندلس: "... فبقي باديس ملكا إلى أن توفي، وهو الذي قتل اليهود بغرناطة، قتل منهم في يوم واحد اثني عشر ألفا، وسبب قتله إياهم أنه كان له منهم رجل يخدمه، فغلب على أمره، فعز اليهود في غرناطة وجهاتها وكثروا بها، وتولوا الأعمال والإشراف والأحكام والخراج، فضاق الناس من ذلك ضرعا، وضجوا الى الله بالدعاء في دفع ما نزل بهم من ارتفاع اليهود عليهم، فصنع الشيخ الفقيه أبو إسحاق الإلبيري قصيدة يوبخ فيها باديس بن حبوس على تقريبه لليهود... فرفعت له القصيدة وهو في الحمام فأمر بقتل الوزير اليهودي وعماله اليهود فسمعت العامة بذلك فأحلوا السيف على جميعهم".[3]

وفي رواية ابن بسام في الذخيرة: " فلما كان اليوم الذي أراد الله فيه إزالة نعمته عنه وإراحة عباده وبلاده منه، نذر به أولئك المغاربة، فأعلنوا بالصياح، وثاروا إلى السلاح، وأتى

1 – ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص ص 265– 266

2 – ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص 440.

3 – مجهول، تاريخ الاندلس، ص ص 256– 257

الصريخ بقية الجند وعامة أهل البلد، ونادى مناديهم: غدر اليهودي وخان، وطاح المظفر، فدخلوا القصر من كل باب وهتكوا حرمة اليهودي دون حجاب، فقتل في بعض خزائن الفحم، وسمع باديس الوجبة فخرج يقول: إسماعيل لا يحفل بسواه، ولا يرتاع لشيء يسمعه من ذلك ولا يراه، وقد استطال الناس على يهود، وقتل منهم يومئذ نيف على أربعة آلاف."[1]

وبعد وقوع المذبحة، هاجرت العديد من العائلات اليهودية من غرناطة، حيث كانت تتواجد نخبة المجتمع اليهودي، نحو مملكتي قشتالة وأراغون، ومن هذه العائلات؛ عائلة ابن عزرا والتي ينتمي إليها السياسي الكبير يهودا بن عزرة، الذي أصبح مساعدا لألفونسو السابع وحاكم المنطقة الحدودية لقلعة رباح.[2]

والملاحظ أن المؤرخين، اتفقوا على وقوع المذبحة في حق اليهود، ولو أنهم اختلفوا حول تفاصيلها؛ ففي حين رجح عدد منهم، أن عدد القتلى لم يتعد أربعة آلاف؛ ذهب صاحب كتاب تاريخ الأندلس إلى القول بأن العدد بلغ اثني عشر ألفا. كما أنه أتى برواية شاذة؛ ربما يكون انفرد بها؛ مفادها أن باديس هو من أمر بقتل اليهود، في حين يخبرنا ابن بسام أن باديس انزعج من الحادثة، وسخط على من تسبب بها.

كما أنهم يكادون يتفقون حول الأسباب التي اجتمعت، لتخط ملحمة الثورة ضد طغيان اليهود، وتجبرهم في الإمارة الزيرية المسلمة، والتي تركزت أساسا، حول الأفعال الشنيعة التي قام بها ابن النغريلة منذ توليه الوزارة، والتي كان آخرها التآمر مع ابن صمادح. كما أنهم لا يخفون الأثر البليغ لقصيدة الإلبيري في تجييش النفوس ضد اليهود ووزيرهم.

1 – ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مج2، ص ص 768– 769.

2 – Revue des études Juives : Historia judaica, Volume 144, Partie 4, mouton édition, paris, p 13.

ولقد انتقد دوزي؛ الروايات العربية القائلة بأن ابن النغريلة اتفق مع ابن صمادح، ويرى أنها محض مؤامرة فقط، ويرى أن البربر إنما فعلوا فعلتهم؛ طمعا في الاستيلاء على أموال ابن النغريلة لا أكثر.

يقول دوزي: "وأذاع زعماء المؤامرة أن اليهودي انضوى تحت لواء المعتصم أمير المرية... وقد يتساءل بعض الناس ممن كانوا أقل تصديقا: ما الفائدة التي يجنيها يوسف من خيانته ملكًا وثق به، وسلم إليه قياده، وجعله صاحب السلطان التام دونه في المملكة؟ لقد أشاعوا حينئذٍ أن اليهودي يريد أن يمكن المعتصم من الاستيلاء على المملكة، ثم يعود هو فيقتل باديس ويتبوأ العرش مكانه، ولسنا في حاجة لأن نبين أن كل هذه الإشاعات من قبيل الأراجيف والوشايات المحضة، وإذا نظرنا إلى الواقع رأينا أن البربر كانوا يودون خلق الأسباب التي تدعو إلى إبعاد اليهودي عن الحكم والاستيلاء على ما يملكه اليهود من أموال وثروات يحسدونهم عليها."[1]

والحقيقة أن ابن النغريلة، وبرغم كل الدعم الذي قدمه لأهل طائفته، في مشرق الأرض ومغربها، واعتنائه بشباب اليهود وتقديم يد العون لهم، إلا أنه كان منبوذا حتى من بني جلدته، فقد كان إسماعيل في نظرهم متسلطا، يتقرب إلى سيده بإرهاقهم بما لا يطيقون من ضرائب، وقد بلغ الأمر أن كتبوا ضده عدة تقارير، يكشفون فيها تجاوزاته وطرقه غير المشروعة، لتحقيق الثراء الفاحش. ما أدى إلى معاقبته وسجنه، قبل أن يعود إلى مزاولة عمله في قصر غرناطة مرة أخرى.[2] وقد حذا ابنه يوسف حذوه في تقديم مصلحته على غيرها، واتخاذه كل الطرق المشروعة وغير المشروعة، لتحقيق مراده وبغيته.

ويجدر القول أنه، وبرغم كل أولئك الضحايا، الذين قضوا في المذبحة، إلا أن وجود اليهود لم ينته كليا من الإمارة الزيرية ، بعد أحداث سنة 459هـ/1066م، ولقد تحدثت المصادر بما

1 – دوزي، ملوك الطوائف، ص ص 166– 167

2 – الخالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس، ص 199

يثبت وجودهم في الإمارة، في عهد آخر أمرائها، عبد الله بن بلقين، وقد همّ يهود أليسانه بالقيام بثورة ضده، لكنه استطاع أن يقضي عليها في مهدها بحنكته وحكمته.[1]

كما يؤكد على وجود اليهود في غرناطة ما تناقلته المصادر التاريخية، عن بقاء بعض أعلامهم، المنتمين لنخبة المجتمع اليهودي؛ ومنهم أبو هارون بن يعقوب بن عزرة، والذي لم يغادر غرناطة إلا في سنة 1095م، وكانت أسرته قد سبقته إلى الهجرة بسنوات قليلة، وذلك عند دخول المرابطين إلى الأندلس.[2]

ومهما يكن فإن النفوذ الذي اكتسبه اليهود في غرناطة الزيرية، كنتيجة حتمية لاستوزار ابن النغريلة، كان له نتائج وخيمة على الإمارة، وعلى رعاياها المسلمين، من بربر وعرب، وهو ما يؤكد؛ أن ما فعله أبناء زيري حين وضعوا ثقتهم بذلك اليهودي، كان خطأ فادحا. وقد قابل صنيعهم بالجحود والنكران، ولم يتوان في التآمر عليهم والسعي لإيقاع الضرر بهم وبالدولة ككل، لولا أن شاءت الأقدار عكس ما أراد، وكانت تلك الثورة التي أطاحت به وبطائفته، وقضت على وجودهم واستأصلت شأفتهم من غرناطة.

1 – كواتي، اليهود في المغرب الاسلامي، ص 212

2 – شحلان، التراث العبري اليهودي، ص 61

خاتمة

تعتبر دراسة تاريخ اليهود في الدولة الإسلامية، في العصر الوسيط بصفة عامة، من الدراسات المهمة، لذلك نأمل من خلال هذه الدراسة، التي اختصت بالبحث في شؤون اليهود وأوضاعهم، في واحدة من إمارات عصر الطوائف في الأندلس، أن نكون قد وفقنا نوعا ما في تسليط الضوء، على بعض من جوانب حياة هذه الطائفة، في تلك الإمارة الزيرية الغرناطية، التي سطع نجمها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، وقد خلصنا إلى ما يلي:

يمكننا القول أن أهل الذمة في الأندلس، ومنهم اليهود، عاشوا في كنف المسلمين في جو من التسامح والتعايش، ولم يفرق بينهم وبين الرعايا المسلمين إلا في حالات نادرة. وكانوا يعاملون وفق أحكام عقد الذمة التي كان تفرض على الدولة حمايتهم، في مقابل الالتزام بدفع الجزية التي حددتها الشريعة الإسلامية.

ولقد تواجد اليهود في أغلب حواضر الأندلس وقراها، وكانوا غالبا ما يقيمون في حارات خاصة بهم تعرف باسمهم، وكانوا يمارسون شعائرهم الدينية ويحتفلون بأعيادهم بكل حرية ودون أدنى مضايقة. وكان بعض المسلمين يشاركونهم أفراحهم ومناسباتهم.

ومارس اليهود التجارة كنشاط أساسي، كان يدر عليهم الكثير من الأموال، وتاجروا في كثير من السلع لدرجة أنهم احتكروا بعضها، وكانت تجارة الرقيق والعبيد الخصيان حكرا عليهم، كما انفرد يهود الأندلس عن يهود العالم، بممارسة الأنشطة الزراعية، بعدما امتلكوا الأراضي الشاسعة التي أقدموا على شرائها، بفضل الأموال الطائلة التي كانوا قد اكتسبوها من التجارة، ولقد قاموا بامتهان كثير من الحرف؛ وأغلبها حرف وضيعة، على الأقل في نظر أندلسيي ذلك العصر، ومنها صياغة الذهب.

كما عرف عصر الطوائف، العديد من علماء اليهود، الذين تأثروا كثيرا بالفكر العربي، وباللغة العربية، وربما كان هذا التأثر هو السبب في إعادة إحياء اللغة العبرية؛ التي كانت شبه

ميتة، وقد كان لسياسة التسامح التي انتهجها الحكام المسلمون، دور بارز في ظهور كثير من النخب العلمية، والفكرية اليهودية الأندلسية.

ولقد بلغت السلطة الإسلامية في الأندلس، من التسامح مع الطوائف الأخرى حدا لم يشهد له مثيل من قبل، وبلغ الأمر أن استعمل الخلفاء والأمراء، كثيرا من أهل الذمة –خاصة اليهود منهم– في وظائف مرموقة وحساسة في الدولة؛ جباة للضرائب، ومستشارين ومبعوثين دبلوماسين، غير أن الأمر زاد عن حده المعقول، في إمارة غرناطة الزيرية، حين استوزر بنو زيري؛ اليهودي ابن النغريلة، وقد كان هذا الأخير أول يهودي في التاريخ، يبلغ هذا المنصب في دولة إسلامية.

عمل ابن النغريلة في التجارة في دكان عطارة، قبل أن ترفعه أقداره إلى العمل في القصر الزيري، جابيا للمال في زمرة عمال الوزير ابن العريف، ويبدو أن ابن النغريلة ركز كل جهده، على كسب ثقة الوزير، ومن ورائه الأمير الزيري حبوس، فعمل على أن يظهر أمامهم بمظهر الحريص على مصالح الدولة، ولو على حساب أبناء جلدته من اليهود، الذين كان يرهقهم بالضرائب وأموال الجزية.

كل ذلك وفق تدبير وخطة محكمة، حاكها بينه وبين نفسه، لبلوغ الحظوة عند سيده، ولبلوغ غاية كانت تبدو في أول وهلة ضربا من المستحيل، وهو أن يصل هذا اليهودي إلى أعلى مناصب الدولة في غرناطة، وهو ما تحقق له بالفعل بعد ذلك بوقت وجيز.

وربما لم يكن الأمر مجرد صدفة، وقد يكون اشتغاله بتحرير الرسائل والعرائض، التي كانت ترسل إلى ديوان القصر الزيري، ما هو إلا مطية ركبها اليهودي للتعريف بنفسه، خاصة أنه كان يدرك حاجة القصر إلى كاتب مجيد، يحرر المراسلات بين الإمارة الزيرية والإمارات الأخرى.

ولم يمض وقت طويل حتى وجد ابن النغريلة الساحة خالية أمامه، بعد ما قضى الوزير ابن العريف نحبه، وهو ما فتح الطريق أمامه، إذ لم يجد صاحب غرناطة بدا من استخدامه، لأسباب

عديدة، ومنها كفاءة هذا الرجل العلمية وحنكته السياسية، ولمآرب أخرى ظن الأمير الزيري أنه قضاها، من جراء استبعاده لبني جلدته، وتقديمه لذلك اليهودي.

ولأن تاريخ اليهود حافل بالمؤامرات والدسائس، فقد كان من الخطأ تقديمهم وتسليطهم على رقاب المسلمين، وقد دفع بنو زيري ثمن الثقة التي وضعوها في اليهود، من دمائهم وأمنهم وأموالهم، وكان يجدر بحكام غرناطة أن يكتفوا بمعاملتهم وفق أحكام الذمة لا أكثر، لا ظالمين ولا مظلومين. وقد بلغ ابن النغريلة من الجحود وكفران العشير، أن قام بالتآمر على أرباب نعمته، والتوطئة لعدوهم لاحتلال غرناطة والقضاء على الأسرة الزيرية فيها، وكاد تدبيره ينجح، لولا أن الأقدار شاءت غير ذلك.

وقد استغل الوزير اليهودي، ما بلغه من نفوذ سياسي في غرناطة، على عهد بني زيري أسوأ استغلال، حين تطاول على مقدسات المسلمين، وحاول التقليل من شأن الشريعة الإسلامية؛ بالقدح في القرآن والزعم بأنه متناقض، لولا أن قيّض الله من وقف له بالمرصاد، فرُدَّ خائبا مدحورا.

وبسبب ما اقترفته يدا اليهودي من أفعال شنيعة، فقد نقم عليه أغلب سكان غرناطة، حتى بعض اليهود، وظهر فصيل من أهل الشعر والأدب؛ سخروا أقلامهم لتوعية الرعية، وتحذيرهم من خطر وزير غرناطة، وقد كانوا بحق صوت المعارضة الحقيقية، في تلك الحقبة من الزمن، ولأن الشعر في العصر الوسيط، كانت له مكانة جليلة بين الناس، فقد كان أحسن وسيلة يمكن استخدامها في مواقف كهذه.

وأخيرا يمكننا القول بأن ما أقدم عليه أبناء زيري، من رفعهم لذلك اليهودي إلى مقام الوزراة، كان عملا منكرا، مهما أوجدوا له من تبريرات، ولقد دفع ثمن فعلتهم رعايا تلك الإمارة المسلمة ذلا ومهانة. وتسلط عليهم وتجبر من كان يستحيل، أن يكون له عليهم سبيلا، لولا تلك الزلة التي لا تغتفر؛ حين أوكل الأمر إلى غير أهله، وجعل في يد واحد من الذميين، في بلد مسلم، ولأن الباطل إلى زوال، كان لزاما أن يثور أحرار غرناطة، على ما رأوه ظلما وإجحافا، وكان أبو إسحاق

الإلبيري على رأس هؤلاء الثائرين، حين ألقى بقصيدته إلى الناس، تلك القصيدة التي حركت القلوب الميتة وكانت سببا في إشعال فتيل ثورة كانت نتيجتها؛ مذبحة عظيمة أتت على اليهود. لم ينج منها إلا نفر قليل، وبذلك ينتهي عهد النفوذ اليهودي في غرناطة ويبدأ عهد جديد.

ملاحق

الملحق رقم 01 الاندلس في عصر الخلافة

-حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة :الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1987، ص 172

الملحق رقم 02 الأندلس خلال عصر الطوائف

-حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة :الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1987، ص 173

الملحق رقم 03 غرناطة في العهد ويظهر فيها موقع الحي اليهودي

خالد يونس عبد العزيز الخالدي، اليهود في الدولة العربية في الأندلس، ص 507

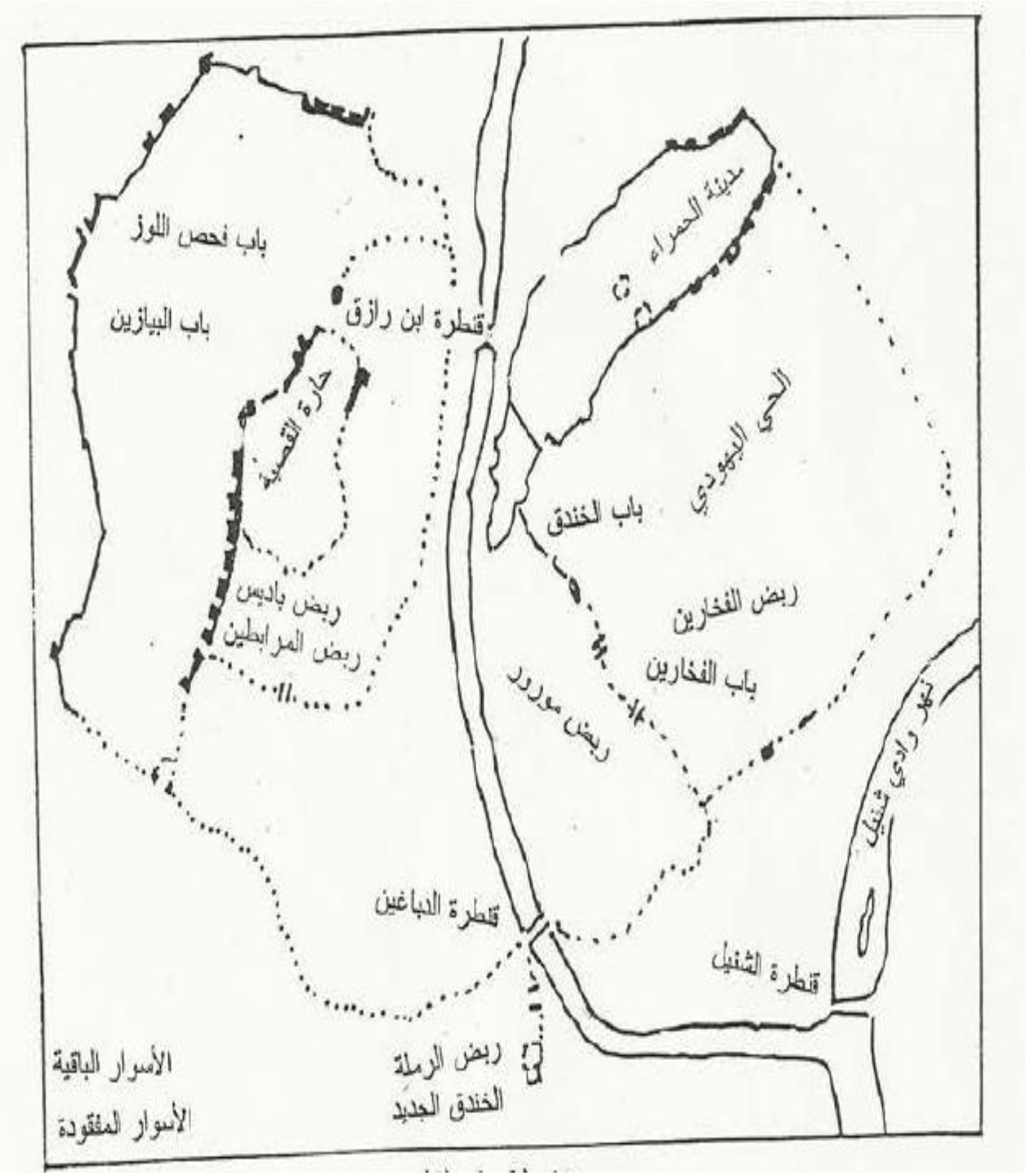

الملحق رقم 04 قصيدة أبي إسحاق الإلبيري في التحريض على اليهود.

الإلبيري، ديوان الإلبيري، ص ص 89- 92.

أَلا قل لصنهاجـة أَجْمَعِيـــنَ ... بـدور النـدي وَأسـد العريـن

لقـــد زل سيدكـم زلَّـــــة ... تقـــــر بهَـا أعين الشامتيـن

تخيـــر كَاتبه كَافِـــــــرًا ... وَلـوَ شَـاءَ كَانَ من الْمُسلميـن

فعـــز الْيَهُود بِـهِ وانتخـــوا ... وتـــاهوا وَكَانُوا مـن الأرذليـن

ونالوا مُنَاهُمْ وجـازوا المـــدى ... فحـان الْهَـــلَاك وَمَا يَشْعُـرُونَ

فكـــم مُسلـــم فَاضـل قَانِت ... لأرذل قـــرد من الْمُشْركيـــن

وَمَـا كَـانَ ذَلِك مـن سَعْيهـمْ ... وَلَكِن منـــا يقـــوم الْمعِيـن

فَهَلا اقْتـــدى فيهـم بالألـى ... مـــن القـــادة الْخيرَة الْمُتَّقِينَ

وأنزلهـــم حَيْثُ يستاهلـون ... وردهـــم أَسْفـل السـافلين

وطافـــوا لدينـا بأخراجهـم ... عَلَيْهِم صغَـــار وذل وهـون

وقمـوا الْمَزَابِـل عَـن خرقَـة ... ملونـة لدثـــار الدفيـــن

وَلـم يستخـفـوا بأعـلامنـا ... وَلم يستطيلوا علـى الصَّالِحين

وَلَا جالسـوهم وهـم هـجنـة ... وَلَا واكبـــوهم مَـع الْأَقْرَبيـن

أباديس أَنْت امْـرُؤ حـــاذق ... تصيب بظنك نفـس الْيَقِيـن

فَكيف اختفـت عَنـك أعيانهم ... وَفِي الأَرْض تضرب مِنْهَا الْقُرُون

وَكَيف تحـب فـراخ الزِّنَـا ... وهم بغضـوك إِلَـى الْعَالميـن

وَكَيف يتـمك المـرتقـى ... إِذا كنت تبنـي وهـم يهدمون

وَكَيف استنمـت إِلَـى فَاسـق ... وقارنته وَهُـوَ بيـس القريـن

وَقد أنزل الله فِـي وحيـه ... يحذر عَـن صُحْبَـة الْفَاسِقين

فَلَا تتَّخـــــذ مِنْهُم خَـــادِمـًا ... وذرهـــــم إِلَـــى لعنة اللاعنين

فقد ضجت الأَرْض من فسقهم ... وكادت تميـــد بِنـــا اجمعين

تَأمـــــل بِعَيْنَيْك أقطـــارهـا ... تجدهـــــم كلابـــا بهَا خَاسِئِينَ

وَكَيف انْفـــرَدت بتقريبهـــــم ... وهم فِي الْبِـــلَاد مـــن المبعدين

علـــــى أَنَّك الْملك المرتضى ... سليل الْمُلُـــــوك من الماجديـــن

وَأَن لَك البـــق بَيـــــن الورى ... كَمَا أَنْت من جلـــــة السَّابِقيـــن

وَإِنِّي احتللت بغرناطـــــــــة ... فَكنت أَرَاهـــــم بهَا عابثيـــــن

وَقد قسمـــــــــوها وأعمالهـــا ... فَمنهمْ بِكُل مَكَـــــان لعيـــــن

وهم يقبضـــــــون جباياتهـــا ... وهم يخضمون وهـــــم يقضمون

وهم يلبسُونَ رفيـــــع الكســـا ... وَأَنْتُم لأوضعهـــــا لابســـــــون

وهم أمناكم علـــــى سركـــم ... وَكَيف يكـــــون خـــؤون أَمِين

وَيَأْكُـــــــل غَيرهم درهمـــــا ... فيقصى ويدنون إِذْ يَأْكُلُـــــــون

وَقـــد ناهضوكـم إِلَى ربكُـم ... فَمَـــا تمْنَعُـــونَ وَلَا تنكـــرون

وَقـــــد لابسوكـــم بأسحارهم ... فَمَـــا تَسْمَعُـــونَ وَلَا تبصـرون

وهـــــم يذبحـون بأسواقهـا ... وَأَنْتُم لأطـــرافهـــا آكلـــــون

ورخـــم قـــردهـــــــم دَاره ... وأجـــرى إِلَيْهَا نميـــر الْعُيُـــون

فَصَـــــارَت حوائجنا عِنْـــده ... وَنحـــن علـــى بَابه قائمـــون

ويضحك منـــــا وَمـــن ديننَا ... فَإِنَّا إِلَـــــى رَبنَـا رَاجِعُـــــون

وَلَـــو قلت فِي مَالـــه إِنَّـــه ... كمالك كنت مـــن الصَّـــادِقين

فبـــادر إِلَـــى ذبحه قربَـــة ... وضح بِـــــهِ فَهُوَ كَبْش سميـن

وَلَا ترفع الضغط عَن رهطـــه ... فقـــــد كنزوا كـــل علق ثميـــن

وَفـــرق عراهـــم وَخـذ مَالهم ... فانت أَحَـــــق بِمَا يجمعُـــونَ

وَلَا تحسبـــن قَتلهـــمْ غـــدرة ... بل الْغـــدر فِـــي تَركهم يعبثون

وَقـــد نكثـــوا عهدنـــا عِنْدهم ... فَكيف تـــلام علـــى النَّاكِثِيـــنَ

وَكَيف تكـون لَهُـــم ذمَّـــة ... وَنحـــــن خمول وهم ظاهرون

وَنحـــن الأذلـــة من بَينهم ... كأنا أسأنـــا وهـــم محسنـــون

فَلَا ترض فِينَـــا بأفعالهـــم ... فَأَنت رهيـــن بِمَـــا يَفْعَلُـــونَ

وراقـــب إلهك فِـــي حزبـــه ... فحرب الْإِلَـــه هـــم الغالبـــون

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا - المصادر:

01 – ابن الأبار محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، لبنان: دار الفكر للطباعة، 1995.

02 – ابن الأبار محمد بن عبد الله، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985.

03 – ابن الأثير أبو الحسن، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1997.

04 – الادريسي محمد، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1409هـ.

05 – ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة.

06 – الإلبيري أبو إسحاق، ديوان الإلبيري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق: دار قتيبة، ط2، 1982.

07 – ابن بسام علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، القسم: 1، 2، 5، دط، 1997، القسم: 4، ط1، 1979.

08 – البغدادي أبو بكر، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط1، 2002

09 – البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992

10 – ابن بلقين عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله (التبيان)، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف.

11 – ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل.

12 – ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق: إحسان عباس، القاهرة: مطبعة المدني، 1960.

13 – ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981.

14 – الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993 .

15 – الحموي ياقوت، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط2، 1995.

16 – الحميدي محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، القاهرة: الدار المصرية للتأليف وللنشر، 1966.

17 – الحميري أبو عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980.

18 – الحميري أبو عبد الله، صفة جزيرة الاندلس، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار الجيل، ط2، 1988.

19 – ابن حيان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس، تحقيق: ف. كورينطي وآخرون، مدريد: المعهد العربي الاسباني للثقافة، 1979.

20 – ابن خاقان الفتح بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1983.

21 – ابن خردادبة أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، بيروت: دار صادر، 1889.

22 – ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1973م.

23 – ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار المكشوف، ط2، 1956.

24 – ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ط2، 1988.

25 – ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1978.

26 – الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، إش: شعيب الأرناؤوط، بيروت: دار الرسالة، ط3، 1985.

27 – الذهبي، شمس الدين، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، د ط.

28 – الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1993.

29 – ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط3.

30 – السموأل بن يحي المغربي، غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، تحقيق: إمام حنفي سيد عبد الله، القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2006،

31 – ابن سهل أبو الأصبغ عيسى، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة: محمود علي مكي وآخرون، القاهرة: المركز العربي للدول للإعلام.

32 – شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ.

33 – صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، بيروت: المكتبة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912.

34 – الصغاني، الحسن بن محمد، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1974.

35 – الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، 2000.

36 – الضبي أحمد بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1، 1989.

37 – ابن عبدون وآخرون، ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح إ. ليفي بروفنسال، القاهرة: مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية.

38 – ابن عذاري أبو عبد الله، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفسال، بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983.

39 – الفتح بن أحمد ابن خاقان، قلائد العقيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، الزرقاء الأردن: مكتبة المنار، 1989م.

40 – أبو الفداء عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1.

41 – أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق– بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1986.

42 – ابن الفوطي كمال الدين، مجمع الآداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد الكاظم، إيران: مؤسسة الطباعة والنشر، ط1، 1416هـ.

43 – القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، بيروت: دار الكتب العلمية.

44 – ابن كثير أبو الفدا اسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988.

45 – مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط: مطبعة ربدنير، 1867م.

46 – مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: بوباية عبد القادر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007.

47 – المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2006.

48 – المقري شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1997.

49 – المقريزي تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.

50 – النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ.

51 – ابن الوردي عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996.

ثانيا - المراجع العربية والمعربة:

52 – بالنثيا آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011

53 – بروفنسال ليفي، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت: دار مكتبة الحياة.

54 – البكر خالد بن عبد الكريم بن حمود، النشاط الاقتصادي في الاندلس في عصر الامارة، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1993.

55 – بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، 92-422/ 711- 1031، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011.

56 – بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي، خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق 14 – 15 ميلادي، الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

57 – حتاملة محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، عمان: مطابع الدستور التجارية، د ط، 2000.

58 – الحجوي محمد بن الحسن بن العربي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995.

59 – الخالدي خالد يونس عبد العزيز، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الأندلس (92-897 / 711- 1492)، غزة: مطبعة، ومكتبة دار الأرقم، 1999.

60 – خطاب محمود شيث، قادة فتح الأندلس، منار للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

61 – خلف سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط4، 2004.

62 – دوزي رينهرت، المسلمون في الاندلس، ترجمة: حسين حبشي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

63 – دوزي رينهرت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام، ترجمة: كامل الكيلاني، القاهرة: مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1933.

64 – دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138، 422هـ / 755، 1030م)، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1994.

65 – ديورانت وليام جيمس، قصة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، بيروت: دار الجيل، 1988

66 – الزركلي خير الدين، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002.

67 – الزعفراني حاييم، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، 2000

68 – السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2000م

69 – السحيمي سليمان بن سالم، الأعياد وأثرها على المسلمين، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، ط2، 2003

70 – شبارو، عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (91-897هـ/ 710- 1492م)، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 2000

71 – شحلان أحمد، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي التسامح الحق، المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006

72 – شرّاب محمد بن محمد، دمشق، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1411هـ، ص 37

73 – الطويل مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403– 483/ 1012– 1090، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994.

74 – عباس إحسان، تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، بيروت، دار الثقافة، ط5، 1978.

75 – عبد المجيد محمد بحر، اليهود في الاندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970

76 – عنان محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1970

77 – عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 1997.

78 – قجة محمد حسن، محطات أندلسية، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1985

79 – قرني حسن، المجتمع الريفي في الاندلس في عصر بني أمية (138– 422هـ/ 756– 1031)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2012.

80 – كاسترو أمريكو، حضارة الاسلام في اسبانيا، ترجمة: سليمان العطار، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983.

81 – الكعبي علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف (92– 484/ 711– 1091)، دمشق: دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014.

82 – كواتي مسعود، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، الجزائر: دار هومة للطباعة، 2009

83 – كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الاندلس، ترجمة: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان.

84 – المقراني عدنان، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، الولايات المتحدة الأمريكية فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، 2008.

85 – مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار الرشاد، ط4، 1999.

86 – مؤنس حسين، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة :الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1987

87 – نعنعي عبد المجيد، الاسلام في طليطلة، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

88 – ولد أن محمد الأمين، تاريخ اليهود في الاندلس (422هـ– 539هـ/ 1030م– 1141م)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2018.

ثالثا - الرسائل الجامعية والأطاريح:

89 – الخماش أريج بين عوض بن طريخم، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة وحتى نهاية عصر الطوائف (138– 484هـ / 755– 1091م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: وفاء بنت عبد الله بن سليمان المزروع، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، 2016.

90 – رمضان رابح، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، إشراف: بن معمر محمد، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، 2007/ 2008.

91 – عمر زعل محمد المزايدة، الحياة الاقتصادية في الاندلس في عهد الخليفة الناصر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: حسين فلاح الكساسبة، جامعة مؤتة 2009.

92 – فايزي عبد الكريم، التسامح الديني في المجتمع الاندلسي وتأثيره على المنظومة القيمية والعلاقات الاجتماعية في عصر الخلافة والطوائف (316– 488هـ / 929– 1095م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: مفتاح خلفات، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2018/ 2019.

93 – هاجر بوباية، أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي، أطروحة دكتوراه ل. م. د في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: تواتية بودالية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2019– 2020.

94 – ولد أن محمد الأمين، النصارى واليهود من سقوط الدولة الاموية إلى نهاية المرابطين (422– 539/ 1030– 1141م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، إشراف: بوباية عبد القادر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2013/2012، ص 112.

رابعا - المقالات العلمية:

95 – شاكي عبد العزيز: "**حضور أهل الذمة في المجتمع الأندلسي: عامل استقرار أم باعث فوضى 459– 522هـ/ 1066– 1128م**"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة المسيلة، العدد 12، جوان 2017

96 – ظريف راشد سيد أحمد فشكل: "**الحياة السياسية لليهود في الأندلس في عصر بني أمية وملوك الطوائف (138– 484هـ/ 831– 1091)**" مجلة بحوث، كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد 55، أكتوبر 2003.

97 – القوصي عطية: "**اليهود في ظل الحضارة الاسلامية**"، منشور ضمن سلسلة فضل الاسلام على اليهود واليهودية، يصدرها مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، إشراف: محمد خليفة حسن، العدد 2، 2001.

98 – مطاوع سعيد عطية علي: "**التراث الديني اليهودي في الشعري العبري الأندلسي**"، منشور ضمن سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، يصدرها مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، إشراف أحمد محمود هويدي، 2008، العدد 22.

99 – ولد أن محمد الأمين: **اليهود في دولة بني زيري الصنهاجيين في غرناطة**، مجلة دراسات، العدد 7، جوان 2015.

خامسا - المراجع الأجنبية:

100 - David Thomas, Christian-Muslim Relations-A Bibliographical History(1050-1200), Volume 3, brill, pays-bas , 2011.

101 - Francisco Márquez Villanueva, La sociedad medieval a través de la literatura hispanojudía: VI Curso de Cultura Hispano-judía y Sefardí de la Universidad de Castilla-La Mancha, Univ de Castilla La Mancha, Castilla La Mancha, 1998.

102 - Isabel Rivero, Compendio de historia medieval española, Ediciones AKAL, Madrid, 1982.

103 - Manuel González Jiménez, en torno a los orígenes de Andalusia, publicaciones de universidad de Sevilla, España ,1988.

104 - María José Cano, La Granada judía: Granada en la época de Šemuʾelibn Nagrela, Universidad de Granada, Instituto de Ciencias de la Educación, granada,1992.

105 - Monsalvo Anton - José María, Historia de la España Medieval, Ediciones Universidad de Salamanca, España, 2018.

106 - Revue des études Juives : Historia judaica, Volume 144, Partie 4, mouton édition, paris,1985.

الفهرس

مقدمة.....

مدخل 11

1- قيام خلافة بني أمية في الأندلس.....13

1-1 خلافة عبد الرحمن الناصر.....13

1-2 خلافة الحكم المستنصر.....16

1-2 خلافة هشام المؤيد بن الحكم لمستنصر.....18

2- قيام الدولة العامرية في الأندلس.....20

2-1 عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر.....20

2-2 الأندلس بعد وفاة الحاجب المنصور 23

2-3 سقوط الخلافة الأموية في الأندلس.....24

3- قيام الدولة الزيرية في غرناطة.....31

3-1 دخول أبناء زيري إلى الأندلس.....31

3-2 موقع أبناء زيري من الأحداث الواقعة في الاندلس بعد سقوط الدولة العامرية.....33

3-3 تلخيص الأحداث من لدن قيام محمد بن هشام المهدي إلى استقلال بني زيري بغرناطة.....35

الفصل الأول الحياة السياسية لليهود في غرناطة الزيرية.....39

1-البلاط الزيري الغرناطي.....40

1-1 حباسة بن ماكسن.....40

1-2 زاوي ابن زيري.....41

1-3 حبوس بن ماكسن.....43

1-4 باديس بن حبوس.....44

1-5 عبد الله بن بلقّين بن باديس.....46

2-الوزير الغرناطي ابن نغريلة اليهودي.....49

2-1 التعريف بابن نغريلة.....49

2-2 تحرير محل الخلاف الحاصل لدى المؤرخين حول شخصية ابن نغريلة الأب والإبن.....56

3- أسباب استوزار اليهود في غرناطة الزيرية.....61

3-1 أولا ما تعلق بشخص ابن النغريلة.....62

3-2 الأسباب المتعلقة بالسلطة الزيرية.....65

4- مؤامرات ودسائس اليهود في غرناطة الزيرية.....68

4-1 الاحتيال لتولية باديس الحكم بعد أبيه.....68

4-2 إزاحة ولد أبي العباس وابني القروي عن الخدمة في القصر الزيري 69

4-3 التخلص من بلقين بن باديس.....70

4-4 الوقيعة بين ماكسن وأبيه باديس وإخراج قواد صنهاجة من غرناطة.....72

4-5 التآمر على إسقاط دولة باديس.....74

4-6 فكرة إقامة دولة لليهود في الأندلس.....75

الفصل الثاني الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود في غرناطة الزيرية.....78

1- الحياة الاجتماعية لليهود في غرناطة الزيرية.....79

1-1 مناطق استقرار اليهود في الأندلس.....79

1-2 طعام ولباس اليهود في غرناطة الزيرية.....87

1-3 أعياد اليهود.....93

2- الحياة الاقتصادية لليهود في غرناطة الزيرية.....97

2-1 التجارة.....97

2-2 الزراعة.....102

2-3 الصناعة والحرف.....106

الفصل الثالث الحياة الثقافية لليهود في غرناطة الزيرية.....111

1- نخبة من علماء يهود الأندلس في عصر الطوائف.....114

1-1 سليمان بن جبيرول.....114

1-2 ابن عزرة.....116

1-3 يهودا بن حيوج.....118

1-4 مروان بن جناح (384-441هـ/ 994-1049م).....119

1-5 أبو الفضل بن حسداي.....120

1-6 ابن النغريلة.....121

1-6-1 ابن النغريلة الأب.....122

1-6-2 ابن النغريلة الإبن.....124

2- المناظرات والجدل الفكري.....127

2- 1 الجدل الفكري بين اليهود والمسلمين (ابن نغريلة وابن حزم أنموذجا).....127

2-2 التعريف بابن حزم.....129

2-3 شخصية ومكانة ابن حزم العلمية.....132

2-4 رسالة ابن حزم في الرد على ابن النغريلة اليهودي.....135

2-5 أمثلة عن اعتراضات ابن النغريلة وردود ابن حزم.....136

3- نهاية النفوذ اليهودي في غرناطة الزيرية.....139

3-1 الدور السلبي لشعراء البلاط (المنفتل أنموذجا) 140

3-2 التيار المعارض لابن النغريلة ممثلا بأبي إسحاق الإلبيري.....144

3-3 مذبحة اليهود في غرناطة.....150

خاتمة.....155

ملاحق.....160

قائمة المصادر والمراجع.....167

الفهرس.....179

ملخص:

امتازت غرناطة على عهد بني زيري؛ عن غيرها من الإمارات الإسلامية في العصر الوسيط بأن كان لليهود فيها وضع مختلف، وذلك بسبب كثرتهم بها، وبسبب أن أحد المنتسبين لهذه الطائفة؛ فسح له المجال ليبلغ منصب وزير بشكل صريح، وهو أعلى منصب سياسي بعد منصب الأمير. ولقد كان لهذا الفعل الشاذ من قبل بني زيري آثار خطيرة انعكست على حياة سكان غرناطة وعلى الإمارة ككل. تلك الإمارة التي كان قيامها أحد مخلفات ما حل بالأندلس من فتنة واختلاف سياسي في مطلع القرن الخامس للهجرة. وكانت من أهم إمارات عصر الطوائف؛ عمّرت ما بين سنة 403هـ و483هـ/ 1012- 1090م. وقد عاش اليهود بها حياة ملؤها التسامح سمحت لهم بأن يدلوا بدلوهم في كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: بنو زيري؛ اليهود؛ غرناطة؛ عصر الطوائف؛ الأندلس.

Abstract:

During the reign of Beni Ziri, Grenada was distinguished from the other Islamic emirates in the medieval era that the Jews had a different status because of their large number, and because one of them had the opportunity to reach the minister position, which is the highest position after the emir one. This uncommon act had dangerous effects on the life of the inhabitants and on all of the Emirate of Grenada. The establishment of this latter was one of the sequels of the sedition and political differences that happened in Andalusia at the beginning of the fifth century AH. It existed between 403 AH and 483 AH (1012- 1090) and was one of the most important of the Taifa Emirates, where the Jews had a full life of tolerance, and were allowed to express their opinions in all aspects of political, economic, social, and cultural life.

Keywords: Beni ZIRI; the Jews; Grenada; Taifa Emirates; Andalusia.